

الحوزة وعلماء الدين

في ضوء إرشادات سماحة القائد (دام ظله)



دار الولاية للثقافة والاعلام

2


الحوزة وعلماء الدين





دار الولاية للثقافة والإعلام

هوية الكتاب

اسم الكتاب: ....الحوزة وعلماء الدين

إعداد و نشر: .... دار الولاية للثقافة والإعلام

الترجمة: .... الأستاذ معروف عبد المجيد

الطبعة: .... الثانية المنقحة: ١٤٣١هـ.ق

المطبعة: .... الثامن الحجج عليه السلام

الجزء:... الثاني

شابك الدوره: .... ISBN ٩٧٨-٩٦۴-٩٧٨-١٧٨-٣

شابك: .... ISBN ٩٧٨-٩٦۴-٩٨۴-١٧٧-٩

الجمهورية الإسلامية. قم المقدسة

ص.ب : ٦٦١ / ٣٧١٨٥

www.awelayah.net

awelayah@awelayah.net



في ضوء إرشادات

سماحة القائد دام ظله

الجزء الثاني

دار الولاية للثقافة والإعلام


بسم الله الرحمن الرحيم

المقالة الثالثة

المنهج التعليمي

- الدراسة الجادّة
- مخاطر الضعف العلمي
- مواصلة الدراسة
- بُعد النظر في التعليم
- الشهادة العلمية
- خصائص المنهج التعليمي في الحوزة
- الخلل التعليمي
- الرؤية التعليمية

يتجلّى الانتعاش في الحوزة بالجِدّ والنشاط التعليمي، وتظهر حيويتها بالتعليم والتعلّم، وتتفتح براعم روضتها على صفحات الكتب والقراطيس فيها، فتفوح الأجواء عطراً زاكياً، ويتجلّى أمام الأبصار أفقٌ زاهٍ.

تعدّ الدراسة والبحث بمنزلة الروح الأبدية للحوزة، والتي لولاها لبقيت الحوزة جثّة هامدة، تتوسّد ملحودتها ثم يطويها النسيان، وعليه لا ينبغي لأية حادثة أن تؤدي إلى انقطاع التعليم والتعلم في الحوزة العلمية أو تحدث شرخاً فيها.

من هنا كان ولي أمر المسلمين منذ القدم سواء في مراحل الثورة أو بعد انتصارها وفي خضمّ الحرب المفروضة، يؤكّد مراراً على عدم قطع الدراسة في الحوزة حتى بشكل مؤقت؛ معللاً ذلك بعدم انسجامه مع الطابع الحوزوي.

ففي مقاطع من الثورة كانت تتردد أحياناً بعض الأصوات تتبعها بعض الاصداء بالقبول، ترى عدم إمكان الاستمرار في الدراسة في ظلّ الظروف الجهادية، فكان الولي يواجه هذه النبرة بالاعتراض معدداً أخطاءها:

«إنّ الدراسة هي الأصل في الحوزة، فقد كان يقال قبل انتصار الثورة: إنّ على طالب العلم أن يتفرّغ للمسائل الراهنة بما ينفع الثورة، وإنه لا معنى للدراسة في تلك الظروف! وكنت حينها أقول لطلابي المرتبطين بي في مشهد المقدسة: إذا أردتم أن تكونوا عناصر نافعة ومؤثرة في الثورة، فلابد لكم من التعرّف على الإسلام، ومن دون فهم القرآن والسنة لايمكن فَهْم الإسلام ولا يفهم القرآن والسنّة ـ الفقاهة ـ إلاّ من خاض غمار دراستهما لسنوات متعددة.

وكنت أقول لهم: لايصلح العجين بلا خميرة، والذي لا يختزن التجربة العلمية لا يكون إلاّ مدّعياً لفهم الدين، إلا أنه أجوف وفارغ»[1].

وبعد انتصار الثورة حيث مسّت الحاجة إلى الطاقات الحوزوية، واصل سماحته إصراره على ضرورةِ التعليم والتعلّم في الحوزة العلمية معتبراً ذلك من ضروريات الحوزة والنظام، فأكد على بقاء جذوة الدراسة الحوزوية في اتّقادها، مضافاً إلى مباشرة المسؤوليات الجديدة:

«لا ينبغي توظيف الطلاب والاستفادة منهم في شؤون الدولة وغيرها أثناء دراستهم، فليبق الطالب طالباً ولديّ إصرار على ذلك، وطبعاً أنا مقتنع بكلام الإمام تماماً حيث قال: «لابدّ للطلاب من أن يشغلوا المناصب التي تمسّ فيها الحاجة اليهم كالقضاء والمجالات السياسية والفكرية»[*]**، و لكن أقول مضيفاً عليه: إنّ عمل الطالب هو الدراسة، ويبقى هذا هو عمله الأساسي، نعم، قد يطرأ له طارئ آخر، إلاّ أنه يؤدّيه ثم يعود إلى عمله»**[2].

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الملاّ جعفر (المجتهدي) ١٣٦٠/٩/٢٩هـ.ش.

(*) يقوم النظام الإسلامي في إيران على كون بعض الوظائف خاصة بعلماء الدين بحيث لا يمكن أن يشغلها غيرهم كمنصب القيادة ومنصب رئيس السلطة القضائية وستة مقاعد من مجلس صيانة الدستور وهذه المناصب نصّ الدستور عليها وهناك مناصب أخرى لم ينص الدستور على الصنف الذي يشغلها إلا أن طبيعتها تقتضي أن تكون بيد علماء دين كمسؤولية التوجيه العقائدي والارشاد الديني في مختلف أجهزة ودوائر النظام حيث لا يمكن لغير علماء الدين القيام بها، أما المسؤوليات الأخرى كالعضوية في مجلس الخبراء أو إمامة الجمعة فإن العلماء المتصدين لها لم ينقطعوا عن الحوزة والتدريس بل حتى بعض اعضاء مجلس صيانة الدستور ورئيس السلطة القضائية وقيادة النظام ما زلنا نشهد لهم نشاطات متواصلة في المجال الحوزوي كتدريس البحث الخارج وكتابة البحوث الفقهية والأصولية.

(٢) كلمة في أعضاء مكتب الاعلام الإسلامي في الحوزة العلمية بقم، بتاريخ١٣٦١/١٢/٥هـ.ش.

وقال في خطاب آخر:

«... ومن هنا نصل إلى حقيقة ينبغي لنا نحن الطلاب عدم نسيانها، وهي «أصالة الدرس» فقد شاع في بداية انتصار الثورة في الوسط الحوزوي أنّ على جميع الطلاب أن ينخرطوا في سلك حرس الثورة، أي أنّ على جميع هؤلاء الشباب الموجودين في حوزة قم والبالغ عددهم عشرة آلاف شخصٍ مثلاً أن يغدوا حرّاس ثورة!

لا شكّ في أنّ طالب العلم من المجاهدين، وقد استشهد الكثير منهم في جبهات القتال، ولا زلت اقترح على بعض الطلاب الذهاب إلى الجبهة والتواجد فيها لمدّة من الزمن ليَتَعَلَّموا ويُعَلِّمُوا ويجاهدوا ويثبتوا صدق نواياهم، إلاّ أن هذا شيء، وتبدّل الدرس إلى وظيفة حراسة في الحوزات شيء آخر، والذي نقوله: إنّ الأصل في الحوزات هو الدرس»[1].

لاحظتم أنّ كلام ولي أمر المسلمين في بيان ضرورة الدرس والتعلّم في الحوزات قد تمّ بيانه على نسقٍ واحد، سواء قبل انتصار الثورة أو بعدها، فسواء في ذروة غليان الثورة أو في حماس ما بعد الثورة تراه مُصرّاً على الاستمرار في الدرس والبحث العلمي في الحوزات، ويؤكد على ضرورة ذلك.

ولا يزال هذا الاصرار باقياً، فتجده في كل مناسبة وكل كلمة يوجّهها إلى الطلاب يؤكد على وجوب صيانة قبس العلم في الوسط الحوزوي، لا بوصفه أولوية عابرة، بل كضرورة فورية وآنيّة:

«إنّ الحوزات العلمية في الواقع هي التي تصنع مستقبل هذا المجتمع وجميع المجتمعات المسلمة، ولهذا السبب يحاول الاعداء القضاء على الحوزة

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الملا جعفر (المجتهدي)، بتاريخ ١٣٦٠/٩/٢٩. هـش.

أو الحدّ من تأثيرها أو قطع تأثيرها إلى حدّ شلّها وتعطيلها، فأي فرق بين أن تكون عندنا حوزة خالية من العلم، أو لا تكون عندنا حوازة أصلاً»[1].

الجدِّ في طلب العلم

لا يكون التعلّم إلاّ بدافع من الرغبة والاشتياق، فلابدّ من جذوة تشتعل في أعماقك وتدعوك إلى الجِد والإشتغال، فبالكسل والسأم لا يستقر حجر على حجر، ويتلاشى كل شيء، ولا يقام للعلم صرح.

إنّ التراث العلمي في الحوزات الدينية هو من معطيات الحب الخالص الذي تمتع به عظماء علمائنا في طلب العلم والتحقيق في الدين، حيث حملوا مشعل المعرفة والايمان وضّاءً في أحلك الظروف وبأقل الامكانات، فعلى الحوزات الدينية أن تكمل هذه المسيرة لإعلاء الوعي الديني ونشر القيم المعنوية، ولا يتمّ هذا إلاّ بذلك الشوق وتلك الرغبة:

«على طالب العلم الشاب أن يكون دؤوباً مجتهداً في طلب العلم، فإنّ أدنى احساس بالتعب والركون إلى الراحة والدعة سيؤدي إلى الفشل.

إنّ أهم العوامل في التقدّم العلمي لدى الغرب واوروبا، لم يكن في تفوّقهم الفكري أو الحضاري، فهم لا يملكون قابليات ذاتية أكثر من غيرهم ولا انتماؤهم الدبني يشجّع على التعلّم، فهم لا ينتمون لمثل هذا الدين، ولا عمقهم الحضاري، فحضارتهم ليست ضاربة في القدم، كما لم يكن لديهم دين وأفكار تحثّهم على طلب العلم، ولا الحرية الاجتماعية، فقد كانوا يرزحون تحت وطأة أشد الحكومات قسوة ودكتاتوريةً، بل هو شيء واحد لا غير، وهو الجدّ والمثابرة وعدم التعب، والاستفهام عن كل ظاهرة واشباع فضولهم العلمي.

---

(١) المصدر السابق.

فعلى الجميع متابعة البحث والمطالعة، خصوصاً بالنسبة إلى طلاب العلم، فعليكم مواصلة العمل والبلوغ بما بدأتم به إلى غايته ولا تستشعروا الكسل أو الملل»[1].

إنّ اشتعال جذوة الشوق إلى طلب العمل يؤدي بالطالب إلى أن يأخذ الدرس بجدّية، ويغتنم الحد الأكبر من الفرص، ويواصل دروسه ولا يعطلها إلاّ قليلاً:

«إنّ تدارك التخلّف يكون بأخذ الطلاب والفضلاء الموجودين حالياً في حوزة قم الدرس والبحث والتحقيق بجدّية، والمبادرة إلى الاهتمام بالدراسة والتقليل من العطل، والتكثيف من الجهود واغتنام الفرص»[2].

إنّ الاشتياق إلى الدرس سيحول دون تعامل الطالب مع الدراسة بوصفها أمراً مفروضاً عليه من الخارج، فيتجاوز النصّ بعد قراءة سطحية دون تدقيق أو تعمّق، معتبراً إيّاه وظيفة عابرة ليس عليه إلاّ اتمامها.

إنّ الشوق إلى الدراسة يلهب في الطالب حسّ الفضول والتحقيق، ويقوده في أزقّة الألفاظ ودهاليزها؛ ليهديه إلى فضاء واسع من الحقائق والمعاني، ويلهمه الدقّة والتعمّق، ويصرفه عن النظرة السطحية والهامشية:

«تمعّنوا ودققوا في مطالب الدرس، ولا تمرّوا عليه مرور الكرام وكيفما اتفق، وخذوا الدرس بجدّية متعلّمٍ دؤوب»[3].

إنّ الطالب الذي يحدوه الشوق إلى تعلّم الدين يتقبّل مشقات طلب العلم بكل وجوده، ويعلم أنّ المعرفة يلازمها التعب، وأنّ تجاوز العقبات شرط في

---

(١) كلمة بمناسبة تتويج طلاب مدرسة المجد العلمية، بتاريخ ١٣٦٦/١١/١٢هـ ش.

(٢) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

(٣) كلمة في الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية بتاريخ ٩/٢/ ١٣٦٣هـ ش.

السلوك العملي، ويتقبّله بكل رحابة صدر، حتى يشرب من مائه العذب، ويروي به برعم شجرة العلم الطيّبة:

«واصلوا الدرس لمدة عشرين أو ثلاثين سنة، ولا تستكثروا ذلك، فإنكم إن لم تدرسوا لم تخزنوا الذخائر، فلابدّ من الدراسة بشكل جيّد، فإن فَهْمَ القرآن والسنّة، بحاجة إلى اجتهاد وقدرة على الاستنباط، وهذه القدرة لا تحصل من تلقائها ولا تأتي إلى الإنسان بالإلهام، وإنما هي بحاجة إلى جِدّ ومثابرة وتحمّل المشاق»[1].

مخاطر الضعف العلمي

الحوزة معرّضة لخطر اعتيادها على النظرة السطحية، وتمخّضها عن أمور ساذجة وبسيطة، ويشتدّ هذا الخطر من عدة جهات:

فأولاً: إنّ طبيعة الحاجات اليومية تؤدي الى القناعة بالمنتجات السريعة والبسيطة، وقد ظهرت هذه الحاجات على الخصوص في الأيام الأولى بعد إقامة الحكومة الدينية، وكانت تجذب طاقات من الحوزة تتمتع بأقل مستوى من المعلومات.

ثانياً: لجوء العناصر النوعية في الحوزة إلى الأعمال التنفيذية والتعليمية؛ مما يهدد الهيكل الداخلي للنظام التعليمي.

ثالثاً: إنّ الحاجة المعيشية أو الخلل الموجود داخل النظام التعليمي في الحوزة يؤدي بالطاقات الكفوءة إلى عدم التعمّق والتأمل والاكتفاء بالحد الأدنى من الفوائد.

وقد أدّى هذا وغيره إلى أنّ يحذّر سماحة القائد من خطر ضعف البنية العلمية في الحوزات واصفاً إيّاها بالتخلّف المحتمل.

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الصدر في بابُل، بتاريخ ١٣٦٣/٢/١٩هـ ش.

«إنّ الحوزات العلمية في الواقع هي التي تصنع مستقبل هذا المجتمع وجميع المجتمعات المسلمة؛ ولهذا السبب يحاول الأعداء القضاء على الحوزات أو الحدّ من تأثيرها أو قطع تأثيرها إلى حدّ شلّها وتعطيلها، فأي فرق بين أن تكون لدينا حوزة خالية من العلم أو لا تكون عندنا حوزة أصلاً»[1].

كما يتجلّى الضعف العلمي في الحوزات الدينية من جهة أخرى أيضاً، فإنّ الإنشغال بالأمور الجارية والتنفيذية، والابتعاد عن البحث والمطالعة، خطر آخر يهدد مجموعة لا يستهان بها من كوادر الحوزة في مجالات البلاد التنفيذية، حيث سيضعف المستوى العلمي نتيجة لذلك بمرور الأيام وينتهي إلى تعرّض جماعة العلماء إلى خطر:

«طبعاً لا أقول: إنّ جميع علماءنا في السابق كانوا مجتهدين، أو أنهم جميعاً كانوا على مستوى رفيع، إلاّ أنّهم على كل حال كانوا مثابرين، فهل هناك حالياً من السادة من تساعده الفرصة على قراءة «العروة الوثقى»[2] أو يطالع عدداً من صفحاته كل يوم، أو ينظر في حواشيها أيضاً، واذا تعرض إلى مسألة أمكنه بيان تفرعاتها للناس دونما حاجة للرجوع إلى الرسالة العملية؟ لا يسع ذلك إلاّ لمن ندر.

هذا بالنسبة إلى العروة التي هي أقل ما يحتاجه إمام الجماعة في أجوبته عن أسئلة الناس، فما ظنّك ببقية الأمور ومشاكل الناس العالقة في أذهانهم والأفكار الجديدة، وإدارة الناس وتوجيههم سياسياً وإسلامياً، والأفكار

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الملاّ جعفر (المجتهدي) بتاريخ ١٣٦٠/٩/٢٩هـ ش.

(٢) كتاب العروة الوثقى تأليف علامة زمانه السيد محمد كاظم اليزدي وهو كتاب يحتوي على المسائل الفقهية ابتداءً من أحكام التقليد وانتهاء بأحكام الوصية وقد أصبح نصه مداراً للبحوث والحواشي والتعليقات من قبل المجتهدين والمراجع الكبار.

الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وآلاف الأسئلة التي أوجدها الوعي الثوري في أذهان الناس»[1].

كل هذه الأمور تدعو إلى ضرورة رقابة البرنامج التعليمي في الحوزة على المستوى العلمي فيها بشكل جادّ، واكتشاف مواطن الضعف التعليمي المحتمل فيها من خلال دراستها دراسة فنية، وبيان أسبابها وطرق علاجها أو القضاء عليها.

مواصلة الدراسة

ليس هناك سقف زمني لطالب العلم، وليس له أن يقنع بمقدار معيّن أيّاً كان مستواه العلمي، فسواء كان مبلّغاً في قرية أو مرجعاً عالماً، فهو بحاجة إلى الارتباط والأنس دائماً بالدرس والمطالعة.

فلا ينبغي أن نخسر هذه الخصيصة المحسوسة في الحوزات الدينية، ولا ينبغي لطالب العلم أن يعتبر حصوله على الشهادة انتهاءً لفترة دراسته، فيغلق ملف الدرس إلاّ للحصول على شهادة أرفع، فلا ينبغي أن يتسرّب هذا الضعف في النظام التعليمي الجديد إلى الحوزات العلمية.

فالطالب مرتبط بالمجتمع وثقافته الدينية، وحاجة المجتمع متغيّرة، فلو توقّف الطالب عند مايمتلكه من خزين معلوماتي، فإن حركة المجتمع الاستفهامية ستواصل سرعتها ولا تبقى بانتظاره، وفي هذا الخضم لا يمكن الاعتماد دوماً على ما جمعناه من التراث القديم ووضعناه في المزاد، فإن المال المجموع ينفد، وعين الماء تنضب، وتترك الشجر مجرداً من أوراقه.

وعليه لا ينبغي أن نقرر مدة زمنية لطلب العلم في أي مرتبة من مراتب الحوزة، وأن لا نخصّص سقفاً زمنياً تنتهي فيه الدراسة، حيث يتخرّج الطالب ويبتعد عن القراءة والدرس والبحث:

---

(١) كلمة في قسم علماء الدين في الحزب الجمهوري الإسلامي بتاريخ ١٣٦٣/٣/١٧هـ ش.

«لا يذهبنّ أحدكم إلى أنّ نشاطه العلمي قد انتهى، فكل فردٍ منكم حتى وإن كان مجتهداً يجب عليه مواصلة البحث، فعلى كل واحد من السادة العلماء العاملين في أي مستوى من القطاعات المختلفة لأجهزة الدولة التنفيذية ـ التنفيذية بالمعنى العام؛ سواء القضائية أو التبليغية أو الإعلامية والثقافية، أو في الجامعات أو بين الناس في المساجد وعلى المنابر وغير ذلك ـ أن يجعلوا طلب العلم ورقيّهم العلمي، واحداً من وظائفهم، وأن يواصلوا العمل فيها دون توقف»[1].

وقال سماحته في موضع آخر:

«نحن بحاجة إلى علماء وفقهاء وفلاسفة ومحققين، من الذي يمكنه أن يكون وتداً لإقامة هذه الخيمة والحفاظ عليها؟ إنه العالِم، فعلى الطلاب أن يدرسوا، والذين تصوروا أنهم قد اكتفوا من الدراسة فاقتنعوا بالقليل وتركوا حلقات الدرس؛ عليهم أن يعودوا ويواصلوا دراستهم تدريجياً»[2].

لقد فرضت الثورة مطاليبها على الحوزات العلمية، فتولّى بعض العلماء مناصب تنفيذية، فضحّوا بفرصهم من أجل ذلك؛ بسبب ضرورة المرحلة، فالتفتت الحوزة ولم تهمل ظروف الثورة العصيبة، وعملت على طبق مسؤولياتها، فوضعت بعض طاقاتها في خدمة الثورة، ولا زالت هذه الظروف مستمرة نسبياً.

إلاّ أنّ هذا برغم فوائده الكثيرة أدّى إلى ابتعاد جمع من العلماء والفضلاء والطلاب عن الدرس والبحث؛ مما يعرّض الحوزة إلى خطر فقدان طاقاتها الفعلية أو الكامنة:

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٢/٦/٢١هـ ش.

(٢) كلمة في علماء نيشابور بتاريخ ١٣٦٥/٤/٢٩هـ ش.

«حينما كنا في السابق نلتقي بالمرحوم جلال همائي ـ وقد كان متخصص في الفلسفة، لكنه اتّجه مؤخراً إلى الأدب ـ لنتحدث معه حول الفلسفة، كان يقول: «عندما امتلأت أذني بصفحة من كتاب كليلة ودمنة، نسيت ثلاثمائة صفحة من كتاب الشفاء».

وها نحن حالياً نعيش الحالة نفسها، فحينما اشتغلنا بورقة فيها مرسوم أو قرار أو قانون، نسينا مئات الأوراق من الكتب الحوزوية[1].

إنّ هذا الخطر المحدق يستدعي تفكيراً من قِبَل هذه المجموعة من طلاب العلم؛ للمحافظة على مستقبلهم العلمي، كما يستدعي تفكيراً من قِبَل الحوزة في السعي إلى رفع المستوى العلمي لهذه المجموعة من أبنائها:

«إنني أرى إمكان الجمع بين العمل والمطالعة، فقبل انتصار الثورة بمدة قليلة وبعد انتصارها حيث أتيت إلى طهران وانهمكت في مختلف الأعمال، لم أحصل على فرصة للمطالعة.. فرأيت قبل سنة أو سنتين أن لا جدوى من ذلك وأنّ هناك ضرورة لتخصيص وقت للقراءة، فبدأت بالقراءة من حينها برغم أنّ عملنا لم يقل، بل زاد عما كان في السابق، فرأيت امكان الجمع بين العمل والقراءة، ولازلت أطالع في اليوم والليلة، وربما دَوّنتُ إلى الآن ما يزيد على مئات الصفحات»[2].

وفي وصية أخرى قال سماحته:

«على كل من يعمل في الأمور التنفيذية والتبليغية أن لا ينقطع عن طلب العلم، ولا يقولنّ أحدكم: أنّ عملي لا يسمح لي بذلك، فأنا شخصياً ابتعدت عن الكتاب حوالي سنتين في بداية الثورة؛ بسبب كثرة الأعمال التي لا تنتهي،

---

(١) كلمة في أعضاء مكتب الاعلام الاسلامي لحوزة قم العلمية بتاريخ ١٣٦١/١٢/٥هـ.ش.

(٢) كلمة في مؤتمر أئمة الجمعة في طهران، بتاريخ ١٣٦٣/٨/١٥هـ ش.

فكنت أخرج إلى العمل في الساعة الخامسة أو السادسة صباحاً لأعود في الساعة الحادية عشرة ليلاً أو أكثر، فأجد بعض الضيوف هناك من التابعين لمؤسسات الدولة أو العلماء بانتظاري، حيث إنّ الوصول إلى بيتي كان متيسّراً للجميع؛ لحلّ ما لديهم من مشاكل وكانت تمضي عليَّ أيام مديدة دون أن أرى أولادي برغم وجودهم في البيت حيث أتركهم نائمين فأعود متأخراً لأجدهم قد أخلدوا إلى النوم أيضاً.

هكذا كان وضعنا حتى وضعت حدّاً لذلك، وها أنا لي أربع سنوات عدتُ فيها إلى المطالعة، وقد كانت عودتي إلى المطالعة بعد تسلّمي منصب رئاسة الجمهورية[1]، ولا زلت أطالع وأمارس عملي دون أن أجد منافاة بينهما، فأقرأ الكتب العلمية والتاريخية وعندي مطالعات خارجية أيضاً»[2].

بُعد النظر في التعليم

إنّ المجتمع يعتبر الحوزة ملاذاً له في حلّ مسائله الفكرية ومشاكله الروحية ويبحث فيها عن كلمة الدين العليا، ويعدها مرجعه النهائي في الإجابة عن المسائل والشبهات التي تطرأ على ذهنه.

فعلى الحوزة أن لا تعد نفسها لمسائل اليوم وحسب، بل ولمشاكل الغد أيضاً، فعليها أن تتكهّن بمشاكل المجتمع في المستقبل وتخطط لها، وإلا لَنْ يعد بامكان الحوزة مواكبة العصر، فإنها تواجه سيلاً جارفاً من الأسئلة فيعود اليها رشدها فتضع منهجاً تعليمياً، وتضيف إلى النصوص الدراسية الإجابات عن الاسئلة والشبهات، ولكنها لا تفرغ من تثبيت هذه المواد الدراسية حتى

---

(١) انتخب القائد دام ظله لرئاسة الجمهورية من قبل أغلبية الشعب الساحقة مرتين الأولى سنة ١٩٨١م وبنسبة ٩٥.٠١٪ والثانية سنة ١٩٨٥م وبنسبة ٨٥.٧٦٪ فكان أول عالم دين يتسنم منصب رئاسة الجمهورية الإسلامية.

(٢) كلمة في علماء مدينة قاين، بتاريخ ١٣٦٦/١/٣هـ ش.

تواجه شبهات جديدة لم تألفها من قبل، وهكذا؛ مما يدل على وجود طوق مغلق على المنهج التعليمي.

ويتمّ علاج ذلك في أن تنظر الحوزة إلى المستقبل برؤية أوسع، وتعد نفسها للأيام البعيدة والأبعد:

«كنّا في الأيام السابقة نتحدث في المناخ الفكري للمجتمع بكلام مختلف عن الكلمات الدينية والإسلامية التي كانت سائدة آنذاك، الأمر الذي أدّى إلى اجتماع الناس حولنا، فكنا نتحدث حول التوحيد والنبوة والإمامة والسياسة مستندين في ذلك إلى الآيات والروايات، ولكنها مغايرة تماماً لما كان الناس يسمعونه آنذاك، وكلما نصبت راية لمثل تلك الأحاديث انهال الناس للاستفادة منها وقد أدّت تلك الاحاديث والكلمات إلى تفجير الثورة في ظرف عشرين سنة، إلاّ أن تلك الكلمات ليس وقتها الآن.

وكنت غالباً ما أقول للإخوة الذين كانوا معي: بعد عدّة سنوات ستغدون مثل فلان ـ ذاكراً اسم شيخ خطيب بسيط في مشهد ـ أي أنّ كلامكم سيكون عادياً وقديماً وعديم الفائدة؛ لذا لابد لنا من التفكير في الخطوات اللاحقة، فلابد أن تكون هذه الثورة في حركة مستمرة، وأن تكون مواكبة لسير هذا الشعب»(١).

الشهادة العلمية

كانت اجازة الاجتهاد تعد شهادة علمية في نظام الحوزة التعليمي، فكان المتعلّم بعد حصول ملكة الاجتهاد والقدرة على الاستنباط يأخذ اجازة في الاجتهاد من أستاذه ومراجع التقليد المعروفين، وبعد عودته إلى وطنه يغدو مرجعاً لأبناء بلدته استناداً لتلك الاجازات فيجيبهم عن مسائلهم.

---

(١) كلمة في أعضاء مكتب الإعلام الإسلامي في حوزة قم العلمية، بتاريخ ١٣٦١/١٢/٥هـش.

إلاّ أنّ هذه الطريقة نُسخت لأسباب مختلفة، وقلّما جرى العمل بها في العقود الأخيرة، وقد أفاد سماحة القائد بعض الاقتراحات ضمن تأكيده على إحياء تلك السنّة:

«ما أجمل إحياء سُنَة العمل باجازة الاجتهاد في الحوزات ولكن بالطريقة التي أقترحها، وذلك بأن يذهب الطالب الفاضل إلى أستاذه بعد احساسه بقدرته على الاستنباط وحدسه بتوفر مقومات الاجتهاد لديه، فينتخب الأستاذ مسألة من المسائل المستحدثة وغير المبحوثة، لتكون دراسة الطالب حولها، وتكون تلك الدراسة بمثابة الرسالة التي يقدمها طلاب الجامعات.

طبعاً اقترحنا هذا الشيء على الأخوة الذين سيقومون بادارة الحوزة العلمية بقم، في أن يطالبوا المتعلمين بكتابة رسالة في مرحلة من دراستهم.

والآن أقول لتكن تلك الرسالة وثيقة اجتهادهم، بمعنى أن يعطى الطالب موضوعاً فيقوم بتنقيحه والبحث فيه، وقد يشترك عدة أشخاص في دراسة واحدة ويكون على رأسهم استاذ مشرف؛ وبذلك سنحصل في بضع سنوات على آلاف الرسائل الفقهية البديعة في المسائل المستحدثة، وهذا سيفتح الطريق أمامنا»(١).

بعد زوال اجازة الاجتهاد في العقود الأخيرة، لم تكن هناك أي شهادة تبيّن المستوى العلمي للطلاب، ولم تكن المراحل التي يطويها الطالب معروفة إلاّ له ولبعض المقربين منه، ولم يكن ظاهر الزيّ دليلاً على المستوى العلمي.

وقد تضاعف الاستفسار حول هذه المسألة بعد قيام النظام الإسلامي فقد تمّ استدعاء الطاقات الحوزوية إلى مراكز الدولة واداراتها دون أن تكون هناك

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

شهادات تحدد المستويات العلمية، مما أدى إلى ظهور رؤيتين متقابلتين، بادر سماحة القائد إلى بيانهما مؤكداً على رؤية ثالثة:

«هناك رؤيتان بشأن وجود الشهادة العلمية في الحوزات: فالبعض ينكر تزويد الطلاب شهادة علمية، مستدّلاً لذلك بعدم تأثيرها على الصعيد العملي في كون الشخص عالماً، فالمناط عنده العلم والعمل، والآخر يرى ضرورة تزويد الطالب الحوزوي شهادة علمية نظير تلك التي تمنح للجامعيين»[1].

ويرى سماحة القائد خطأ كلتا الرؤيتين، وأفاد في نقد الرؤية الأولى قائلاً:

«إنّ أولئك الذين يقولون: نحن ندرس لله وليس للحصول على الشهادة، لا أرى كلامهم صحيحاً، فإنّ الطالب يدرس ويريد التعرف على مستواه العلمي، كما أنه من النافع لمن يريد مراجعة عالم الدين أن يتعرف أولاً على درجته العلمية»[2].

كما وجّه انتقاداً إلى تزويد طلاب الحوزة بالشهادات الحكومية من عدة جهات واعتبره منافياً لاستقلال الحوزة، ومقدمة لتبعية نظام الحوزة التعليمي للحكومة والسلطة:

«لو درس الطالب من أجل الحصول على وظيفة لم يعد نافعاً لسلك العلماء، فعلى الطالب أن يدرس ليغدو فقيهاً وواعظاً ومحققاً ومدرّساً وكاتباً وعالماً في تلك المنطقة أو المدينة، وأن يكون للناس وواحداً منهم، والإ إذا درس من أجل الحصول على وظيفة عاد الأمر إلى تلك التبعية التي كنا نأخذها على النصارى، أو الأخوة من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى»[3].

---

(١) كلمة في علماء الدين وطلاب الحوزة العلمية في مشهد المقدسة، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـش.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

وقد تحدث سماحته عن عدم تشابه المنهج الدراسي في الحوزة والجامعة، معتبراً ذلك دليلاً آخر على عدم صحة هذه الرؤية:

«إنّ نظام الدراسة في الجامعة وهدفها، يختلف عن نظام الدراسة في الحوزة وهدفها، فلو سحبنا شهادة الجامعة على الحوزة لما دلّت على شيء.. فمثلاً يدرس الجامعي في فرع من فروع العلوم التجريبية حتى يحصل على شهادة الدكتوراه بعد أن يقضي أربع سنوات في البكلوريوس وسنتين في الماجستير، ثم ثلاث سنوات ليحصل على الدكتوراه، فيكون مجموع دراسته سبع أو ثمان سنوات.

وسؤالنا: هل يمكن لطالب العلم في الحوزة أن يغدو محققاً في ظرف ثمان سنوات أو تسعة أو عشرة؟ إذاً تلاحظون مدى الاختلاف بين طبيعة النظامين»[١].

وبعد نقده هاتين الرؤيتين، قام بالدفاع عن تزويد الطالب بشهادة من داخل الحوزة، معتبراً ذلك هو الطريق الوحيد:

«اقترح أن تصدر الشهادة من داخل الحوزة»[٢].

وأعاد دفاعه عن هذه الرؤية في لقائه بمسؤولي مدارس الطلاب غير الإيرانيين قائلاً:

«أنا مقتنع بالشهادة تماماً دون احتياج مبرم إلى الدولة في ذلك، بأن تقوم مدرستكم بِمْا لَها من اعتبار حقوقي في إيران بتزويد طلاّبها بالشهادات، كما هو الحال في مدارس باكستان حيث إنّ الطلاب يأتون منها حاملين وثائق علمية غير حكومية، وإنما تزوّدهم بها المدارس التي كانوا منتسبين اليها»[٣].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) كلمة في اعضاء شورى الطلاب الاجانب في حوزة قم العلمية، بتاريخ ١٣٦٢/٩/١٧هـش

خصائص المنهج التعليمي في الحوزة

يتمتع النظام التعليمي السائد في الحوزة بميزات ذاتية فريدة أعطت الحوزة طابعاً تاريخياً خاصاً، وجعلت منه نظاماً تعليمياً يمتاز به عن الأنظمة التعليمية الأخرى.

نشير في ما يأتي إلى جوانب منها:

١ـ استغراق التعليم مدة طويلة:

هذه الحقيقة وإن أدّت إلى ايجاد بعض المشاكل النسبية، إلاّ أنها بمجموعها تحتوي على مزايا ومحاسن، حيث يتطلّع الطالب الحوزوي في هذا المناخ الدراسي إلى آفاق بعيدة، ويعد نفسه لسنوات طويلة؛ مما يقوّي عنده الرؤية المتأملة والمدققة في النصوص والمواضيع الدراسية، والابتعاد عن النظرة السطحية والعاجلة المضرّة، ويسلك طريق الرياضة العلمية ويستعد لطريق طويل وبعيد:

«لا بدّ للعالم أن يتمكن من استنباط الحكم الشرعي من الكتاب والسنة، وذلك يتوقف على مقدمات في الدراسات الدينية، وعليه أن يقرأ ويتعلم ما كتبه المجتهدون السابقون الذين سلكوا هذا الطريق، حتى يحصل على مهارة الاستنباط.

وطبعاً يوجد هنا فرق بين ما نقوم به نحن من دراسة الفقه الشيعي وبين ما يقوم به أخوتنا من المذاهب الإسلامية الأخرى، فالذي يتعلّمه أولئك هو فتاوى الفقهاء، فكل ما يحتاج إليه أبناء السنة هو مطالعة كتب الفقهاء ليتعلّموا الفروع المختلفة، حتى إذ سُئل أحدهم: ما هو رأي أبي حنيفة في المسألة الكذائية؟ أمكنه الاجابة فوراً، واذا كان هناك اختلاف بين الفقهاء بيّنه.

وأمّا العالم الشيعي إذا اكتفى بهذا المقدار لم يسمّ عالماً أو مفتياً أو فقيهاً، وإنما يكون مجرد ناقلٍ للمسائل، إذاً طريق العالم الشيعي أطول، و كيفية النظام التعليمي التي يواجهها ٍ تختلف عن منهج أبناء السنة اختلافاً كلياً»[1].

٢ـ هدف الدراسة:

إن الانظمة التعليمية الأخرى تتخذ الدراسة سُلّماً إلى الرقيّ المادي وطريقاً إلى الجاه أو الثروة أو كليهما، ولا أحد يعتبر ذلك عيباً، بل ويصرّح به علناً، فإن الطالب في تلك المراكز والمؤسسات ينشد الوصول إلى باب رزقه ورفع مستواه المادي من خلال دراسته ويجعل منها أساساً لكثير من أهدافه، دون أن يعيبه على ذلك أحد، إذ تقبّلها الناس كحقيقة ثابتة في المنهج التعليمي.

في حين أنّ الأمر في المنهج التعليمي الحوزوي لا يمكن أن يكون كذلك، فلا علماء الدين يرتضون ذلك لأنفسهم، ولا عامّة الناس يقبلونه لهم، فلو سعى أحد العلماء إلى جعل الدين وسيلة كسب وارتزاق لسقط من أعين الناس وهتكت حرمته، ولم يعد ملاذاً يأوون إليه فيما يعترضهم من أمور الدين والدنيا:

«تعلمون أنّ الطالب في مدارسنا إذا رام من دراسته طلب الجاه والمقام عدّ ذلك عيباً فيه. في حين لا يعد طلب العلم في العرف الحديث والثقافة الحديثة والنظام التعليمي المعاصر وصولاً إلى المناصب عيباً، بل يعد فضيلة وامتيازاً»[2].

وقال سماحته في موضع آخر:

«منذ شروعنا في الدراسة علّمونا أن طلب العلم من أجل الأموال والمناصب عيب وخطيئة، أما في التخصصات والثقافات الأخرى وفي النظم

---

(١) كلمة في علماء الحوزة العلمية في مشهد المقدسة، بتاريخ ١٣٦٥/١/٤هـ ش.

(٢) كلمة في فضلاء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

التعليمية المختلفة فإنه إذا بدأ شخص دراسته فيها وسئل عن سبب دراسته، لكان جوابه: حتى أحصل على وظيفة في المستقبل. ولكن لو سُئلنا نحن عن هدفنا من الدراسة الحوزوية؟ فلو أجبنا بمثل ذلك، لعدّ وصمة عار علينا، هذا ما علمتنا إياه ثقافتنا وبيئتنا»[1].

٣ـ سيادة العلاقات الاخلاقية ـ العاطفية:

إنّ العلاقة التعليمية بين الطالب وأستاذه وسائر الطلاب في المنهج التعليمي الحوزوي علاقة أخلاقية، فلا يكون حضور الأستاذ مفروضاً على الطالب، وإنما يفتح له الأستاذ صدره ويجد الطالب له محبة من صميم قلبه، فيقصده دائماً ويستشيره ويطلب منه النصح، ويبقى الطالب حافظاً لأسماء أساتذته مادام حياً، وبعد انتهاء الدرس يستمر في اعتبار نفسه تلميذاً له، ويحافظ على احترامه حتى آخر لحظة دون أن يجد نفسه قد وفّى حقّه.

لقد قام النظام التعليمي في الحوزة على أساس سنن الإسلام التربوية، وعليه فقد أخذ منها ضرورة مراعاة الروابط الأخلاقية والعمل بها، وترك لنا أروع الصور السلوكية بين الاستاذ والطلاب؛ مما يعد في حدّ ذاته حقيقةً ناصعة في تاريخ الحوزة، إنها صحيفة ضمّت وتضم من القصص والحقائق ما يمكنه أن يُجلي مكامن الكرامة الإنسانية ويشير الى رقي الإنسان في آفاق الإنسانية الرحبة.

«كان الطالب قديماً ينتخب أستاذاً من بين عشرة، ويغدو ذلك الطالب خادماً له، فقد كنا خدّاماً لأساتذتنا، وكنا نقبّل أيديهم، ونضمر لهم الحب والاحترام من أعماق قلوبنا، وهكذا كان الأمر في الأزمنة السابقة علينا، حيث كان كتاب«آداب المتعلمين» يعلّمنا أن نتقدم أستاذنا في الليالي الداجية لنفديه بأنفسنا حذراً من وجود بئر في الطريق.

---

(١) كلمة في علماء نيشابور، بتاريخ ١٣٦٥/٤/٢٩ هـ ش.

كان الطالب مؤدباً أمام أستاذه برغم عطف الأستاذ وحنانه حيث كان بمنزلة

الأب، وكان التلميذ يسلك أمام أستاذه سلوكاً في غاية الأدب»[1].

٤ ـ السنن التعليمية:

هناك أساليب يمتاز بها منهج الدراسة الحوزوية، يمكننا الإشارة إلى ما يأتي منها:

أـ اختيار الأستاذ، ففي نظام الحوزة يقوم الطالب باختيار أستاذه ويباشر التعلّم على يده، ولهذه الطريقة محاسنها الكثيرة، فمن جهة يقوم الطالب باختيار ما يتناسب وذوقه ومشربه دون احساس بإكراه أو جبر خارجي، ومن جهة تحصل لذلك منافسة سليمة بين الأساتذة في تطوير اسلوبهم التعليمي؛ لاجتذاب أكبر عدد ممكن من الطلاب، وغير ذلك من المحاسن الأخرى التي تضاف إلى ما ذكر:

«يجب حالياً أن يكون في الحوزة تخطيط جديد وأساليب جديدة، مع الحفاظ على بعض السنن والتقاليد السابقة، منها اختيار الاستاذ حيث لازلت مقتنعاً بهذا التقليد، طبعاً لا أمتلك معلومات عن مدى إمكانيات مدرسة الشهيد المطهري[2]**، ولكن ينبغي المضي قُدُماً نحو اقامة العديد من حلقات الدرس، وأن يختار الطالب بين هذا الأستاذ والأستاذ الآخر»**[3].

ب ـ المباحثة: إن الحوار المدرسي بين طالبين أو أكثر هو من الخصائص الأخرى في المنهج التعليمي الحوزوي التي كانت منذ القدم ولا

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الشهيد مطهري العليا، بتاريخ ١٣٦٢/٩/٣٠هـ ش.

(٢) مدرسة دينية على الطراز الحديث تقع في العاصمة طهران.

(٣) كلمة في طلاب مدرسة الشهيد مطهري العليا، بتاريخ ١٣٦٢/٩/٣٠هـ ش.

تزال قائمة، ولهذه الخصيصة تأثير عميق في تجذّر الافكار ورفع الابهامات وحفظ المعلومات وتطوير القدرة على التدريس وعشرات الأمور الأخرى:

«إنّ المذاكرة[1] من السنن التي لا بديل لها، وهي من الأمور المهجورة في المجتمعات الثقافية الحديثة، ومعنى المذاكرة التدرّب على كيفية التدريس، فالمدرّس والاستاذ هو الشخص المهيمن على المادّة، فهو ليس مجرد فاهم وعالم بالمادة.

فتارة يطالع الشخص الكتاب ويتصور أنه قد فهم المحتوى، إلاّ أنه إذا أراد بيان المراد إلى شخص آخر يجد نفسه متلكّئاً ومتلعثماً، وعندها يأتي دور المذاكرة لتبيّن لكم مواطن النقص فيكم وتزوّدكم بالشجاعة والجرأة على التعليم، فتكون اليوم أستاذاً لصديقك الطالب، وغداً تكون أنت الطالب وهو الاستاذ فتصغي إليه جيداً ويشرح لك الدرس جيداً»[2].

ج ـ المطالعة قبل الدرس: لم تكن سُنّة تلّقي الدرس شائعة في النظام التعليمي في الحوزة، بل كانت السُنّة السائدة هي قراءة الدرس قبل تعلّمه، وكان لهذه الطريقة أثر ملحوظ في إعداد الذهن، مضافاً إلى التعرّف على مواطن الإجمال والإبهام، حيث يحاول الطالب معالجتها بنفسه؛ ليتوصّل إلى حلّ عقدها، وإذا عجز عن ذلك أو تردد في فهمها أصغى إلى شرح الاستاذ بذهن متطلّع؛ ليتمكن من العثور على حل المعضلة:

«السُنّة الأخرى هي المطالعة قبل الدرس، مما يساعد على استيعاب الدرس بشكل ملحوظ، وقد بلغت أهميتها حدّاً كان بعض أساتذتنا يقولون لنا:

---

(١) تقام المذاكرة أو المباحثة بطالبين أو أكثر حيث تكون وظيفة أحدهم شرح ما تعلموه من الاستاذ ويقوم الباقون بالاستماع له وتوجيه الاشكالات مع معلوماته ويقوم هو بدحضها إن استطاع أو السؤال عنها وفي اليوم التالي يتولى هذه المهمة طالب آخر من نفس المجموعة وهكذا.

(٢) المصدر السابق.

لو دار الأمر بين مطالعة الكتاب قبل الدرس وبعده، قدّموا المطالعة قبل الدرس على المطالعة بعده»[1].

الخلل التعليمي

إنّ النظام التعليمي في الحوزة برغم ما فيه من المحاسن والمزايا، فيه نواقص متعددة تقلل من حجم عطاء الحوزة وانتاجها يوماً بعد يوم، نشير فيما يأتي إلى المهم منها:

١ـ نقصان المواضيع الدراسية:

إنّ المواد الدراسية في الحوزة لم يتم اعدادها بما يوافق حاجة العصر، وعليه لا نرى تناسباً معقولاً بين الكمّ الهائل من المعلومات الحاصلة في الحوزة وبين حاجة المجتمع، فهناك جزء كبير من حاجات المجتمع لا تتم تلبيتها في مواد الحوزة التعليمية، كما أنّ مطالعات الحوزة بشأن علاقة الحوزة والمجتمع لا تُحدِث تغييراً ملحوظاً،وهذا التغاير والتفاوت كلما اتسعت زاويته، كان الابتعاد والانفصال بين الحوزة والمجتمع اكبر وأوسع، وابتعد العلماء من العطاء النافع:

«إنّ التساؤل الذي يمتثل أمامنا دائماً، هو الخطّ العلمي والدراسي الذي يتعيّن على علماء الدين والطلاب أن يسلكوه، ولا يذهبنّ بكم التصور إلى أننا أول من طرق باب هذا البحث والتساؤل عما إذا كانت قراءة الفقه والاصول كافية أو لابدّ مع ذلك من قراءة الأمور الأخرى، بل إنّ هذا البحث لم يقتصر على السنوات الأخيرة من مرجعية آية الله العظمى البروجردي[2]**، وإنما يرقى**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي البروجردي (١٢٩٢ـ١٣٨٠هـ ق) زعيم الحوزة العلمية ومرجع الشيعة في عصره تتلمذ على يد الأخوند الخراساني والسيد كاظم اليزدي شيخ الشريعة الأصفهاني، دعاه علماء الحوزة للقدوم إلى قم بعد وفاة الشيخ عبد الكريم الحائري اهتمّ بنشر الإسلام في العالم وتوحيد كلمة المسلمين ويعتبر صاحب مدرسة في الأصول والحديث.

ذلك إلى قبل نصف قرن أو اكثر، حيث توجّه عدد من فضلاء النجف آنذاك إلى آية الله العظمى السيد أبي الحسن الاصفهاني[1] وطلبوا منه وضع برنامج جديد في الحوزة يساعد الطلبة على قراءة مناهج تلبّي حاجة المجتمع المعاصرة، حيث أدركوا حجم التغيّر العلمي والفكري والمخاطر الجديدة التي تهدد أذهان الناس، واذا أراد علماء الدين أن يكونوا من حماته فعليهم تحديد تلك المخاطر والعلوم، والتعرف على سبل مواجهتها.

كما ظهر آنذاك بعض المثقفين المصريين وأخذوا يثيرون الشبهات حول التشيّع، وبعض المثقفين الماديين العرب أخذوا يشككون في العقائد الدينية لدى الشباب في مصر وسورية ولبنان والعراق، فأدرك ذلك الشباب والطلاب قبل خمسين أو ستين سنة في النجف الاشرف، وأيقنوا بضرورة التعرف على الفلسفة والعلوم المعاصرة واللغات الأجنبية ليتمكنوا من مواجهة الأخطار المحدقة»[2].

إلاّ أنّ هذا الأحساس بالخطر رغم سابقته التي ترقى إلى عدة عقود من الزمن لم يؤدِ إلى نتائج عملية ملحوظة، حيث حالت دون إثمار هذه الجهود الاصلاحية أسباب متعددة، إلاّ على مستويات فردية، وفي بعض المدارس الخاصة، بينما سار النظام العام في الحوزة على المنهج التقليدي القديم، مما أدى إلى ضياع وفوات الفرص الثمينة من يد النظام التعليمي في الحوزة.

---

(١) السيد أبو الحسن الاصفهاني (١٢٧٧ ـ ١٣٦٥هـ ق) ولد في احدى القرى التابعة لمدينة اصفهان ودرس هناك حتى عام ١٣٠٧هـ حيث هاجر إلى النجف الأشرف ليتتلمذ على يد العَلَمين الكبيرين السيد كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى والملا محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية، حاز على المرجعية العامة للطائفة في عصره، خالف وجود المستعمر البريطاني في العراق واتخذ مع مجموعة من كبار العلماء اجراءات مناهضة لخطوات المنصّبين من قِبَل الانجليز مما أدى إلى إبعاده مع رفقاءه إلى إيران، له كتاب وسيلة النجاة والتي ما زال بعضَ أعاظم الحوزة يرفقون بها تعليقاتهم توفي في ٩ ذي الحجة عام ١٣٦٥ ودفن في النجف الأشرف.

(٢) كلمة في حفل تتويج الطلاب بالعمامة في مسجد المجد، بتاريخ ١٣٦٧/١٢/١٥هـ ش.

٢ـ نقص المادة الدراسية:

إنّ النظام التعليمي في الحوزة لم يحدث تجديداً حتى في مجال موضوعاته التقليدية، فلم يحدث تغييراً ملموساً في المتون الدراسية في العقود الأخيرة، فكانت الكتب الدراسية في القرون الغابرة في الأدب والمنطق والبلاغة والأصول والفقه وغيرها هي نفسها مناط التعليم والتدريس.

وبرغم ما يجري في النظام العلمي والتربوي المعاصر من إعادة النظر في المناهج الدراسية على مستوى قصير الأمد أو طويل الأمد، ويتمّ استعراض مواطن القوة والضعف فيها، لا تجد لذلك أثراً في منهج الحوزة التعليمي، فبقيت بعض المواد الدراسية على ما كانت عليه قبل قرون متمادية ينظر اليها بوصفها من الأشياء المقدسة، وإنّ إحداث أي تغيير فيها يعد بمنزلة تحريف الكتاب المنزّل:

«من جملة مشاكل الحوزة العلمية في قم وغيرها من الحوزات هي الكتب الدراسية، فما أن يتحدث شخص عن هذه الكتب، حتى يفاجئه البعض بالقول: إنّ العالم الفلاني كان يقرأ هذه الكتب، وإذا كان يتمتع بحسّ ثوري أكثر فسيقول: إنّ الإمام الراحل صار إماماً بسبب قراءته لهذه الكتب!

في حين أن الإمام لم يغدُ إماماً بواسطة هذه الكتب، وإنما لكفاءته الذاتية، هذا مضافاً إلى أن الإمام إنما قرأ هذه الكتب قبل ستين أو سبعين سنة، فأي إشكال في أن يجتمع عدة من العلماء ويقوموا بتصنيف كتب دراسية جديدة في الاصول والفقه وتغيير شكل الدرس»[1].

(١) كلمة في علماء واساتذة الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـش.

٣ـ الابتعاد عن القرآن في المنهج الدراسي:

إنّ غياب القرآن في المنهج التعليمي الحوزوي محسوس، حيث لا تجد للطالب من بداية دراسته إلى حين اجتهاده ومرجعيته أي ارتباط بالقرآن، وإنما هو مركون في حاشية الحياة الدراسية، ولا يرجع إليه إلاّ كما يراجعه سائر الناس بالقراءة والتلاوة، دون أن يكون له دور واضح في نظام الحوزة التعليمي، مما أدى إلى عدم شيوع الفكر القرآني في الحوزات الشيعية. هذا أولاً.

وثانياً: أدى ذلك إلى اتّهام التشيّع وعلماء الشيعة بعدم الاهتمام بالقرآن، وقد تحدث سماحة القائد عن هذا النقص مراراً بوصفه واحداً من مواطن الخلل الأساسية في النظام الحوزوي:

«إنّ النقص الكبير الذي كان موجوداً في منهج التعليم الحوزوي هو غياب القرآن، فسابقاً منذ أن يشرع الطالب بدراسة العلوم الدينية مبتدئاً بقوله: «إعلم أيدك الله تعالى» حتّى بلوغ درجة الاجتهاد، لا تكون له أية صلة عملية بالقرآن، ولا يعني ذلك أنه لا يقرأ القرآن، فهو يقرأه وإذا شاء راجع كتب التفسير، إلاّ أنّ منهجنا التعليمي لم يكن يُسيّرنا باتجاه ذلك، فكان بإمكان الفرد أن يغدو مجتهداً في ظرف عشرين سنة دون أن يفتح القرآن حتى مرّة واحدة، وطبقا للنظام الدراسي السابق فإن الوصول لمرتبة الإجتهاد لم تكن متوقفة على فهم القرآن أو الرجوع اليه، إلاّ فيما يتعلق بالآيات المعدودة التي يُستدل بها في الأصول والفقه»[1].

ولم يقتصر النقص في النظام التعليمي على مفاهيم القرآن، بل تعدّاه إلى قراءته وتلاوته وغيرها من الترتيل والتجويد والتلاوة الصحيحة والحفظ وما إلى ذلك، حيث كان يعد من جملة الفضائل الشخصية لا أكثر، فليس له أي

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الشهيد مطهري العليا، بتاريخ ١٣٦٢/٩/٣٠هـ.ش.

محل من الإعراب في النظام التعليمي، في حين يتم التأكيد على هـذه الأمـور في النظام التعليمي عند أبناء العامة بشدّة.

«يجب علينا في دروسنا أن نتعلم القرآن ابتداءً من قراءتـه، فمـن الخطـأ أن يتصور البعض أنّ قراءة القرآن لا تعدّ درساً، فإنك إن لم تفهم كيـف تقـرأ النصّ القرآني لم تفهم معناه، وإنّ تجويد القرآن يعدّ مقدمة لفهم القـرآن، وإنّ تلاوته الصحيحة من جملة الشرائط الضرورية للإستئناس بـالقرآن واسـتئناس المجتمع به»[1].

٤ـ فقدان أساليب التقييم:

كان النظام التعليمي في الحوزة يقوم على الاختيار الفردي، دون أن يكون هناك تقييم لسعة معلومات الطالب، فكان الطالب يقضي سنوات متمادية فـي الحوزة دون أن يكون هناك تقييم منتظم لقابلياته العلمية، فكانت مواطن قوّته وضعفه خافية إلاّ على بعض المقربين منه، بـل تكـون خافيـة علـى الطالـب نفسه.

وفي البرهة الأخيرة شاع الامتحان نسبياً في بعض المدارس ثم في عامّـة الحوزة، إلاّ أنه لا يزال بعيداً عن الطـرق العلميـة والدقيقـة، حيـث لا يوجـد شاخص دقيق لتقييم القابليات ومواطن الضعف في الطالب:

«لا يزال عدم الامتحان باقياً في الحوزة إلى حدّ كبير، فالامتحان وإن كـان موجوداً ولكنه ليس هو الذي يشغل بضعة آلاف من الطلاب ويجعل المقود بيد المسؤولين في ادارة الحوزة، فنحن بحاجة إلى امتحان أعمق وأوسع وأدق»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في علماء وطلاب حوزة مشهد العلمية، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ.ش.

٥ـ عدم تحديد مدة الدراسة:

إنّ المدّة والسقف الزمني غير محدّد في نظام الحوزة التعليمي، ولذلك محاسنه، إلاّ أنّ نواقصه ليست بالقليلة أيضاً، إذ من نتائج ذلك عدم تنظيم ووضع خطّة دقيقة وشاملة للمستقبل، كما لا يمكن للمجتمع والنظام التكهّن بمعطيات الحوزة في مدة معيّنة، كما تتوفر الفرصة في هذا المنهج للكسالى وغير النابهين أن يقضوا شطراً طويلاً في الحوزة تحت ذريعة مواصلة الدراسة.

إلاّ أنّ هذه النواقص معدومة في المنهج التعليمي القائم على سقف زمني محدد، حيث يرسم الطالب فيه برنامجاً لمستقبله التعليمي، ويمكن للنظام الاجتماعي التكهّن بمعطيات هذا المنهج التعليمي، مع إمكان التعرّف على مدى التقدم أو التخلّف الحاصل في ظرف تلك المدة. فلا يجاز لمن تخلّف عن ذلك البرنامج الزمني أن يستفيد من إمكانيات ذلك النظام التعليمي لسنوات مديدة:

«لاتزال الحوزة مفتقرة إلى مخطط دراسي شامل يراعي التسلسل والتصنيف المدروس، فلابدّ للطالب أن يعلم عدد السنوات التي يتعيّن عليه قضاؤها في الدراسة، وما هي المدّة التي يحقّ له التوقف فيها عند كل مرحلة، وكيف نتعامل معه إذا تجاوزها، أو كيف يواصل دراسته إذا طواها سريعاً»[1].

رؤى في مجال التعليم

إنّ أساليب الدراسة والبحث في الحوزة بحاجة إلى تكميل وتكامل، وإلا سوف لا تستجيب لحاجاتها وهمومها الداخلية، ولا تشبع الجمهور الغفير من مخاطبيها، وها نحن نشير إلى جانب من المقترحات الآتية:

---

(١) المصدر السابق.

١ـ برمجة التعليم:

يقوم التعليم والتعلّم في الحوزة على المنهج التقليدي تقريباً، ويفتقر إلى هيكلية واضحة ونظام منهجي من بداية المقدمات إلى أعلى المراحل الدراسية، سواء في المواد أو النصوص أو أساليب وأدوات التعليم، وليس هناك من دليل علمي وعقلي على تأييد وتثبيت الأسلوب القائم سوى سنّة الماضين.

وحصيلة ذلك هَدْرٌ متواصل للفرص، وعدم التناسب بين البذل والاستثمار حيث يخوض آلاف الأشخاص في تيار تعليمي غير مستدل على أمل الحصول على بضعه أشخاص منهم يصلون إلى المطلوب، وبرغم احتمال انحصار التعليم بهذا الاسلوب في الأزمنة القديمة، إلاّ أنه لا يرتضيه أي منهج من المناهج التعليمية الراهنة، إذ نعيش حالياً في عالم لا توجد فيه نفاية أو شيء غير صالح للاستعمال، وقد تمّ تصنيف النظام التعليمي فيه بشكل يفرغ المثل القائل (الف عينٍ لأجل عين تكرمُ) عن محتواه، ولابد أن يكون المنهج التعليمي في هذا النظام بمنزلة المصنع أو المزرعة أو البستان المثمر والذي ينتج البضائع المفيدة باستمرار، برغم اختلاف أنواعها وأشكالها.

إلاّ أنّ هذا ما تفتقر إليه الحوزة في نظامها التقليدي، حيث ترصد النفقات لآلاف الأشخاص ولا ينتفع إلاّ بعدد قليل منهم، وقد أمكن الدفاع عن هذا المنهج في الماضي؛ لعدم وجود بديل له، ولكن مع ظهور البدائل، لا يعدّ الاستمرار في المنهج التقليدي معقولاً، بل ولا حتى مشروعاً، إذ كيف يعقل صرف الدخل المحدود لبيت المال ـ دون دليل وجيه ـ في صالح تيار تعليمي، لا تكون ثمرته سوى عدد قليل من الأفراد؟!

وهذا لا يعني أنّ الطاقات الموجودة في الحوزة على مستوى منخفض من القابليات والكفاءات، إلاّ أنّ عدم الإثمار يعود إلى انعدام المنهج الصحيح في التعليم، والذي لا يزال قائماً.

وقد حمل سماحة القائد هذا الهَمّ على الدوام وأبدى أسفه من الوضع الراهن، ورأى ضرورة العمل على تنظيم المناهج التعليمية في الحوزة، معتبراً الاستمرار على النواقص الراهنة استمراراً لِهَدْر الطاقات والفرص:

«إنّ من بَيْن ما تحتاج إليه الحوزة هو منهج في التعليم والتعلّم؛ للحيلولة دون هَدْر الوقت، فالوقت لا يسمح لنا بتضييع يوم أو ساعة واحدة من عمر الطالب الشاب والمؤمن الذي وطّن نفسه على الجد والجهاد في سبيل الله. هذا هو الطالب الذي لولا تديّنه واستعداده للجهاد في سبيل الله، بل ولولا تفانيه في حب هذا الطريق لما أصبح طالباً.

وعليه لا يصحّ لنا أنْ نهدر وقت من يتمتع بهذه الخصوصيات في وقت قام للدين نظام سياسي يرصد العالم جميع ما فيه، وعلى الحوزة أنْ تملأ أوقاته على أفضل الأشكال، وتجعل منه ما يحفظ كرامة النظام الإسلامي، وتجعله أهلاً لنشر المعارف الإسلامية، وهذا بحاجة إلى منهج دراسي، فلا ينبغي لنا ترك هذه المجموعة المؤلفة من عشرين ألف شخص دون أنْ نعرف ماذا وكيف تقرأ، ولأي هدف تدرس، وما هو مستواها العلمي!

وطبعاً هناك حالياً أمور جيدة وامتحانات فصلية، ومدارس مختصّة، وقد وضعت بعض الضوابط ولكن يجب أن تبلغ حدّ النظام الدراسي أو العملي المتكامل»[١].

---

(١) كلمة في ممثلي الطلاب والفضلاء في حوزة قم العلمية، بتاريخ ١٣٦٩/١/٤هـ.ش.

٢ـ التخصص في الفروع الدراسية:

لقد أخذ النظام التعليمي الموجود فرعاً واحداً بنظر الاعتبار، فقد تمّ التخطيط وفقاً للمنهج التقليدي على تربية الطالب ليغدو مجتهداً وفقيهاً، ولا زال الأمر على هذه الوتيرة، فمن المناسب حالياً من خلال الالتفات إلى الحاجات واختلاف المشارب بين طلاب العلوم الدينية إيجاد فروع أخرى تضاف إلى الفقه، ليتّم بذلك ارضاء الأذواق والكفاءات المختلفة في الحوزة، وتلبية حاجة المجتمع إلى الحوزة.

ومن أجل تحقق هذا الأمر لابدّ لنظام التعليم الحوزوي أن يخطط لمختلف الفروع، ومن خلال رصد المواد والموضوعات والنصوص الدراسية واعداد الأساتذة لكل الفروع وتوفير الإمكانات اللازمة لكل فرع.

تعرّفتم في البحوث المتقدمة (مقالة التخطيط والمؤسسات) على رؤى سماحة القائد في هذا المجال، فنكتفي هنا بذكر كلامٍ آخرٍ له:

«يجب أن يقوم بناء النظام الدراسي في الحوزة على أساس من التخطيط والرؤية إلى المستقبل، فيجب تصنيف الطلاب، إذ لا ينحصر عالم الدين بالفقيه، ومن له القدرة على الاستنباط والاجتهاد، فهناك من لا يمتلك هذه المقدرة، وهناك من لا يرغب فيها، إلاّ أن بإمكانه أن يغدو مبلغاً بارعاً وعالماً كفوءاً.

وهناك من لا تتوفر فيه قابلية التحقيق الفقهي، إلاّ أنه كفوء في مجال العلوم القرآنية والغور في الحديث والتأليف، وهناك من تكون سليقته وقابليته منصبّة على التبليغ في البلدان الأجنبية لأجل توعية الناس، أو تقديم العون إلى المسلمين، أو ترويج الإسلام في البلدان النائية في أعماق أفريقيا وآسيا، فيقيمون فيها ويتحملون الصعاب ويتعرّضون للأخطار، وهو عمل شاقّ جداً.

اذاً فالقابليات في الحوزة متفاوتة فليس الكل سيغدو فقيها أو محققاً، وعليه لابد من تصنيف الطلاب وفقاً للإختصاصات، ويبدأون عملهم في صفوف مختلفة، ومدارس متنوعة وبرنامج دراسي مختلف، وعلى هذا يقوم النظام في الحوزة، ونحن بأمسّ الحاجة إلى هذا النظام»[1].

٣ـ زيادة المواد الدارسية:

إن المواد الحوزوية أخذت تقل تدريجياً بدلاً من أن تزداد، برغم ظهور موضوعات دراسية متنوعة سواءً في المعلومات العامة الضرورية لطالب الحوزة، أو المعلومات المختصّة بالفروع الحوزوية، مما يعد بعضها بحكم البديهيات والأوليات.

إلاّ أنّ نظام الحوزة وللأسف الشديد يواجه ذلك بلا مبالاة وبإهمال، معتبراً إيّاها مخلّة بعمل الطالب الاساسي، وأن اللغة الأجنبية من تلك النماذج، فإن تعلّم اللغة الأجنبية برغم ما فيه من فتح آفاق علمية وثقافية للحوزة، إلاّ أنه جوبه بنظرات سلبية حتى في السنوات الأخيرة، فإن الطالب الذي يَقْبل على تعلم اللغة لا يكتفي نظام الحوزة بعدم مساعدته، بل يجعله يُقْبِل على تعلّمها بخوف ووَجل.

وفي العقود الأخيرة، خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية اختلفت الظروف، و أقبل العديد نحو تعلّم اللغة الأجنبية، وظهرت مؤسسات لتعليم اللغة، وأدرجتها بعض المؤسسات والمدارس في ضمن منهجها الدراسي، إلّا أنّ نظام الحوزة التعليمي لم يقرّه ضمن مناهجه، ولم ينظر إليه كمادة ضرورية في المنهج التعليمي، وقد تحدّث سماحة القائد في جمع من طلاب مدرسة (در راه حق) حول فوائد تعلّم اللغة الأجنبية قائلاً:

---

(١) كلمة في علماء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد المقدسة،بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

«إنّ من يمكنهم في الوقت الراهن إدارة هذه الثورة، وهدايتها نحو النصر النهائي، وترسيخ أفكارها وعقائدها في المجتمع، هم المطلعون على المسائل المعاصرة، الذين يرفعون الشعارات المناسبة، القادرون على تشخيص الأخطار المحدقة بالثورة في هذه المرحلة ـ والتي تختلف كثيراً عن أخطار المرحلة السابقة وأكثر تعقيداً منها ـ ، القادرون على تحديد العدو وكشف الأعمال العدائية ومعرفة كيفية مواجهتها، لكن كيف تحقيق الهدف؟ يتحقق عندما يتمتع الإنسان برؤية عالمية صحيحة ونافعة وراسخة.

ومن هذه الناحية يعد ارتباطكم بالمسائل العالمية والثقافات والصحف والكتب والتقدم العلمي والحضاري في غاية الأهمية، خذوا مثلاً الشهيد بهشتي[1]، فقد كان على اتصال وثيق بمسائل العالم، وكان من خصوصياته تكلّمه بلغتين أجنبيتين، حيث كان يتحدث على المنابر باللغتين الألمانية والانجليزية مضافاً إلى كفاءته الخطابية باللغة العربية، هذا الإنسان أصبح ذا بصيرة بما يمتلك من هذه المواهب.

ومن جهة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها هي نشاطكم وفاعليتكم ونفوذكم فإن تسلحكم باللغة الأجنبية يمنحكم امكانية التأثير على المخاطب ـ إذ ليس بإمكان المترجم بيان الأحاسيس التي تعتمل في صدوركم دائماً، وأن أولئك الذين بإمكانهم التكلم باللغات الحية في العالم وايصال المعارف الإلهية والثقافة الإسلامية قليلون جداً، فلابد من ملأ هذا الفراغ بنحوٍ من الانحاء»[2].

---

(١) الشهيد الدكتور محمد حسيني بهشتي أحد المجتهدين الذين قادوا الثورة الإسلامية وكان يعتبر من أهم منظريها. تولى مسؤولية مسجد الامام علي عليه السلام في فرانكفورت وتولى رئاسة السلطة القضائية بعد انتصار الثورة كما تولى أمانة الحزب الجمهوري. استشهد في الانفجار الذي استهدف مقر الحزب بطهران.

(٢) كلمة في طلاب مدرسة «في طريق الحق» بتاريخ ١٣٦٣/٦/٧هـ ش

ومع الالتفات إلى الفوائد المتقدمة، اقترح سماحة القائد إدراج اللغة الأجنبية في ضمن المناهج التعليمية، وقال منتقداً من يرى ذلك غير منسجمٍ مع وقت الطالب:

«لو اقتصدنا في الوقت فإنه بالإمكان تعلم أمور أخرى.

لو قلنا حالياً: على الطالب تعلم اللغة الأجنبية في هذا العالم المتصل بالعلوم؛ حتى يغدو نافعاً بشكل كامل، لّقيل: إن وقت الطالب لا يتسع لمثل هذه الأمور، وهذا الكلام صحيح، فليس للطالب وقت مع هكذا وضع دراسي، إلاّ أننا لو اقتصدنا في الوقت لغدا بإمكان الطالب أن يباشر تعلم اللغة الأجنبية أيضاً»[1].

إنّ سعة العلوم المعاصرة والتي يحتاج اليها الطالب لا تنحصر باللغة الأجنبية، فالطالب بحاجة إلى العلوم الأخرى حتى في الاختصاص الفقهي، لتقوم على صيانته علمياً ودينياً، وتجعل منه شخصاً نافعاً في الحياة الاجتماعية.

إنّ العلوم المتداولة حالياً في الحوزة تقصر النظر على تنمية القابلية الفقهية فقط، دون الاهتمام بصيانة الفرد وبيئته ومن يليه، وإنّ الاستمرار في ذلك سيعرّض نظام الحوزة والمجتمع إلى المشاكل، فمن جهة تنحصر العلوم الحوزوية على الفقه ومقدماته، ومن جهة أخرى لا تجد العلوم الضرورية ـ كعلم الكلام والقرآن والحديث وغيرها ـ مكاناً لها ضمن الدروس الأساسية أو الهامشية، وعليه يتجلى الخلل بين معطيات الحوزة وما يحتاج إليه المجتمع كمشكلة أساسية في نظام الحوزة العلمي:

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش

«لا يسعنا حالياً قَصْر الطالب على تعلّم الفقه والأصول، فإنه مضافاً اليهما بحاجة إلى الدروس العرضية ـ حسب اصطلاحنا كطلاب ـ مثل التفسير والحديث والرجال وغيرها. فلم يعد الوقت وقت ترك الطالب وشأنه، إذ إن أصول العقائد والكلام والاستدلال العقلي منوط بالحوزة العلمية أيضاً»(1).

إنظروا إلى نتيجة خروج التفكّر العقلي عن الحوزة، حيث قام أساتذة الجامعات بتعليم التوحيد لطلابهم، ولكنه ليس التوحيد الصحيح؛ وذلك لكونهم غير فقهاء، وإن كانوا متدينين.

وهناك علوم جانبية تساعد حتى الفقيه في تعرّفه على الموضوع وسعة أفقه في مجال الفقه، كالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها، حيث إنها مؤثرة في فهمه الواقعي للأحكام وموضوعاتها:

«تجب ملاحظة العلوم الإنسانية المؤثرة في عملية الاستنباط وتنقيح الموضوعات الفقهية، فعلى الفقيه في هذا العصر أن يتسلّح بجميع وسائل الاستنباط ومنها تحديد الموضوعات، لِمَا لَه من التأثير التام في فَهْم الحكم الشرعي بشكل صحيح»(2).

أشرنا حتى الآن إلى ما يدخل في مجال الفقه، وقد تقدّم أيضاً أنّ الحوزة بحاجة إلى توسيع فروعها الدراسية؛ لذا لابدّ من التخطيط للعلوم ذات الصلة بما يتناسب وتلك الفروع الجديدة، من قبيل علوم القرآن والحديث والفلسفة والكلام وغيرها:

«يجب الاهتمام الكامل بالعلوم الإسلامية كالتفسير والحديث والفلسفة والكلام والرجال وغيرها، وادراجها في ضمن المناهج الاصلية في الحوزة،

---

(1) كلمة في علماء محافظة همدان، بتاريخ ١٣٦٤/٩/١١هـ.ش.

(2) نداء موجه إلى جامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، بمناسبة تشكيل شورى سياسة الحوزة، بتاريخ ١٣٧١/٨/٢٤هـ ش

وتأسيس مدارس تخصصية لذلك، وبما أن هذه العلوم قد نشأت في مهد الحوزة العلمية، فلاحاجة للحوزة أن تَمد يَدها إلى ما هو خارج عنها»[1].

إن نظرة عابرة إلى ما ذكر توضّح أن الحوزة بحاجة إلى تجديد النظر في موادّها الدراسية، واضافة علوم عرضية فيما يرتبط بمجال الفقه. كما يبدو من الضروري لنظام الحوزة أن يوسّع من فروعه في العلوم الإسلامية المختلفة، وأن يبحث عن العلوم ذات الصلة، لإدراجها في نظامه التعليمي.

٤ ـ الجمع بين السرعة والاتقان:

على المنهج الحوزوي أن يفكّر بشكل يجمع بين العمق والدقّة، وعدم تأخير الطالب سنوات طويلة في أودية المقدمات؛ مما يؤدّي به إلى عدم بلوغ الهدف، أو بلوغه بعد فوات الأوان في سنوات الشيخوخة والمرض، حيث تكون فرصة الانتفاع بعلمه قليلة.

إنّ التأليف بين السرعة والإتقان من دقائق البرنامج التعليمي، وتمسّ الحاجة هنا إلى مقدمات متنوعة في التخطيط لوضع منهج دراسي تتوازن فيه الكفّة، وفيما يلي نقدّم بعض المقترحات:

أ ـ إلغاء الزوائد: لابدّ من إعادة النظر في المواد الدراسية بشكل مستمر، وحذف مالا يمتّ بصلة إلى الهدف الأصلي، أو لا تمسّ الحاجة إليه، وابقاء الفصول المؤثّرة والنافعة.

إنّ النظر إلى النصوص الدراسية من هذه الزاوية يساعد على غربلة الكتب، والاختزال دون الإضرار بالإتقان، وصيانة وقت الطالب وعمره من الضياع فيما لا فائدة فيه:

---

(١) المصدر السابق.

«ما هي الفائدة في قراءة ما كتبه «ابن هشام»![1] إن كتاب «المغني» هو في الحقيقة بحث خارج النحو، فتشاهدون أنه يستدل ويقول: هل تستعمل «الواو» في هذا المعنى أم لا، قال بعض تستعمل فيه، ويذكر الدليل، ثم يذكر جواباً في ردّه، وهذا هو قوام البحث الخارج، ونحن لاحاجة لنا بقراءة بحث الخارج في النحو، إذ أقصى ما نحتاج إليه هو معرفة موارد استعمال الواو»[2].

ب ـ **التعجيل في طيّ المقدمات:** لابدّ لكل برنامج تعليمي من التفكيك بين الدروس الأصلية والعمومية والتمهيدية، فلا ينبغي النظر إلى الدروس التمهيدية بنفس النظرة إلى الدروس الأصلية، وإعمال الدقّة فيها نفسها، بل لابدّ من ملاحظتها بالمقدار الذي يساعدنا على استيعاب الدروس الأصلية لا أكثر، حتى لا تضيع فرص الدروس الأساسية من طالب العلوم الدينية:

«وصيّتي إلى المخطّطين في هذه المدرسة وأمثالها من المدارس، هي التعجيل في إيصال المتعلمين من الأخوان والأخوات إلى ذي المقدمة من العلوم والفقه الإسلامي، أي لابد من تجاوز المقدمات في أقل مدّة ممكنة وعدم الوقوع في أسرها، كما تقدم أن قلنا في توصيات سابقة: أنّ التعليم لابدّ أن يكون متقناً ودقيقاً، ولكن لا بنفس الطريقة السابقة والبطيئة في طيّ المقدمات بل ينبغي أن يكون عنصر السرعة ـ أيضاً ـ أحد أهم العناصر في الدراسة»[3].

---

(١) جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري عالم كبير في اللغة يدرس طلاب الحوزة العلمية اثنين من كتبه هما قطر الندى وبل الصدى ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، قال عنه ابن خلدون (ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر عالم بالعربية في مصر انحى من سيبويه) توفي عام ٧٦١هـ

(٢) كلمة في طلاب ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش

(٣) كلمة في طالبات مدرسة مسجد سليمان العلمية، بتاريخ ١٣٦١/٦/٤هـ ش

إنّ الطاقة المفعمة في بداية الدراسة والحلاوة الموجودة في بعض الدروس كالأدب وغيره تؤدي بالطالب أحياناً إلى صرف سنوات مديدة في حلّ رموزها وظرائفها، وهذه الطريقة وإن كانت جيدة لمن يريد أن يغدو أديباً ومختصّاً في الأدب العربي، إلاّ أنّ الطالب إذا لم يشأ ذلك، ولا النظام التعليمي ينظر اليها بوصفها من الدروس الأصلية، فلا يكون هناك مبرر لصرف الوقت وهَدْر العمر فيها:

«لقد شاهدنا بعض الأشخاص في حوزات مشهد الدراسية ـ حيث كانت مركزاً للآداب يقصدها دائماً كبار الأدباء ـ مَنْ استغرقت دراسته كتاب السيوطي والمغني والمطوّل عشر سنوات، وهذا تضييع للعمر، وهو غير جائز انصافاً، فلابدّ من طيّ هذه الدروس في سنتين أو ثلاث للوصول إلى المراحل الأصلية، وطبعاً لابدّ من دراسة هذه المقدمات بشكل صحيح»[1].

ج ـ استثمار الأدوات والأساليب الحديثة: لقد تكاملت طرق التعليم وأساليبه، من خلال تطور العلوم والفنون والتجارب؛ مما أدى إلى الحصول على عطاء أكثر في مدّة أقصر.

إلاّ أنّ النظام التعليمي في الحوزة ـ وللاسف الشديد ـ لا يستثمر هذه الأساليب حتى على نطاق أبسط الأمور، كالأساليب البصرية ذات الأثر السريع في التعليم، ويظهر التخلّف في القاء الدرس والسؤال والجواب وفنون التعليم والتعلم.

وبكلمة واحدة فإنّ نظام التعليم في الحوزة لا يزال يقتات على تراث القرون الماضية سواء في الأساليب أو الأدوات، دون أدنى التفات إلى المعطيات الحديثة في المؤسسات التعليمية الأخرى.

---

(١) كلمة في المدرسين وطلاب الحوزات العلمية، بتاريخ ١٣٦٣/٦/٢٧هـش.

يمكن للارتباط بين النظام التعليمي في الحوزة، والمؤسسات التعليمية الأخرى، والتعرّف على المعطيات العلمية والمناهج التعليمية، أن يزوّد الحوزة بأفق جديد، ويرشدها إلى الأساليب التي تعجّل من عملية التعليم.

وكنموذج أفاد سماحة القائد بشأن الاستفادة من الحاسوب في التعليم والتحقيق، قائلاً:

«عندما أفكر في ما نقوم به من الأعمال الابتدائية يعتريني فرح، وفي الوقت نفسه يعتصرني الألم، إذ أرى ما توصّل إليه العصر في مجال الحاسوب واستخدامه والفوائد الحاصلة منه، والمراحل التي وصلت إليه هذه العلوم الدقيقة، وكيف أخذ يوجّه حياة الناس والعلوم والمؤسسات العلمية نحو آفاق هي غاية في البعد عن أنظارنا، في حين لا نزال في بداية الطريق، إنه أمرٌ محزن فعلاً»(1).

وقال أيضاً في كلمة أشمل حول ضرورة الاستفادة من الأساليب والأدوات الحديثة في التعليم والتعلم في الحوزة:

«للإستفادة من هذا التراث العلمي والفني والإضافة عليه، لابدّ من استثمار الطاقات المبدعة والخلاّقة.. على الحوزة أن تفتح طريق الإبداع العلمي والفني أمام أبنائها، وهذا الكلام بنفسه سارٍ بشأن البناء التقليدي وأساليب التعليم والتعلم.

لاشكّ أنّ هناك طاقات كامنة تعدّ من مزايا النظام الحوزوي، التي ينبغي الحفاظ عليها عند إجراء كل تحوّل أو تغيير في البنية، إلاّ أنّ هذا لا ينبغي أن يكون على حساب المزايا الأخرى التي تساعد على تقدّم الحوزة من خلال الأساليب والأدوات المتوفرة في الأجواء العلمية، والتي تساعد على نجاح

(1) الكلمة التي ألقاها عند تفقّده مركز التحقيقات الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، بتاريخ ١٣٧١/١٠/١٤هـ.ش.

الإنسان في طلب العلم، فليس من الصحيح حرمان طلاب العلوم من الإبداع وإصلاح الأساليب الناقصة»[1].

٥ـ هدفية الدراسة:

يجب على منهج الحوزة التعليمي أن يجعل الحاجة الاجتماعية نَصْبَ عينيه، فيقوم بما يتناسب وتلك الحاجة بوضع المواد والنصوص والمباحث التعليمية والفروع الدراسية وعدد الطلاب في كل فرع، وتوزيع المعطيات التعليمية وما إلى ذلك.

إلاّ أنّ هذه الهدفية وللأسف الشديد قلّما تفصح عن نفسها في الدروس الحوزوية التي يتم إعدادها وتنظيمها دون التفات دقيق إلى الحاجات الآنية وذات الأمد البعيد، وعليه فهناك شرخ واسع بين المنهج الحوزوي وحاجة المجتمع.

فلابدّ للنظام التعليمي في الحوزة أن يقترب من واقعيات المجتمع؛ ليقف على مشاكله الفقهية والاقتصادية والحقوقية والأخلاقية، فيضع المناهج الدراسية بما ينسجم وتلك المشاكل:

«وهذا يستدعي أسلوباً جديداً في الدراسة، ونرى أنّ على الحوزة القيام بأمرين:

الأول: الثبات على التقاليد القيّمة التي كانت في الحوزة.

الثاني: ابتكار أسلوب جديد للدراسة، مع الحفاظ على تلك الأصول.

ما هو الهدف من هذا الأسلوب الجديد الذي نريد طرحه؟ وكيف نوجهه؟ إنما يكون ذلك بتوجيه دراستنا إلى ما ينسجم وحاجة المجتمع الإسلامي، لا على المستوى الإيراني فحسب، بل على الصعيد العالمي أيضاً.

---

(١) نداء إلى جامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، بمناسبة تشكيل شورى سياسة الحوزة، بتاريخ ١٣٧١/٨/٢٤هـ.ش.

لم يكن التدريس والدراسة تابعة لحاجة المجتمع، فعندما تتوجه الى الحوزة وتريد الدراسة ـ نتحدث عن مرحلة ما بعد السطوح ـ تجد عدداً من الأساتذة منهم من يدرّس المكاسب أو الإجارة أو النكاح أو الزكاة أو الصلاة، فتذهب لبضعة أيام عند كل واحد منهم حتى يقع اختيارك على أحدهم كالذي يدرّس الخمس مثلاً، واذا سُئلت عن سبب اختيارك له، لا يكون جوابك راجعاً إلى حاجة المجتمع أو الضرورة المعاصرة، بل يعتمد على أمور أخرى من قبيل سعة اطلاع الاستاذ، أو حسن بيانه، أو أخلاقه وتواضعه، أو كونه نورانياً متعبّداً وهذا يعني أنه لا الاستاذ ولا الطالب كانت دراسته من أجل رفع الحاجة الاجتهادية، من هنا يجب أن يكون التدريس والدراسة في الحوزة خاضعتان لحاجة المجتمع»[1].

كما أنّ قيام النظام الديني وتأسيس الحكومة الإسلامية في البلاد، قد ترك على عاتق العلماء مسؤوليات خاصة، تمّت الإشارة اليها في فصل (الحوزة والنظام) وهذه المسؤولية تفرض على نظام الحوزة التعليمي تلبية حاجة النظام من جهتين:

الأولى: تنظيم المناهج الدراسية من خلال الالتفات إلى المسائل الفكرية في الحكومة الدينية وما تواجهه من المشاكل؛ لتعمل على دعم النظام في ذلك وتسعى إلى رفع النقص.

الثانية: تلبية حاجة النظام إلى الكادر الإنساني والعلماء، من خلال تأسيس الفروع التي تمسّ الحاجة اليها وتربية الكوادر فيها:

«إنّ هذا النظام وهذه الحكومة الإلهية بحاجة أولاً: إلى العلوم الإسلامية وأحكامها، للعمل بها.. وثانياً: بحاجة إلى أفراد لشغل بعض المواقع في النظام الإسلامي، وعلى الحوزة أن تقوم بمهمة إعداد وتربية هؤلاء الأشخاص»[2].

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الشهيد مطهري العليا، بتاريخ ١٣٦٢/٩/٣٠هـ.ش.

(٢) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٤/٦/١٤هـ.ش.

٦ـ إعادة النظر في المناهج الدراسية:

إنّ النزعة التقليدية وعدم اجراء التغيير في المناهج الدراسية تعد واحدة من مشاكل الحوزة الأساسية في نظامها الدراسي، فبرغم انتقاد هذه المناهج منذ القِدَم، وما قام به بعض الأشخاص، من قبيل الشهيد الصدر والشيخ المظفر وغيرهما من خطوات عملية في هذا المجال، إلاّ أنّ هذه المعضلة لا تزال قائمة.

وهناك عقبات كثيرة تعترض طريق التجديد في المناهج، يمكن الإشارة إلى ما يلي منها:

أـ يرى بعض الحوزويين أنّ هذه الكتب قد أثبتت كفاءتها في تخريج العظماء من العلماء، وعليه لا حاجة إلى التلاعب في نظام الحوزة التعليمي بإعادة النظر فيه، إلاّ أنّ هؤلاء لا يلتفتون إلى الأمور الأخرى من قبيل ضياع الفرص، وإتلاف الوقت والهَدْر المتواصل للإمكانات.

مضافاً إلى أن الشخصيات العلمية المعاصرة لم تبلغ ما بلغته من خلال قراءتها لهذه الكتب فقط، والدليل على ذلك أن الأسبقين قد بلغوا أيضاً المراتب العلمية العليا قبل تأليف كُتب من قبيل الرسائل والمكاسب والكفاية.

وبعبارة أخرى أن الكتب الدراسية الحالية ليست هي العلّة التامّة لبناء الشخصية العلمية لهؤلاء العظماء، بل كانت هناك أمور دخيلة أخرى، فيمكن من خلال التأمل والدراسة تأليف كتب على شاكلة الكتب الموجودة من حيث العطاء ولكن بسرعة واتقان أكثر.

وقد أشار سماحة القائد إلى هذه الرؤية بما يأتي:

«من جملة المشاكل التي تعانيها الحوزة العلمية في قم وغيرها من الحوزات هي الكتب الدراسية، فما أن نتحدث بشأنها، حتى يجابهنا القول: بأنّ

العالم الكبير أو المجتهد الفلاني قد قرأها أيضاً! وإذا كان القائل يتمتع بحسّ ثوري أكثر لقال: إنّ الإمام الراحل إنما صار إماماً بسبب قراءته لهذه الكتب! هل صحيح أن الإمام لأنه قرأ هذه الدروس أصبح إماماً ؟! كلا. إن عظمة الإمام إنما كانت بسبب كفاءته الذاتية وليس بسبب قراءته لتلك الكتب، مضافاً إلى أن الإمام إنما قرأ هذه الكتب قبل ستين أو سبعين سنة وهي فاصلة زمنية يفصلنا عنها زمن بعيد»[1].

ب ـ هناك من الحوزويين من هو شديد التأثر بسحر بيان المؤلفين للكتب الدراسية، ولا يخطر بباله أنّ بإمكان الآخرين أن يصنفوا ما هو أفضل منها ليكون ضمن المناهج الدراسية:

«يقولون: وهل بإمكاننا أن نكون مثل الشهيد الثاني[2]**: مع أن الكثير من فقهائنا المعاصرين أكفأ من الماضين، لا أقول أنهم أكثر علماً منهم، فربما لو كانوا في عصرهم لما تمكنوا أن يكونوا مثلهم، إلاّ أنّ المستوى المعرفي لدى الكثير منهم أفضل من الفقهاء المتقدّمين»**[3].

ج ـ هناك مَنْ هو شديد الولع بالعبارات المغلقة والمعقدة، ويرى أن مثل هذه العبارات هي التي تجعل من طالب العلم مجتهداً حاذقاً متعمّقاً قادراً على الاستنباط.

---

(١) كلمة في علماء ومدرسي الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

(٢) الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الجعي ولد في ٩١١ هـ واستشهد ٩٦٦ هـ هاجر لتلقي العلم إلى دمشق ومصر، كما مكث في القسطنطنية. يعتبر من أعلام الطائفة وأوتاد فقهائها وأصولها، من كتبه شرح الروضة البهية المعروف باللمعة وما زال يدرس في الحوزات العلمية كدورة فقهية استدلالية.

(٣) المصدر السابق.

وخطأ هذه الرؤية واضح من خلال الأساليب التعليمية الحديثة، حيث يتم السعي إلى إبراز أعقد المفاهيم بأوضح العبارات، ولا يمكن للعلوم الدينية أن تكون استثناءً من هذه القاعدة:

«هناك من يسعى في العالم المعاصر إلى بيان أكثر المطالب تعقيداً بأوضح الالفاظ، فيضعون رمزاً وشفرة ليفهم المخاطب عشر كلمات عند سماعه كلمة واحدة، ولكننا نختار لبيان المطالب عبارات معقدة.

إنّ نفس العلوم التي أفادها صاحب المعالم[1] بعبارات معقدة، جاء شخص بعده بأربعمائة سنة وأفادها في كتاب أصغر منه حجماً ولكن بعبارات مبسطة، أفليس هذا هو الأفضل»[2].

د ـ هناك من يدافع عن المنهج القديم؛ بسبب أنسه به، وتدريسه المتكرر، حتى تصوّر أنه وحي من السماء، وأخذ يعدّ التغيير فيه بمنزلة تحريف الكتاب المنزَل، في حين أننا لو تتبّعنا التاريخ لوجدنا أنّ الكتب التعليمية في الحوزة، لم تكن على وتيرة واحدة، وقد طرأت تغييرات واضحة على المناهج التعليمية حتى في القرون الأخيرة، بل وفي نصف القرن الأخير، ولا زالت ذكراها عالقة في أذهان بعض المعاصرين:

«إنّ هذه الكتب ليست وحياً نازلاً من السماء، وقد كانت قبلها كتب دراسية أخرى، فهل كان كتاب «الرياض»[3] غير جيد؟! فقد كان آباؤنا

(١) كتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني والكتاب من ضمن الكتب الأصولية التي كانت تدرّس في الحوزات العلمية، وهو أول كتاب يدرسه الطالب في مادة الأصول، إلا أنه في الآونة الأخيرة وبسبب وجود مناهج جديدة قَلّت دراسته، إلا أن قيمته العلمية بقيت محفوظة لما يحويه من آراء أصولية لا غنى لطالب العلم عن قراءتها والاطلاع عليها.

(٢) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

(٣) كتاب الرياض لمؤلفه السيد مير علي الطباطبائي ١١٦١ـ ١٢٣١ هـ إبن أخت الوحيد البهبهاني وهو شرح لكتاب المختصر النافع للعلامة الحلي، يعتبر دورة فقهية كانت تدرس في الحوزات قبل أن يحل محلها كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري.

يدرسونه بجلديه، فهل يتعين علينا أن ندرسه في الوقت الراهن، كما أنهم كانوا يدرسون «القوانين» و«الفصول» وقد نسخت دراستهما حالياً، فأي إشكال في ذلك؟»[1].

هـ ـ وهناك من يخالف اعادة النظر في المناهج الدراسية بحجة أنّ ذلك يؤدي إلى تهميش الكتب، وميل الطلاب إلى الدعة:

«في أحد الأيام قال لي صديق من الذين أعتزّ بهم كثيراً: لا يصحّ لنا أن ننتج في الحوزة بضاعة بلاستيكية، فلابد من قراءة المطوّل، ثم المعالم، وبعده القوانين وهكذا، من البداية حتى النهاية، فأجبته: لا اقول أنتجوا بضاعة من البلاستيك، وإنما أقول: في العالم المعاصر أخذوا ينتجون من مادة أصلد من الحديد صحيفة أرقّ من الورق!»[2].

هذه هي أدلة دُعاة الإبقاء على المناهج الدراسية القديمة، وهي كما ترون لا تصلح دليلاً على مواصلة الوضع الراهن، وعليه يعد التغيير الدقيق والشامل والعاجل في المناهج الدراسية من أولويات النظام التعليمي في الحوزة العلمية.

ينبغي في تغيير المناهج الدراسية مراعاة الأسس العامة في منهجة وتدوين الكتب التعليمية، حيث لابد من ملاحظة القيم والبنية التاريخية للحوزة في تدوين المنهج التعليمي المناسب.

وقد ذكر سماحة القائد عدة أمور في هذا المجال:

* إنّ تغيير وتدوين المناهج الدراسية من جملة وظائف مديرية الحوزة، ولهذا الكلام جنبتان:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في علماء ومدرسي الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٠/١٠/٣٠هـ ش

الأولى: الحيلولة دون وقوع الفوضى في النظام الدراسي في الحوزة.

الثانية: بيان وظيفة مديرية الحوزة الحساسة، وهو الأمر الذي طالَبَ به سماحته مديرية الحوزة لعدة سنوات، ويرجو تنفيذه:

«أفهل يمكن لهذه الطاقات الإنسانية مع ما لها من الكفاءات، أن تكون عاجزة عن إبداع الكتب الدراسية الجديدة؟ فلابد لمديرية الحوزة أنْ تضطلع بهذه المهمة»[1].

* إنّ اعادة تدوين المناهج الدراسية وتنظيمها عمل جماعي وليس فردياً، وعليه فقد أكّد سماحته على تأسيس مجاميع اختصاصية لهذه المهمة، معتبراً العمل الفردي في هذا الخصوص عملاً ناقصاً ومبتوراً.

تحتوي المناهج الدراسية المعاصرة على دقائق وظرائف، لا يمكن للرؤية الفردية أن تسيطر عليها وتدرجها في عملية التدوين؛ ولذلك يتم رصد اللجان التي تلاحظ كل واحدة منها مراحل التدوين والتبويب في الكتب الدراسية من خلال هيمنتها العلمية وتخصصها، ليتمّ عرض الكتاب الدراسي خال من النواقص.

وهذه المهمة تتجلى في المناهج الدراسية في الحوزة بشكل أكبر، لمْا يُحدثه التغيير فيها من آثار شمولية تترك بصماتها على مستقبل الحوزة والفَكر الديني؛ ولذلك يجب تجميع الخبراء من ذوي الاختصاص من مختلف الجهات؛ كي يشاركوا في عملية تدوين المنهج الدراسي المناسب للحوزة:

«يجب تأسيس لجنة من كبار الفضلاء في الحوزة العلمية، لتكتب دورة فقهية من الطهارة إلى الدّيات بأسلوب مبسّط لتقوم مقام «شرح اللمعة» مع بيان

---

(١) المصدر السابق.

كيفية الاستدلال، ولجنة أخرى تقوم بالعملية نفسها بما يتناسب وكتاب «المكاسب»[1] ليتم تدريس هذين الكتابين في الحوزة العلمية»[2].

وكما تشاهدون فإن سماحته يؤكّد على تشكيل اللجان المختصّة في تدوين المناهج الدراسية، وقد أكّد ذلك بصراحة في كلمة قال فيها:

«طبعاً هناك من قام بمثل هذه الأمور بإخلاص وشعور بالمسؤولية فألّف ولخّص وجاء بكتاب جديد ودرس جديد، أو جاء بمطلب جديد، إلاّ أنه عمل فردي، والعمل الفردي لا يؤدي إلى شيء، فلابد أن يكون العمل جماعياً»[3].

يجب على لجنة تغيير الكتب الدراسية في الحوزة أن تقوم باختزال وقت التعلّم، بأن تدون الكتب على أساس ايصال أكثر المطالب في أقصر مدّة زمنية إلى الطالب، واختصار فترة التعليم إلى أقل ما يمكن:

«لابد من التغيير في الكتب الدراسية، وأن يُراعي هذا التغيير الاقتصاد في وقت الطالب، فإن الطالب يدرس حالياً كتاب «المغني» في حين أنّ المقدار الضروري من المغني موجود في كتاب أصغر حجماً منه وبأسلوب في غاية الجودة، وقد كتبه مؤلف معاصر، فأي ضرورة تلزمنا بقراءة كلام ابن هشام»[4].

إنّ من معطيات التعجيل في عملية التعليم توسيع وقت طالب العلم، وسيتمكن من استغلال وقته في تعلّم العلوم الضرورية أو اللازمة أو التي تحظى بالأولوية، ويضيفها إلى معلوماته، ويرفع من مستوى قدرته وعطائه:

---

(١) كتاب المكاسب للشيخ مرتضى الأنصاري ١٢١٤ـ ١٢٨١ كان وما زال من أهم الكتب الدراسية في الحوزة حيث يحتوي على ثلاثة فروع هي المكاسب المحرمة والبيع والخيارات.

(٢) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

(٣) كلمة في علماء ومدرسي الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

(٤) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

«لو استطعنا اختزال المدة الزمنية، فسوف يتمكن الطالب من تعلّم أمور أخرى في تلك المدة، ولو قلنا حالياً: على الطالب أن يتعلم اللغة الأجنبية في هذا العصر الذي هو عصر الارتباط بين العلوم ليغدو نافعاً بشكل كامل، لقيل لنا: إنّ وقت الطالب لا يتّسع لتعلّم مثل هذه الأمور، وهو كلام صحيح، إلاّ أننا لو اقتصدنا في وقت الطالب لأمكنه أنْ يتعلّم اللغة الاجنبية أيضاً»[1].

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ.ش.

المقالة الرابعة

المنهج التحقيقي

- أهداف التحقيق الحوزوي
- المنهج التحقيقي المطلوب
- الانتاج الفكري والثقافي الواسع

إنّ بقاء الحوزات الدينية رهن بالبحث والتحقيق، وبـذلك تظهـر مـواطن قوّتها وضعفها أو صعودها وأفولها، ويتجلّى الإبداع والابتكار فيها من خـلال حجم عطائها الكمّي والكيفي من التحقيقات الجديدة والعميقة:

«انظروا إلى حجم ما تركه علماؤنا السابقون لأهـل زمـانهم مـن الانتـاج العلمي والفقهي والكلامي»[1].

ومن جهة أخرى فإنّ سهم الحوزة من التحقيقات في فترة الركود لا يبدو كبيراً، فترى شحّة في العطاء العلمي على الصعيد الكمّـي، وقلّـة إبـداع علـى المستوى الكيفي.

وعليه لابد لايجاد التحوّل في الحوزة من النظـر إلـى منهجهـا التحقيقـي بجدّية، واعتباره القلب النابض الذي يمدّ نظام الحوزة بالحياة، ولابد لنـا مـن التخطيط بشكل أساسي لإقامة صرح تحقيقي قوي في الحوزة، وعقـد العـزم على تربية وإعداد المحققين الأكفاء.

وقد قال سماحة القائد في شؤون الحوزة المختلفة:

«الأمر الآخر هو التحقيق والتأليف في المسائل العلمية، سـواء تلـك التـي تعرض على الحوزة من خارجها، أو ما كان ينتج فيها من الداخل، وما يحتـاج إليه المحققون والمؤلفون في الكتابة، أو تلـك الكتـب التـي توضـع لخـارج الحوزة، أو الكتب المشتملة على تحقيقات جديدة في المسائل الفقهية وتبـيّن أساليب الاستنباط الحديثة، أو الكتب الدراسية»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في ممثلي الطلاب والفضلاء في حوزة قم العلمية، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٧هـش.

يجب على نظام التحقيق في الحوزة مضافاً إلى تلبية الحاجات الداخلية أن يكون دعامة حصينة للمجتمع والنظام في معضلاتهما الفكرية، ويقيم برنامجه وأعماله على أساس ذلك، فيقوم بإحصاء المشاكل الفكرية والدينية فيناقشها علمياً على أساس الضرورة والأولوية:

«نرى أنّ الطاقات الإنسانية التي تمخّضت عنها الحوزة هم الفقهاء العظام في الدرجة الأولى، وفي الدرجة الثانية التي لا تقل عن الأولى في الاهمية، هم المحققون والأساتذة الذين يبقون في داخل الحوزة، لدفع عجلة العلم وابداء تحقيقات جديدة، فربما يكون هناك مرجع للتقليد، أو عالم كبير قد شغلته أُمور السياسة والمجتمع، ليس بالضرورة أن يساوي عطاؤه العلمي والعملي، عطاء ذلك المحقق الجالس في الحوزة لمجرد دفع عجلة العلم، وتخويله حلّ ما يعرض علينا من المشاكل العلمية، ليحقق فيها فترة ثم يقدم ما توصّل إليه للحوزة العلمية»[1].

أهداف المنهج التحقيقي في الحوزة

لابدّ لبناء الحوزة التحقيقي أنْ يحدد أهدافه الأساسية؛ ليتحرّك بها نحو برنامج متماسك صحيح، إذ لم تسلك الحوزة هذا الأسلوب المعقول برغم بساطته وبداهته؛ ممّا سبب قلّة في العطاء أو تشتت فيه.

إنّ نظام التحقيق الحوزوي مضافاً إلى تلبية الحاجة التحقيقية في داخل الحوزة، يتكفّل أيضاً برفع الحاجات في خارج الحوزة، وإنّ أهم الأهداف التحقيقية في القسم الأخير ما يأتي:

١ـ ترسيخ الفكر الديني:

لابدّ للتحقيق في الحوزة أن يسير نحو تعميق الفكر الإسلامي، فيعطي الاعتقادات البسيطة معنىً ومفهوماً عقلانياً، ويضيف إلى دائرة المتبنّيات

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٢/٦/٢١هـ ش.

والمعتقدات الدينية الأصلية في المجتمع كمّاً وكيفاً، ويقلل من التفكير السطحي والساذج في رقعة الدين، ويعمل على إعداد أرضية ثابتة وغير قابلة للإختراق فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية في المجتمع.

وهذه المهمة تفرض على النظام التحقيقي في الحوزة أن يقوم بدراسة العقائد الدينية الأصلية والراسخة، ويخطط لكل واحدة منها على مختلف الأعمار؛ بغية تجذير الوعي الديني في المجتمع:

«إنّ ما نحتاجه لمجتمعنا في الوقت الراهن، ويجب على الحوزة القيام به هو ترسيخ الفكر الإسلامي في أذهان الناس، فإنّ مجتمعنا حالياً مجتمع إسلامي وثوري بتمامه تقريباً... وقد تجذّرت فيه مسألة القيادة الإسلامية والجهاد ومواجهة أعداء الإسلام والتوحيد بمعناه العملي، ولكن السؤال هو حول نسبة الذين ترسّخت في أذهانهم هذه المسائل بحيث لا تزول عند طروّ التشكيك والوسوسة، فهل تمّ التفكير في هذه المسألة بشكل جادّ؟

من بين كل هؤلاء الشباب المتدين الذين ذهبوا الى الجبهات؛ ما هي نسبة الذين لا يمكن أن يتراجعوا عن الطريق الصحيح عندما تبدأ الأيادي الضالة ـ وهي تعمل على ذلك ـ بالعمل على حرفهم؟ إنني أتصور أنه مهما كانت نسبة هؤلاء عالية، فهناك نسبة عالية أخرى معرّضة للتأثر بالافكار المنحرفة، مما يدل على أهمية ترسيخ الفكر الإسلامي في الاذهان»[1].

لا يمكن تلخيص الأسس الإسلامية في بعض جمل اعتقادية بسيطة؛ لأنها تشمل مساحة واسعة وتغطي موضوعات ومحاور متعددة، يلاحظ وجود حالات من عدم الوعي أو السطحية والسذاجة في كل واحد من هذه الأصعدة مما يتعين على الحوزة رفعها بإصداراتها المناسبة، وأن تجتهد في ترسيخ وتجذير بنية دائمة من المعتقدات الدينية في المجتمع:

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـش.

«لابد من تجذير جميع الأصول الإسلامية في الأذهان، ومن تلك الأصول: أنّ الحكومة في المجتمع الإسلامي تنشأ وتتفرع عن الحاكمية الإلهية، وأنّ حكومة ما سوى الله على الإنسان تتنافى مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1]، ويجب الوقوف بوجهها.

فلا شك في كون ذلك من الأصول الإسلامية الراسخة في أذهان شعبنا في العصر الحاضر، فتشاهدون أنهم يواجهون الاستكبار العالمي؛ ولابدّ من تجذير ذلك. وكذلك مسألة عدم الفرق بين إنسان وآخر في المجتمع الإسلامي القائم على الوحدة، إلاّ بالتقوى، لابد من إثباته في أذهان الناس عن طريق الاستدلال المنطقي؛ بغية ترسيخه وتعميقه وتجذيره.

وكما أنّ هناك سنناً طبيعية لا تتخلّف كقانون الجاذبية وغيره من القوانين، هناك سنن تاريخية أشار اليها القرآن الكريم بقوله: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾[3].

ولو استطعنا معرفة تلك السنن والقوانين لأمكننا ادارة مجتمعنا وهدايته على أساسها، وإلا أصابنا الضياع كمن يتيه في الصحراء وليست بحوزته بوصلة تحدد له الاتجاه الصحيح، فما هي تلك السنن؟

إنّ مثل هذه القضايا التي يؤمن بها شعبنا اليوم ويتقبّلها، تعزى الى الايمان الصادق والعواطف القلبية، لا إلى ثبات العقيدة ورسوخها ونفوذها في الذهن. لدينا الكثير من هذه النماذج، فمن الذي يتكفّل باصلاح هذا الواقع؟

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الأحزاب:٦٢

(٣) فاطر: ٤٣

لا شك أن ذلك موكول إلى علماء الدين والحوزات العلميـة، واذا أرادت الحوزة القيام بهذه المسؤولية، فعليها أن تبدأ بعمل فكري في داخلها»[1].

٢ـ مواجهة الشبهات:

من الطبيعي أن تظهر في المجتمع أسئلة دينية وعقائدية، حيث تطرأ على كل شخص في حياته بعض الاستفهامات في الاصول والفروع وأُمـور الـدين الأخرى، وقد امتزج هذا الشيء الطبيعي فـي عـصرنا بحادثـة اسـتثنائية؛ مما أوجد ظروفاً خاصة في التاريخ الديني لمجتمعنا الإسلامي.

لقد أثار تغيّر الموازين لصالح القوى الغربية، وضـعف العـالم الإسـلامي، آلاف الشبهات التي لا تمتّ إلى طبيعة مجتمعنا وثقافته بصلة، بـل مـصدرها من ثقافة الغرب وتاريخه، وقـد تـسرّبت إلـى مجتمعنـا كـسائر المنتوجـات الغربية، بل قد يتصور الفرد نفسه أنه يحمل هذه الشبهات في ذاته، غافلاً عن أنّ مصدرها من الخارج.

إنّ الحوزة حالياً تواجه كلا هذين النوعين من الاسئلة، وعليها أن تجيـب عنهما؛ عملاً بوظيفتها في صيانة الهوية الدينية والثقافية لمجتمعنا، وحفظه من الأزمات والشكوك والاضطرابات الفكرية والنفسية، وتعميق اليقـين والايمـان في كيانه:

«عندما نلقي نظرة عـابرة علـى مجتمعنـا وتاريخنـا، نـشعر أنّ مجتمعنـا سيتعرض في المستقبل إلى شبهات قد لا تكون سيئة ومرّة، ولكنهـا تـستدعي أداء بعض الواجبات. وطبعاً هناك بعض المسائل حتـى فـي وقتنـا الحاضـر، إلاّ أنّ حرارة الثورة في الناس وخاصة وهج الحرب أدّى إلـى تجـاوز الكثيـر

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد المقدسة، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هش..

منها، ولكن قد تستدعي هذه المسائل في المستقبل نشاطاً أوسع من قِبَل علماء الدين.

إنّ الحماس وتفجّر الأحاسيس يقوم دائماً بعمل الجرّافة التي تشقّ طريقها باقتحام العقبات والموانع؛ لتعد الأرضية لقيام بناء جديد، فيقع العمل الشاق على عاتقها، وأما دقائق البناء وظرائفه فهي بحاجة إلى أمور اُخرى، فإن الحماس وإنْ كان عنصراً مهماً إلاّ أنه ليس كل العناصر، فربما عرضت لأفراد المجتمع وراء هذا الحماس في المستقبل أو حالياً بعض المسائل التي يريدون جواباً لها، وعلينا نحن علماء الدين أن نجيب عن أسئلتهم.

فلابد من بناء جهاز يعالج هذه القضايا بأسلوب هادئ، ويعالج القضايا قضية بعد أخرى، من خلال دراستها وبيان أحكامها»[1].

٣ـ تلبية حاجة النظام:

إنّ للحكومة الدينية حاجات طويلة الأمد، يتعيّن على النظام التحقيقي في الحوزة ادراجها ضمن وظائفه وواجباته، والتخطيط لتلبيتها بالشكل المناسب.

إنّ النظام الإسلامي تجربة جديدة ويافعة في البلاد، فبعد مضي قرون انتقلت السلطة والإدارة إلى حكومة ترى نفسها مخلصة لاحكام الشريعة والقيم الدينية، وتحاول تطبيق الآيدولوجية الدينية في البلاد وعلى نفسها؛ مما أدى إلى اللجوء إلى الحوزة دائماً وفي مختلف المسائل، واستمداد العون منها بوصفها المرجع في حلّ المعضلات الفكرية والدينية.

إنّ هذه الحاجة تفرض نفسها في مختلف الأبعاد، وتضاعف من مسؤولية الجهاز التحقيقي في الحوزة، وتوفّر للمحقق فرصة التحقيق، ووضع ما توصّل إليه في خدمة ترويج الدين في أوساط المجتمع، وإثبات فاعلية النظام

(١) كلمة في علماء غرب طهران، بتاريخ ١٦/ ٢/ ١٣٦١هـ ش.

الإسلامي والأجيال القادمة، عن طريق نقل الأبحاث ونتائجها إلى النظام الإسلامي وتأثيرها على كافة أفراد هذا المجتمع، بل وحتى المجتمعات الأخرى:

«إنّ من الجفاء والخطأ أن نقوم بشيء غير العمل على استخراج الأفكار والأحكام الإسلامية الثابتة، فلو ضحّى عالم الدين بجميع مُتَعه وراحته من أجل هذا العمل، لا يكون عمله هذا قد ذهب هدراً.

كان العالم في السابق يحبس نفسه في حجرة عازفاً عن جميع ملذّات الدنيا ليكتب حاشية أو شرحاً على كتاب فقهي كالشرائع [1] أو العروة، فيخرج بعد عشر سنوات أو خمسة عشر عاماً بدورة فقهية استدلالية قوية، من عشرة أو خمسة عشر مجلداً هذا طبعاً إذا وفّى عمرُهُ وتلطّف الله عليه واستطاع إنهاء العمل ولم ينتقل قبل إتمامه الى الجنَّة، فما هو تأثير فعله هذا؟ هذا الشخص الذي يبذل كل هذا الجهد والسعي، ويعكف على الاستنباط وتتحطم عظامه ويستنشق دخان المصباح كما في القول الدارج، ما هي ياترى المديات التي سينتشر فيها جهده هذا؟

لو أراد هذا العالم أن يعمل حالياً بما يتناسب وهذا العصر، عليه أن يوقن بأن جميع لحظات حياته التي يصرفها من عمره، ستؤدي إلى انعاش حياة آلاف الناس»[2].

---

(١) كتاب شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام لمؤلفه أبو القاسم جعفر بن الحسن المعروف بالمحقق الحلي من الكتب الدراسية في الحوزة العلمية ومن أهم المتون التي يقوم عليها البحث الفقهي العالي.

(٢) كلمة في علماء محافظة اردبيل، بتاريخ ١٣٦٦/٤/٣٠هـ.ش.

المنهج التحقيقي المطلوب

إنّ وصول المنهج التحقيقي إلى الأهداف المذكورة يعدّ عملاً ضرورياً وشاقّاً في الوقت نفسه، فهناك شرخٌ بين طبيعة التحقيق في الحوزة وهذه الأهداف، إذ لا تتمتع الحوزة بالقوة المطلوبة في أي واحد من الأبعاد الثلاثة التي تقدّمت الإشارة اليها سابقاً.

وللتوصّل إلى منهج تحقيقي مثمر لابدّ من ملاحظة الأمور التالية:

١ـ الإكثار من الأعمال الجماعية: يميل المنهج التحقيقي في الحوزة إلى العمل الفردي، حيث يختار الفرد موضوعاً، ويقوم بالبحث عن الامكانات التحقيقية بمفرده، ويباشر تنظيم التحقيق بنفسه، مستنداً في ذلك إلى تتبّعه ونتاجه الفكري دون مساعدة أو مشورة شخص آخر.

إنّ التحقيق الفردي ـ وهو التقليد المتّبع في الحوزة ـ برغم ما له من المزايا قد أوجد نواقص وآفات جمّة للتحقيق الحوزوي، يتجلى أوّلها في اختيار الموضوع، حيث أدّى المنهج الفردي مراراً إلى اختيار الموضوعات المنسوخة وغير المبتلى بها، حيث يتّبع المحقق في ذلك ذوقه الشخصي أو غير ذلك ليختار موضوعاً لا أهمية له.

ولا تقتصر نواقص العمل الفردي في المنهج التحقيقي في الحوزة على اختيار الموضوع، بل تتعدّاه إلى ضعف الاسلوب والمحتوى وعدم الاستفادة من المعلومات في الوقت المناسب؛ مما يؤدي إلى ضياع الفرص بشكل متلاحق لانشغال المحقق في أمور صغيرة وتافهة.

وعليه لابد لمنهج التحقيق في الحوزة أن يسير نحو العمل الجماعي، من خلال تفهّم الأفراد ما في الاستشارة الجماعية من فوائد، وحتى لو قُبل من شخص أن يقوم بعمل فردي فعليه أن لا يحرم نفسه من استشارة الآخرين فيما يتعلق باختيار الموضوع وتصميمه والاساليب المتّبعة، ومقوّمات التحقيق

الأصلية والكلية، والاستفادة من الامكانات الجانبية وما إلى ذلك، فعليه أن ينتفع من مزايا الاستشارة في جميع هذه المراحل.

وقد أشار سماحة القائد إلى نواقص النزعة الفردية في النظام الحوزوي، قائلاً:

«إنّ أعمالنا ليست جماعية، وقد ذكرت مرة: إننا نشبه في هذا الجانب أبا ذر الغفاري ﵁: الذي «يعيش وحده ويموت وحده»[1]، فنتلقى الدرس من الاستاذ بمفردنا، ونقرأ بمفردنا، وأن مذاكرتنا وإن كانت تتألف من شخصين إلاّ أن كلاً منّا على انفراد، أي لا يوجد بيننا اشتراك فكري، فمرّة يكون«زيد» هو الاستاذ، و«عمرو» يصغي إليه، ومرّة يكون «عمراً» هو الاستاذ، ليغدو «زيد» مستمعاً، وهذه هي حقيقة العمل الفردي.

وأما العمل الجماعي، والمساعي المشتركة، وتوفير الأدوات المناسبة، فهذه كلها من الممارسات الحديثة في العالم، وحين أقول حديثة فإنَّ هذا الجانب منها ليس حديثاً جداً، بل هو قديم تقريباً، ومع ذلك لا نزال غير مطلعين عليه كما ينبغي»[2].

٢ـ الادوات والاساليب المناسبة:

إنّ لمنهج التحقيق في الحوزة نزعة تلقيدية، فتراه شديد التمسك بالقديم، ويتعامل مع كل ماهو جديد بسوء ظن، مشككاً في نفع المستحدثات وجدواها، وبعدم التصديق بما يؤدي إلى تسريع واتقان التحقيق؛ مما يحول دون استعمالها والتقرّب منها، ويؤدي إلى غلق باب الاستفادة من الامكانات الجديدة في وجهه:

---

(١) قال رسول الله ﷺ لأبي ذر في غزوة تبوك «يا أبا ذر تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك وتدخل الجنة وحدك...» منتهى الآمال ص٢٣٢.

(٢) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية، بتاريخ ١٣٧٠/١٢/١هـش.

«بالإمكان حالياً إدخال مكتبة عظيمة في بضعة أقراص صغيرة، وقد قيل: إنّ أبا الفرج الاصفهاني كان يحمل كتبه على أربعين بعيراً في أسفاره، أين أنت الآن يا أبا الفرج؟ استيقظ من نومك وانظر كيف يمكن ادخال أربعة آلاف كتاب، بل اربعمائة ألف كتاب في قرصٍ صغير، والوصول إلى كل موضوع أو مطلب بسهولة.

فلابد من الاستفادة من هذا التطور، ولكننا للأسف الشديد لم نتعلّم ذلك ولم نتعوده، ولا زلنا نرغب في تصفّح الكتاب ورقة ورقة!

كان المرحوم والدي في البداية لا يبدي اهتماماً للكتب المطبوعة ـ إلاّ أنه تغيّر في الفترة الاخيرة ـ بل لم يكن يحبّها، وكان يفضّل الكتب ذات الحجم الكبير، فمثلاً كانت طبعة الشهيدي للمكاسب موجودة في البيت إلاّ أنه لم يكن يحبها، وكان يتصفّح المكاسب القديمة، انظروا إلى مدى التعلق والأنس.

ونحن الآن نعيش نفس الذهنية، فلا توجد لدينا رغبة في استعمال الادوات المعاصرة، فلابد لنا من ممارستها والاعتياد عليها، حتى تتم الاستفادة منها، والحصول على منافعها الكبيرة والجمّة»[1].

إنّ الاساليب التحقيقية القديمة في الحوزة تؤدي إلى اتلاف الفرص والطاقات وتَحوْل دون وصول النظام التحقيقي في الحوزة إلى المعطيات المناسبة في مدة قصيرة، حيث تضيع أوقات المحققين في أمور تافهة وجزئية كالبحث عن كتاب أو العثور على مصدر وما شاكل؛ ذلك مما يقلل من نتائج التحقيق:

«هناك كتب لا يوجد فيها حتى ترقيم للصفحات، فيوجد عندي كتاب «المسالك»[2] **بمجلدين في حوالي ألف صحفة أو أكثر، ومع ذلك لايوجد فيه**

(١) كلمة في تفقد مركز التحقيقات الكامبيوترية للعلوم الاسلامية، بتاريخ ١٣٧١/١٠/١٤هـ ش.

(٢) كتاب مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام تأليف الشهيد الثاني رحمه الله.

ترقيم؛ مما يجعلني في حيرة عند الارجاع إليه، أو كتاب «الجواهر»[1] الذي يبلغ أربعين مجلداً، والذي هو صندوق للمجوهرات حقاً، إلاّ أنّ فهرسته لا تغطي سوى عشر المطالب الموجودة فيه، بحيث لا تشبع حاجة القارئ، فلابد من البحث في طيّات صفحاته واستهلاك الساعات الثمينة من العمر في البحث عن المراد، مّما لا ينبغي للعالم والفاضل أن يستهلك وقته الثمين فيها»[2].

إنّ الشرخ الموجود بين التحقيق في الحوزة الدينية، والأنظمة العلمية والتحقيقية في العالم من السعة والعمق بحيث يعتصر له قلب المرء ألماً.

وقد أشار سماحة القائد إلى تقدّم النظام العلمي التحقيقي في العالم وتخلّف الحوزات العلمية في هذا المجال قائلاً:

«عندما أفكر في ما نقوم به من الأعمال الابتدائية يعتريني فرح، ويعتصرني ألم في الوقت نفسه، إذ أرى ما توصّل إليه العصر من الحاسوب ومجال استعماله، والفوائد الحاصلة منه، والمراحل التي وصلت إليها هذه العلوم الدقيقة، وكيف أخذ يدير كفّة حياة الناس والعلوم والمؤسسات العلمية نحو الآفاق البعيدة، في حين لا نزال في بداية الطريق.

لو أردنا الذهاب مثلاً إلى المدرسة الفيضية[3] تعيّن علينا ركوب السيارة دون أن يقال: إنّ السيارة من منتجات العلوم الجديدة والتقنية المعاصرة، فلا تجدينا نفعاً ولابد من الذهاب إلى المدرسة مشياً على الأقدام، اذاً لابدّ من الاستفادة من جميع العلوم الجديدة والتحليق بجناحها للوصول إلى الاهداف المنشودة»[4].

---

(١) كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام من أهم الكتب واقيمها في الحوزة للشيخ محمد حسن النجفي.

(٢) كلمة في تفقد مركز التحقيقات الكمبيوترية للعلوم الاسلامية، بتاريخ ١٣٧١/١٠/١٤هـ ش.

(٣) مدرسة خاصة بطلاب العلوم الدينية تقع إلى الشمال من حرم السيدة المعصومة عليها السلام وتعتبر من قلاع الصمود في وجه الطواغيت.

(٤) كلمة في تفقد مركز التحقيقات الكمبيوترية للعلوم الاسلامية، بتاريخ ١٣٧١/١٠/١٤هـ ش.

إنّ طريق العلاج يكمن في مواكبة العصر وتلافي الماضي، وعقد العزم على استعمال الأساليب التي أثبتت فاعليتها في مجال التحقيق بعد تطبيقها على المسائل التي يراد التحقيق بشأنها، وإغناء النظام التحقيقي في الحوزة بدعامة قوية في مجال الامكانات التحقيقية، وافتتاح مكتبات قوية وغنية ومجهزة بأحدث النماذج العلمية ونحوها، إلى جانب المؤسسات الحوزوية الأصلية، وتأسيس مركز فعّال في مجال تبادل المعلومات، وربطه بالمؤسسات التحقيقية في الداخل والخارج ووضع نظام متقن ومدروس له، وتوسيع الاستفادة من أدوات التحقيق من قبيل الحاسوب ونحوه، واعداد الارضية للاستفادة القصوى منه:

«يجب على هذه المؤسسة التي ترنو إليها أعين العالم، والتي تشكل موضع أمل البلاد في الحاضر والمستقبل أن تواكب الشرائط والظروف والتطور الحاصل في عصرنا، ولا يصح لنا في عالم حلّ فيه الحاسوب، فتجاوز الساعات والدقائق ليفتح حساباً للثواني والطاقات، أن نرزح في اتباع الاساليب القديمة التي كان كبارنا يتبعونها لقصور يدهم، فإن ذلك لايمكن أن يكون صحيحاً، بل لا يجوز أصلاً»[1].

٣ـ تأسيس المراكز التحقيقية والتخصصية والإكثار منها:

على الحوزة أن تعقد العزم على تأسيس المراكز التخصصية المتعددة، وفي مختلف المواضيع كالفقه والكلام والأخلاق وغيرها، وأن تزوّدها بمختلف المشارب، وتعهد اليها بمهمة الإجابة عن الأسئلة، وتلبية حاجة المجتمع والنظام.

ففي الظروف الراهنة، حيث القسم الأعظم من التحقيقات فردية، وأحياناً في مراكز مختلفة وميول غير محددة، لا يغدو بإمكان المجتمع ولا النظام أن

---

(١) كلمة في المدرسة الفيضية بحضور طلاب العلوم الدينية، بتاريخ ١٣٧٠/١٢/١هـ ش.

يعرف بدقّة الملاذ التحقيقي الذي يمكن اللجوء إليه في حلّ معضلاته الفكرية مما يؤدي إلى عدم معرفة المسؤولين في النظام بالطرق الصحيحة للحصول على الأجوبة من الحوزة، ويؤدي أيضاً إلى عدم وضوح وضع الحوزة في ارتباطها التحقيقي بالنظام.

مما يؤدي في النتيجة إلى استياء المسؤولين في النظام من عدم اهتمام الحوزة بمشاكل النظام الفكرية والفقهية، ناسباً ذلك بعضهم إلى عدم كفاءة الحوزة من جهة، وإلى حرمان الحوزة من تقبّل المشاريع المناسبة التي يمكن للمجتمع والنظام اقتراحها عليها.

إنّ جذور هذا الانفصال تكمن في توجيه الدعوة من قِبَل المسؤولين في النظام بشكل عام، دون تحديد المخاطَب، فهي أقرب إلى الإعلام منها إلى افتتاح الأعمال العلمية، إذ لا توجد هناك مراكز محددة ومعروفة، مما يؤدي إلى بقاء هذه الدعوة العامة على مستوى الشعار دون أنْ تتقدم إلى الأمام.

إنّ تأسيس المراكز التخصصية التحقيقية والإعلان عنها بشكل واضح تساعد النظام والمجتمع في التعرّف على هذه المراكز، ويؤدي إلى فتح قناة بين الحاجات الموجودة والتحقيقات الحوزوية:

«لابد للحوزة من مراكز تحقيقية متعددة، لتعمل في جميع هذه المجالات، كمجموعة انتاجية منظّمة ومتطورة، بحيث لو عرضت للجهاز مسألة ـ من قبيل الأرض والموسيقى، وفي نطاق أوسع في النظام الاقتصادي والعلاقات الخارجية والارتباط بالامم والمسائل النقدية، وقيم مسؤولي الدولة ومئات المسائل من هذا النوع والتي تواجه كل جهاز من الناحية المبنائية، إننا على أي أساس نضع القوانين والمقررات الادارية، وما هو الأساس في عملنا ـ لعلم أنّ هناك مركزاً يتكفّل الإجابة عنها»[1].

(١) كلمة في ممثلي الطلاب والفضلاء في الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٧هـ ش

٤ ـ الابداع والابتكار:

لا ينبغي للنظام التحقيقي في الحوزة أن يقصر النظر على إحياء وتكرار مؤلفات وأقوال الماضين، ويتوقف على اجترار التراث القديم، كما أنّ انتاج الفكر المشابه والمكرر يوسّع من شبهة أنّ الغور في بحر الدين لا يعود علينا بشيء جديد، وهذه شبهة خطيرة لها عواقب سيئة على الحسّ الديني في مجتمعنا.

وعليه يجب على نظام التحقيق في الحوزة أن يتّجه نحو تشجيع الأفكار الخلاّقة والباحثة والمبتكرة، ويقوم على دعمها مادّياً ومعنوياً، ويُعدّ لها الأجواء اللازمة للتحقيق، ويساعدها في الوصول إلى الرؤى الجديدة. مما يشكل منعطفاً في فَهْم الدين، ويعدّ خطوة جادة نحو بلوغ قمة البحث الديني، ويستعرض كفاءة الدين في المنعطفات الزمانية، ويظهر معارف الوحي اللامتناهية لينتفع الناس بها:

«إنّ الحوزة العلمية مصنع بشري عظيم يجب عليه أن يكون دائم الانتاج، فعلى الحوزة أن تنتج الكتاب والانسان والعالم والمتدين والمفكر والأقوال الجديدة، فإن مَعين الأقوال الجديدة لا ينضب؛ فنحن حينما نتحدث دائماً مع بعضنا نقول: كلما نراجع القرآن نعثر على شيءٍ جديد كان خافياً علينا، فلا يقولن أحد أن كل ما هو جديد موجود في الدين، فما الجديد الذي تريدون؟

نعم إنه هذا الدين الذي نفهمه بشكل صحيح، حيث بالإمكان التحدث طوال مدّة العُمر عن جدائل المحبوب، فلا ينحصر الدين في كلمات أربع نلقيها أنا وأنتم على المنابر أو نبينها في كتبنا العلمية أو التبليغية أو رسالتنا العملية بل أكثر من ذلك، فلو تقدمت إلى الأمام فإن الله سيزوّدك بكلام جديد فالأقوال الجديدة موجودة.

إننا لا نقول بأن باب العلوم قد أُغلق، فأنت بوصفك مجتهداً تبحث في مسألة ناقشها الفقهاء على مدى قرون، أملاً منك في العثور على شيءٍ جديد، وهل تترك المسائل الإجتماعية ـ أي التي قبلها جميع الفقهاء وليس المقصود الإجماع الحجة والمعتبر ـ والمسائل التي قبلها أكثر الفقهاء، أم تأخذها بالبحث أيضاً فربما توصّلت إلى ما لم يتوصّلوا إليه كما أنك تفكر في المسائل الأصولية وفي مباحث الدين العامة، وفي الفقه بمعناه الأوسع والأشمل.

فعلينا استخراج مسائلنا الاقتصادية والعسكرية والسياسية الخارجية وارتباطاتنا الأخلاقية من الدين، وعلينا إعادة النظر في كثير من مسائلنا الفردية دون مجاملة»[1].

٥ ـ الإطلاع الدقيق على الثقافة العالمية:

لا ينبغي للنظام التحقيقي في الحوزة أن يحبس نفسه في جزيرة نائية ومنقطعة عن العالم؛ ويعيش متقوقعاً حول نفسه منطوياً على ذاته، غافلاً عن الصخب الثقافي في العالم.

فعلى الحوزة أن تتعامل مع الأفكار والثقافات العالمية بانتقائية مبتنية على الرؤية الواقعية، عن طريق اجتذاب الأفكار والرؤى والأساليب الصحيحة وأن لا تبالغ بالحيطة في أخذ الحقيقة، وأن تأخذ الحكمة حيثما وجدتها لتعبّئها في خدمة الدين والمجتمع الديني من جهة، وأن تقف على نقاط الخلل والضعف في الثقافة الأجنبية وتوجد في نفسها مناعة ضد سمومها، وتسعى إلى انتاج هذه المناعة على نطاق واسع من جهة أخرى:

---

(١) كلمة في علماء ومدرسي الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش

«لابد من الاطلاع على الافكار والنظريات الجديدة في العالم بشأن علم الاجتماع مثلاً، فإذا كان فيها شيء مطلوب، بادرنا إلى أخذه والانتفاع به، وإذا كان فيها ما هو مضر، أعددنا العدّة لمواجهته قبل أن يُدهمنا»[1].

يجب على نظام التحقيق في الحوزة أن يكون على إطّلاع يومي بشأن الثقافة العالمية والسير الفكري، وأنْ لا يتعاطى مع الافكار بعد مضي عشرات السنوات وبعد غلق ملفّها العلمي، وعلى المحققين في الحوزة أن يدركوا أن التحقيق في العالم يتحرك على أساس الثواني، وفي العصر الجديد يعتبر الفكر الجديد هو ما يقال في اللحظة الاخيرة من الكلام.

فعلى نظام التحقيق في الحوزة مواكبة هذه القافلة السريعة، ويفتح طريقه بإصرار نحو أخذ المعلومات والتبادل الثقافي، حتى لا تكون أفكارها ورؤاها بمثابة جنين متخلّف ميت فاقد لمقوّمات الحياة والنمو:

«يتمّ في العالم المعاصر عرض أفكار وفلسفات في مجال الذهنيات والمسائل الاجتماعية أو التاريخ والاقتصاد، حيث يخرج بين الفَيْنَة والاخرى شخص ويكتب كتاباً، ويقوم البعض بالترويج له، وتتم ترجمته إلى اللغات الأخرى، فَيُقرأ ويُدرّس ويُفْهَم، وبعد أن تمضي عليه مدة مديدة تصل الينا ترجمته، لأقف أنا عالم الدين بعد عشر سنوات أو عشرين سنة أو أربعين سنة على أنه كان هناك في اروبا عالم أو مفكر أو فيلسوف أو متفلسف، قد تعرّض لتلك النقطة من عقائدي فأبادر إلى الإجابة عنه! أفهل يصح هذا؟!»[2].

على نظام التحقيق في الحوزة أن يقف في المقدمة من ثقافة المجتمع، وأن يعمل على التخطيط لها، ومن خلال التعرّف على الثقافة العالمية عليه تحديد المنافذ التي تتسرّب من خلالها الرياح السامّة ويحصّن المجتمع

(١) كلمة في طلاب العلوم الدينية في حوزة قم العلمية، بتاريخ ١٣٧٠/١٢/١هـ ش

(٢) المصدر السابق.

إزاءها، واعداده ذهنياً ونفسياً على عدم التأثر بها، ويخلق فيه القدرة على نقدها وتفنيدها منطقياً:

«على الحوزة أن تكون في صلب الحوادث العلمية في العالم المعاصر، فلابد لها من الاطلاع على الافكار والرؤى بشأن علم الاجتماع مثلاً، لتأخذ ما كان مطلوباً ومفيداً منها، واذا كان فيها ما هو ضار، أعدّت العدة له قبل أن يأتينا بغتة، فلابد من ايجاد مناعة في المجتمع ضدها، لا أن تترك المجتمع ضعيفاً تجاه تلك الافكار، حتى إذا قرأها جماعة وتسمموا بها وأيّدوها، نقوم عندها بالتصدي لها، فلابد من الوقاية قبل العلاج؛ لأنها خير منه»[1].

٦ـ التحقيقات المفيدة والنافعة:

لا ينبغي لنظام التحقيق في الحوزة أن ينهج منهج أصحاب الدعة والراحة في اختيار المواضيع من هنا وهناك؛ ليوسّع من ركام المعلومات المخزونة، بل عليه أن يكون وثيق الصلة بمواطن الحاجة، وأن يقوم بجمع موضوعات التحقيق على أساس المشاكل الموجودة في البلاد والنظام والمجتمع وسائر المجتمعات الأخرى، ويبادر إلى تبويبها وقياس الأولوية فيها على أساس الموازين الاصولية.

كما ينبغي على التحقيق في الحوزة عدم الاكتفاء بذلك، ولابد له من التخطيط للمستقبل والاعداد للعقود الآتية:

«نحن حالياً بحاجة إلى أشياء أخرى لمجتمعنا ومستقبلنا وهي موجودة في القرآن والسنة، وإننا إذا لم نبدأ منذ الآن بالتخطيط لما بعد خمس سنوات أو عشر سنوات ستواجهنا مشاكل جمّة»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في علماء الدين في غرب طهران، بتاريخ ١٣٦١/٢/١٦هـ ش

على نظام التحقيق في الحوزة مضافاً إلى حفظ واتقان الأمور المتقدمة، أن يسعى إلى نشر معطياته على الصعيدين الداخلي والخارجي على نطاق واسع وفي أقرب فرصة، وهذا وإن كان يبدو طوبائياً، ولكنه ليس بالمستحيل؛ إذا تمّ التخطيط له بشكل اُصولي وأساسي.

ويمكن أن تكون النقاط الآتية مفيدة في هذا المجال:

١ـ حجم التحقيق الحوزوي:

إنّ الحوزة ـ للأسف الشديد ـ لا تستفيد من جميع قابلياتها الكامنة في مسير التحقيق، فما أكثر الذين يمتلكون كفاءات قوية لا يتمّ استثمارها في مجال التحقيق، فتضيع قابلياتهم وسط صخب الحياة اليومية.

فعلى الحوزة أنْ تعيد النظر في قابلياتها الكامنة وتخطط لها بشكل مناسب، وأن تسعى جاهدة إلى اخراج ما كان كامناً في القوة إلى مرحلة الفعلية، ولابد لهذه الجهود أن تتخذ أبعاداً واسعة، وأن تضع النماذج التحقيقية في خدمة تلك الكفاءات وتغضّ الطرف عن نقاط ضعفها وأخطائها الأولى، وتعالجها بالاستشارة والنصيحة؛ حتى لا يصاب المحقق بالإحباط في بداية طريقه، بل لابد من تلقينه حلاوة التحقيق من الناحية العلمية:

«لا تتمّ الاستفادة القصوى حالياً من الطاقات الإنسانية، إذ يوجد في هذا الوقت الراهن في حوزة قم العلمية آلاف الطلاب الأذكياء والمؤمنين الذين لو سلطت الأضواء عليهم قليلاً وتمّ وضعهم في مكانهم اللائق وطلب منهم العمل المناسب، مع الحيلولة دون تضييع وقتهم في الأمور الزائدة، لتمكنوا من ملأ جزءٍ من الفراغ الموجود»[1].

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

٢ـ تقديم الاطروحة:

يمكن للحوزة من أجل تعيين المدارج والمستويات العلمية أن تتبع أسلوب النظام التعليمي المعاصر، فتجعل من كتابة الاطروحة شرطاً في الإنتهاء من المقطع الدراسي أو الحصول على درجة الاجتهاد وأمثال ذلك.

إنّ إتّباع هذا الاسلوب خصوصاً في الحوزة التي تحتوي على الارضية اللازمة للتحقيق، يمكن أن يساعد على خلق موجة هدّارة وكمّاً هائلاً من التحقيقات المفيدة والنافعة:

«يُنهي الطالب الجامعي مقطعاً دراسياً خلال ثلاثة أو أربعة أو خمسة أعوام، ثم يُعطى موضوعاً ويتم توجيهه من قِبَل الاستاذ، وفي الختام نحصل على رسالة جيدة، فلو اتبع الاسلوب نفسه في الحوزة حينما يصل الطالب إلى البحث الخارج ويقضي فيه أربع أو خمس أو عشر سنوات يعين له استاذاً موجِهاً ويُعطى موضوعاً فقهياً ليبحث فيه، وعن هذا الطريق نحصل على حل لكثير من المواضيع.

حينما يأتونني باطروحات بعض الجامعيين في المواضيع التي تشدّني أراها جيدة جداً، وأنّ هؤلاء الشباب قد عملوا بشكل جيد، وفي رأيي أن كفاءة الطلاب في الحوزة إذا لم تكن أفضل فهي ليست بأقل منهم، وأن نسبة الجهود التي يبذلونها وروح التحقيق لديهم عالية جداً»(١).

وقد اقترح سماحة القائد كتابة الاطروحة كأُسلوب لإحياء إجازة الاجتهاد، وقال في فوائد ذلك:

«ما أروع إحياء سُنّة العمل بإجازة الاجتهاد، ولكن على الطريقة التي أذكرها، وذلك بأن يراجع الطالب الفاضل استاذه إذا أحسّ بقدرته على

(١) كلمة في علماء ومدرسين الحوزة العلمية في قم، في المدرسة الفيضية، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش

الاستنباط، فيعطيه مسألة مستحدثة وغير مبحوثة، فيقوم ببحثها ويقدّمها كاطروحة من تلك الاطروحات التي يكتبها الجامعيون.. وطبعاً قدمنا هذا الاقتراح فعلى الأخوة الذين سيتولون إدارة الحوزة العلمية في قم أنْ يطالبوا المتعلمين بكتابة الاطروحة في مرحلة من دراستهم.

وأقترح الآن أن تكون هذه الاطروحة وثيقة تدل على اجتهادهم، بمعنى أن يُعطى الطالب موضوعاً فيقوم بتحقيقه والبحث فيه، وقد يشترك عدة أشخاص في دراسة واحدة ويكون على رأسهم أستاذ مشرف، وبذلك سنحصل خلال بضع سنوات على آلاف الرسائل والاطروحات الفقهية البديعة في المسائل المستحدثة، مما سيفتح لنا الطريق»[1].

٣ـ المنابر الحرّة:

إنّ إقامة الاجتماعات التحقيقية في الحوزة بشكل متواصل في مختلف موارد الحاجة، يعدّ أرضية أخرى للإكثار من المعطيات التحقيقية وبثّ روح التحقيق في الحوزة، ويمكن أن يكون عاملاً مشجعاً للفضلاء والمحققين الشباب لإقامة المنابر الحرة في التفكير الحوزوي ودفعهم للسير في التحقيق، وتكتمل أساليبهم الاستدلالية والاستنتاجية ونماذجهم التحقيقية من خلال نقد الآراء والأفكار ودراستها؛ مما يمهّد الأرضية إلى تفتّح شخصيتهم التحقيقية.

إنّ إقامة مثل هذه الاجتماعات يؤدي من جهة إلى زيادة وانتشار العطاء التحقيقي فيما يحتاجه المجتمع والنظام، وإلى إعداد وتكامل المحققين والطاقات الإنسانية في مجال التحقيق من جهة أخرى:

«خامساً: خلق أجواء مفتوحة لتنمية الأفكار، وهذا ما لابد من إيجاده في الحوزة، فهو من الأمور التي تؤدي إلى إحياء الحوزة.

---

(١) كلمة في بداية خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

وبالنسبة للفقه مثلاً، يتم تأسيس مجمع لدراسة البحوث الفقهية الحديثة يتألف من سبعة أو ثمانية أو عشرة من الطلاب الأفاضل، يكون بمثابة مركز لهم، يعقدون فيه الاجتماعات لبحث الأفكار والبحوث والاقتراحات الجديدة التي يطرحها الطلاب في المسائل الفقهية المختلفة ـ الصغيرة أو الكبيرة ـ من الطهارة الى الديات، فإن وجدوا أركانها صحيحة (وليس فقط الكلام صحيحاً) وتستند الى البحث والاستدلال الحوزوي، أدرجوه في القائمة حتى يأتي دوره في المناقشة، فيمثل صاحب البحث أمام هيئة من الفضلاء لمناقشة بحثه بشكل حر، على أن يحضر عدد من الطلاب لا يراد الاشكالات عليه، ولا ضير أن يتواجد من هو أعلم من صاحب البحث، لأنه يعمل على انضاج الفكرة وتحسينها.

وهكذا بالنسبة لعلم الكلام، ينبغي تأسيس مجمع لمناقشة الأفكار والبحوث الكلامية الجديدة، ويقوم الطلاب بتشجيع بعضهم البعض على طرح مثل هذه الأفكار، إذ يجب أن تجد هذه الأفكار الجديدة مجالاً في الحوزة العلمية حتى يتشجع الطلاب على طرحها ومناقشتها. «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»»[1].

٤ ـ الصحف التخصصية:

تُعدّ المجلات المختصّة في العلوم والفنون الإسلامية أرضية أخرى لإنتاج التحقيقات الحوزوية، فيتمّ نشر صحف مختصة في مختلف العلوم كالفقه والكلام والقرآن والحديث والفلسفة وغيرها، ويتمّ دعوة الفضلاء والراغبين إلى الكتابة فيها؛ مما يخلق فيهم القدرة على التأليف والتحقيق.

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

ولحسن الحظ، فقد تجاوزت الحوزة حالياً هذه التجربة بنجاح نسبي، ولكن لا تزال هناك علوم أخرى كالرجال والأخلاق والحديث وغيرها ماثلة أمام الحوزة، تدعوها إلى القيام بدورها ووظيفتها تجاهها.

وقبل أن يتمّ نشر المجلات الفقهية في الحوزة في الآونة الأخيرة، كان سماحة القائد قد اقترح نشر مثل هذه المجلات، معتبراً ذلك منعطفاً فقهياً:

«نحن بحاجة إلى مجلة [1] فقهية يكتب فيها المحققون مقالاتهم، فليبادر أحد الفضلاء ووجهاء الحوزة إلى تعطيل دروسه ليقوم باصدار هذه المجلة، فليست فائدة هذه المجلة في دفع عجلة الفقه الإسلامي بأقل من فائدة الدرس، وليكتب المحققون والفضلاء الموضوعات الفقهية الجديدة فيها، وليحققوا أو لينتقدوا، وليدفعوا بالفقه إلى الأمام ويعرضوا فقه الشيعة على العالم.

إنّ دوائر المعارف تدرج فقهنا بعد فقه الأباضية[2]، فلا أحد يعرف بهذا الفقه الغني ـ ولعله لا يوجد أو قلما يوجد فقه يمتلك ما يمتلكه فقهنا من كتب وتحقيقات ومتون مهمة ـ فعليكم بإظهاره حتى ينعكس في المجلات العلمية في العالم»[3].



(١) بعد كلام سماحته هذا بادرت أكثر من مجموعة من الفضلاء إلى إصدار مجلات تعنى بالمسائل المستحدثة وتعالجها بطريقة فقهية أصيلة ومن هذه المجلات مجلة (فقه أهل البيت) التي تصدر باللغتين العربية والفارسية ومجلة (حكومت اسلامي) و(مجلة العلوم السياسية) وغيرها من الدوريات.

(٢) الأباضية: وهي فرقة من الخوارج منسوبة الى عبد الله بن أباض التميمي.

(٣) كلمة في علماء، ومدرسي الحوزة العلمية بقم، المدرسة الفيضية، بتايخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

المقالة الخامسة

المنهج التبليغي

- أهمية التبليغ
- الغزو الثقافي
- فرص التبليغ المتاحة
- الحماس التبليغي
- هوية تبليغ الدين
- خصائص المبلغ
- محتوى التبليغ
- تقنية التبليغ
- المجتمع المخاطب
- التأسيس والتنظيم
- التبليغ التقليدي
- موسم التبليغ
- مكافحة الخرافات
- الهجرة التبليغية
- التبليغ في الخارج



إنّ تبليغ الدين من أهم وظائف الحوزة، وقد تصدّى لهذه المسؤولية كثير من العلماء، كما ان للتشيع تاريخاً وضّاءً في نشر الدين في المجتمعات المختلفة، الأمر الذي امتاز به الشيعة عن سائر الحوزات في المذاهب الأخرى:

«إنّ اعتلاء المنابر والارشاد الديني من أشرف الأعمال، وربما كان المهتمّ بهذه الوظيفة من أشرف الناس وأعلمهم بالمسائل الإسلامية وأكثرهم اتّباعاً للأحكام الشرعية، وعليه أن يعتزّ ويفتخر بالسير في هذا الطريق كما كان الأمر كذلك في السابق، حيث كان الشيخ جعفر الشوشتري خطيباً منبرياً برغم كونه عالماً في الاخلاق، أو المرحوم الحاج آغا رضا الهمداني الواعظ، صاحب كتاب «هدية النملة» حيث كان واعظاً وخطيباً دينياً، أو ابنه الميرزا محمد الهمداني وهو من العلماء، وأمثالهم حيث كانت الشخصيات العلمية والوجوه المعروفة بالتقوى والتدين تتصف بهذه الصفة وتفتخر بهذا الفن»[1].

أثر التبليغ

لقد بدأ الدين الإسلامي الحنيف بالتبليغ، واستفاد من عنصر الدعوة في توسيع رقعته وسيطرته، فاستطاع بذلك الوصول إلى أقصى بقاع العالم، وأخذ الناس في المشرق والمغرب ينطقون بكلمة التوحيد ويشهدون بها، وكان المؤمنون من شتى الألوان والأعراق أوراقاً لشجرة الإسلام الطيّبة.

«إنّ الدين الإسلامي هو دين الدعوة والتبليغ، فلم يكن الجهاد الابتدائي واستعمال السيف إلا بوجه الطغاة والمستكبرين الذين كانوا يقفون حجر عثرة أمام التبليغ والارشاد، فإذا لم يكن هناك مانع من هذا النوع، أو كان مثل هذا

---

(١) كلمة في علماء الدين والمبلغين على أعتاب شهر محرم، بتاريخ ١٣٧٠/٤/٢٠هـ ش.

المانع لكن الجهاد لم يكن متاحاً، فإنّ اختيار الإسلام الأول هو التبليغ والدعوة، حيث لم تخل فترة من التبليغ طوال عمر الإسلام.

انظروا كيف غطّى التبليغ للإسلام آفاق العالم، فالمسلمون في المناطق الشرقية من إيران والصين وماليزيا وأندونيسيا والفليبين، قد أسلموا متأثرين بالدعوة الإسلامية دون السيف، ولو كان لسيف السلطان محمد الغزنوي وسيوف المغول كأكبر شاه وجهانكيرشاه وأورنك زيب في الهند من أثر، فهو أثر معكوس، حيث أوجد أعداءً ألدّاء للمسلمين، وإنّ السيك الهنود هم مَنْ صنع سيف المغول.

إنّ السيف لا يجعل من الإنسان مسلماً من صميم قلبه، وعليه فإن مسلمي الهند ليسوا مسلمين بالفتوحات، بل هم مسلمون بالدعوة، اذهبوا وانظروا إلى الاحترام البالغ الذي يكنّه الهنود لمراقد العرفاء الإيرانيين هناك الذين كانوا يمارسون ارشاد الناس إلى الدين تاركين أرضهم وديارهم من أجل هداية الناس، فكان أحدهم يقيم بينهم لأربعين أو خمسين سنة يدعوهم إلى الإسلام.

هكذا انتشر الإسلام يجلب بعضه بعضاً، فإذا أسلم شخص يسلم على يديه مئة شخص آخر»[1].

إنّ الجهاد التبليغي هو مهمة الحوزات الدينية على الدوام، فعلى علماء الدين بوصفهم حملة الدين أن يرفعوا راية الدعوة إلى الإسلام خفّاقة في الداخل والخارج، من أجل بيان وترسيخ المعتقدات الإسلامية والدفاع عنها عن طريق التبليغ الشامل، وعلى نطاق واسع.

وإنّ وجوب هذه المهمة يتأكّد في الظروف الراهنة بشكل أكثر؛ حيث اتّسعت دائرة الحاجات والتساؤلات والشكوك، وازداد ضمأ الوالهين إلى سماع كلمة الإسلام الخالص؛ مما يزيد من مسؤولية المبلّغين والدعاة إلى الإسلام:

---

(١) كلمة في المسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ ١٣٧٢/٢/٦هـ ش.

«تقع الحوزة العلمية بقم في المقدمة، وتتبعها سائر الحوزات العلمية، ويجب في الوقت الراهن ـ حيث الطريق مفتوح أمام التبليغ الإسلامي، وإن صوتنا يصل إلى أقصى نقاط العالم ـ أنْ يتّم التغيير في وضعنا التبليغي عما كان عليه في السابق، حيث كان مدى التبليغ يقتصر على خمسين شخص أو مئة أو خمسمائة في الأكثر، حيث يجلسون في المسجد تحت منبر إمام الجماعة أو الخطيب بينما اليوم الجميع في بلادنا ينتظرون تبليغنا ووعظنا.

وما أكثر الشباب المتعطّشين إلى فَهْم الدين، وما أكثر الأفراد المتعلّمين والذين كانوا إلى الأمس القريب مفصولين عن الدين والمعرفة الدينية، ويسعى النظام الراهن إلى تشجيعهم على فَهْم الدين»[1].

ومن جهة أخرى فإننا نواجه في الوقت الراهن موجة إعلامية عاتية ضد الإسلام والفكر الشيعي، ممّا لم يسبق له مثيل في أي مرحلة من المراحل التاريخية، الأمر الذي يضاعف أهمية الدعوة إلى الإسلام ويؤكد ضرورة التبليغ:

«إنّ قيم بعض الأشياء ليست مطلقة حتى تكون واحدة في جميع الأماكن، فإن قيمة الماء العذب مثلاً والذي هو أساس حياة الإنسان في الصحراء، غير قيمته في المناطق المجاورة للأنهار المتدفقة، وهكذا الأمر بالنسبة إلى التبليغ، فإن قلّت الحاجة إلى التبليغ أو ازداد عدد المبلّغين، انخفضت قيمته، ولكن حينما تزداد الحاجة إلى التبليغ ويقل عدد المبلغين، فحينئذ ستكون له قيمة. ويمكن القول: إنّ الحاجة إلى التبليغ أصبحت حالياً أكثر مِن ذي قبل؛ وذلك بسبب الإعلام المضاد المجهّز بأحدث الوسائل الذي يمارسه أقوياء العالم من أعداء الدين والإسلام»[2].

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

(٢) كلمة في المبلغين الذين تمّ ارسالهم من قبل منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ ١٣٧٢/١١/٤هـ ش.

الغزو الثقافي

يواجه الكيان الثقافي في الإسلام خطراً شديداً يقرر مصيره في البقاء على قيد الحياة عزيزاً، أو تهميشه بين الثقافات العالمية المنسوخة، حيث تلبس الحروب الصليبية حالياً لباس الثقافة، كاشفة عن أحقادها الدفينة ضد الإسلام.

وإنّ سماحة القائد من جملة الذين التفتوا إلى هذه المخاطر منذ أمد بعيد، مُبيّناً أبعادها، مؤكّداً ضرورة مواجهتها، وقد تحدّث في عام ١٣٦٣هـ.ش ١٩٨٤م عند لقائه بعلماء أبناء السنة في بندر تركمن، عن هذه المعضلة قائلاً:

«إنّ من أهم واجباتكم ـ أيها العلماء ـ تربية علماء دينٍ واعين ومطّلعين، ودعم المدارس الدينية وتزويد طلابكم الشباب بمعلومات اسلامية مقنعة للعقول اليافعة، فإن أعداء الإسلام بأجمعهم سيقومون من خلال ثرواتهم الطائلة وتجاربهم الكثيرة وعقولهم القوية بتأليف آلاف الكتب والمقالات ـ مضافاً إلى ما كتبوه حتى الآن ـ بغية القاء الشبهات في الفكر الإسلامي، وترسيخها في أذهان الناس.

فمن الذي يجب عليه أن يقف بوجه هذه الهجمة الثقافية الشرسة، وأن يعزز إيمان الناس ويشحذ أذهانهم؟ هذه... وظيفة العلماء»[1].

وهذه ليست هي كلمة سماحته الأولى ولا الأخيرة في هذا المجال، حيث أخذ سماحته في الفترة الاخيرة يحذّر المثقفين من مخاطر هذه الهجمة بشكل متواصل تقريباً.

وقد قال في كلام آخر من تلك السنة:

«إذا لم نتصدَّ لهذا الغزو الثقافي والعقائدي الذي يمارسه الاستكبار العالمي، فإن الانحدار سيكون من نصيبنا قطعاً»[2].

(١) كلمة في علماء ابناء العامة في بندر تركمن، بتاريخ ١٣٦٣/٢/١٨هـ ش

(٢) كلمة في مسؤولي القسم العقائدي والسياسي لحرس الثورة بتاريخ ١٣٦٣/٣/٣هـ ش

ولكن للأسف الشديد، برغم التحذيرات والتوجيهات المتكررة، لم يُلتفت إلى عمق الخطر كما ينبغي، بل ربما قوبل بالشك والترديد، فتمّ الحديث عن التبادل الثقافي وضرورة الحوار والتعامل، حتى تمّ تجاهل موضع المهاجم الغازي، وظلت مدفعية هجومه الثقافي مستترةً حتى ظهرت آثار قصفه على جدراننا وأبوابنا.

وقد حذّر سماحة القائد من مغبّة هذا التفكير الأخرق وبطء الاستيعاب مراراً، ومن جملة ذلك قوله:

«علينا وعلى جميع العاملين في المجال الثقافي أن نعي حقيقة تعرّضنا للغزو الثقافي من قِبَل أعدائنا»[(١)].

تتركز الهجمة الثقافية على عقيدة الجيل الصاعد ودينه والنظام، حيث يبذل العدو قصارى جهوده من أجل زعزعة عقائد هذا الجيل، وسلخه عن هويته التاريخية والدينية:

«يقوم الغزو الثقافي على أساس تجريد الجيل الصاعد من الاعتقاد بالدين وأُصول الثورة والفكر الناشط الذي يخشاه الاستكبار، والذي يهدد مصالح القوى الاستكبارية»[(٢)].

وأضاف سماحته في هذه الكلمة نفسها:

«في الغزو الثقافي، يبحث العدو في ثقافته عن ذلك الشيء الذي يريد هو تقديمه إلى هذا الشعب، ومن المعلوم أي شيء يريد العدو تقديمه!!»[(٣)].

تسعى الثقافة الغازية إلى إفساد المجتمع، فتقدّم له أنواع التسليات الرخيصة، وتصنع له عوالم ضيّقة، وتغرقه في البهارج المقرفة، وتشيع الميل

---

(١) كلمة في اعضاء الشورى العالية للثورة الثقافية بتاريخ ١٣٦٨/٩/٢١هـ.ش.

(٢) كلمة في العاملين في سلك الاعلام ومدراء مناطق التربية والتعليم، ١٣٧٠/١٠/٢٥هـ.ش.

(٣) المصدر السابق.

إلى الدعة والنعومة وطلب الراحة؛ وتُشَرِّع أبواب الفساد أمام النفوس البريئة، وتَنْصُب لها الكمائن فتقيدها وتحصدها أفواجاً:

«يحاول العدو من خلال اشاعة الثقافة الخاطئة، ونشر الفسق والفجور، أن يسلبنا شبابنا، ولا يمكن تسمية ما يقوم به الأعداء من الناحية الثقافية بالهجمة، بل هو غارة وتقتيل ثقافي ذريع»[1].

إنّ الغارة الثقافية لا تكون مصحوبة بالضجيج، وقرع طبول الحرب واصطفاف الجيش المهاجم بشكل يقذف الرعب في نفوس من يريد الانقضاض عليهم، بل يأتي بكل وقار وأدب، ويقترب ذئباً بظاهر الحَمل، فلا يستولي على القلاع بالصخب والزئير، بل بالكلمة اللعوب والابتسامة المرحة:

«تتجه لحربنا حالياً جبهة ثقافية عظيمة مدعومة بالسياسة والصناعة والأموال وغير ذلك من الدعامات كالسيل الجارف، وليست هي حرب عسكرية، ولا يُعد فيها النفير العام مُجدياً، وإنّ آثارها المدمّرة بحيث إننا لا نستشعرها إلاّ بعد فوات الأوان، فهي من هذه الناحية كالقنابل الجرثومية التي تسقط دون أن يحسّ بها أحد إلاّ بعد مضي ساعات حيث تظهر أعراضها على الجلد.

وستشاهدون فجأة آثار هذه الهجمة الثقافية والاعلامية في المدراس والشوارع والجبهات والحوزات العلمية والجامعات، إنكم تشاهدون الآن شيئاً قليلاً من هذه الهجمة وستشاهدون في المستقبل ما هو أكثر، من خلال نشر كتاب أو إنتاج فيلم ويتمّ إدخاله إلى البلاد وعرضه عبر الفيديو؛ مما يعد الأرضية لمثل هذه الهجمة، وأن ما يرومه هذا الهجوم بحجمه الكبير هو استهدافنا واستهداف الإسلام والثورة»[2].

(١) كلمة في قادة أفواج قوى المقاومة الشعبية، بتاريخ ١٣٧١/٤/٢٢هـ ش.

(٢) كلمة في ممثلي الفضلاء وطلاب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٧هـ ش.

إنّ الغزو الثقافي غزو هادئ لا ضجيج فيه، ويعمل كالنسيم حيث يخترق التخوم الجغرافية والحدود الاصطناعية، ثم يواجه الناس، فيشبع مجاريهم الذهنية والتنفسية بالأهواء والآراء والثقافات الأجنبية، ويفرغهم من هويتهم الذاتية:

«إنّ الغزو الثقافي يمتاز ـ شأنه شأن العمل الثقافي ـ بالهدوء واللاضجيج»[1].

إنّ المشاكل التي يسببها الغزو الثقافي لا يمكن حلّها بالضجيج والصخب، بل إنّ امتشاق السيف والحسام فيها يعتبر حمقاً وبلاهة.

إنّ المؤثر في مواجهة الغارة الثقافية هو السلاح المماثل، حيث يتمّ فضح الثقافة المزيّفة، بالفكر والثقافة الأصيلة، كما تسقط العملة الزائفة عن التداول من خلال التعرّف على العملة الصحيحة، وإنّ الأقفاص الذهبية والعوالم الضيّقة لا تعد شيئاً في قبال آفاق السماء الصافية الجميلة:

«يمكن الردّ على الغزو الثقافي من خلال مواجهته بالمثل، فليس بالإمكان الرد على العمل الثقافي والهجمة الثقافية بالسلاح، إنما سلاحه القلم»[2].

الفرص التبليغية المتاحة

إنّ علماء الشيعة لم يتعرّضوا لمسؤولية تبليغية في تاريخهم كالتي يتعرّضون لها في الوقت الراهن، حيث تتمثل أمامهم المخاطر التي تقدّم ذكرها، وتدعو المبلّغين إلى مضاعفة الجهود، وأن يتقدموا الجبهة الثقافية لمواجهة الأعداء، وصدّ هجماتهم:

---

(١) كلمة في العاملين في وسائل الإعلام ومدراء مناطق التربية والتعليم، بتاريخ ١٣٧١/٥/٢١هـ ش.

(٢) كلمة في المعلمين والمسؤولين في أمور الثقافة، بتاريخ ١٣٦٩/٢/١٢هـ ش.

«هناك هجمة ثقافية واسعة النطاق، تتجاوز في حدودها الثورة، وتشمل الإسلام بجميع أبعاده الثقافية والاجتماعية والسياسية، فهي تهاجم حتى الإسلام بمعناه الذي يعتقده عوام الناس، فما ظنّك بالاسلام الثوري الخالص، وما هذا الاحساس بالشيء الجديد، بل كان منذ القدَم؛ لمَا كانوا يشاهدونه في الإسلام.

لقد مضت مدَّة على قضية التنباك [1]، وما حدث من قضايا مختلفة في الهند وأفغانستان وإيران ومصر وسائر البلدان، فغفل الاستعمار والاستكبار العالمي عن قدرة الإسلام، ولم يعد يُبدي تلك الحساسية تجاهه، فمن جهة المسلمين لم يعودوا يحركوا ساكناً، ومن جهة أخرى غفلة ما أصابت أولئك.

حتى مضت عدة عقود انتصرت بعدها ثورتنا الإسلامية، فأخذ الاستعمار يستعيد معلوماته ويخرج الملفات من الأرشيف، وبدأ بعمل تحقيقي جديد وعقد المؤتمرات والاجتماعات لإعادة النظر في الإسلام.

إنّ الاستكبار يحشّد كل طاقاته، ويوجّه كل التيارات بفطنة وذكاء؛ كي يحافظ على كيانه، لأنه يعلم أنه إذا تقدم دون تفكير أو حساب للمستقبل ومن دون احصاءات، فسوف ينهار تحت الضربات.

يمتلك الاستكبار أحدث الأجهزة الفكرية وأعلاها كفاءة، فأخذ يخطط منذ خمسة عشر أو عشرين سنة لمسائل طويلة الأمد، حتى يجني ثمارها مستقبلاً.

.. لقد أثارت الثورة الإسلامية فجأة الشكوك حول جدوى قيم النظام الاستعماري والعالم الرأسمالي الغربي، فعرّضت مستقبله إلى الخطر، وأحاطته بهالة من الغموض؛ وذلك لقيام هذه الثورة على مبادئ الإسلام، الأمر الذي يوحي بوجود ثورة كامنة حيثما يكون هناك مسلم، ثم شاهدوا نتائج ذلك بشكل متواصل» [2].

---

(١) هي الفتوى الشهيرة للمرحوم الميرزا الشيرازي والتي أدت إلى إلغاء اتفاقية التتن بين الحكومة القاجارية في إيران وحكومة بريطانيا مما أدى إلى وضع نهاية لإحتكار الشركات البريطانية للتتن الإيراني.

(٢) كلمة في ممثلي فضلاء وطلاب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٧ هـ ش.

إنّ التحليل المتقدّم يبيّن الأسباب المنطقية والتاريخية لهجمة الغرب ضد الثقافة الدينية والإسلامية بشكل جيد، وإنّ القوى الغربية للأسباب المذكورة ستنقضّ علينا في هجومها من جميع الجهات، وهذا يستدعي المبادرة من كل علماء الدين والمبلّغين إلى بيان طرق الدفاع وصيانة المجتمع وثقافته:

«لا شك في أنّ صدّ هذه الهجمة بحاجة إلى الأموال والإمكانات والدعم السياسي من قِبَل الدولة، فالدولة تتكفّل برصد الدعم المادي والسياسي؛ لكي يتمّ ترويج الفكر الثقافي، ولكن هذا الفكر الثقافي أين يتمّ انتاجه فهل في الدولة أيضا أم يجب أن يكون في الحوزة!!»[1].

إنّ الظروف الخاصة لغارة العدو الثقافية تتطلب من المؤسسة التبليغية في الحوزة نفيراً عاماً وجاداً، لتقف بوجهها جبلاً شامخاً يدافع عن كيان الدين وايمان الشعب، مضافاً إلى ما في ذلك من توفير الفرص التبليغية لعلماء الدين.

لا شك في أنّ علماء الدين لم يتعرّضوا لمثل هذه الظروف في جميع الفترات التاريخية، ولم تتوفّر لهم مثل هذه الفرص الثمينة، حيث بأيديهم جميع الإمكانات ووسائل الإعلام والآذان الواعية والقلوب الضامئة:

«لا أتصوّر أنّ هناك برهة زمنية في تاريخ الإسلام التي امتدت لأربعة عشر قرناً حتى الآن حظي فيها علماء الدين بمثل هذه الفرصة لتبليغ أحكام الدين والإسلام، سواء في عصر الأئمة ﰂ أو بعد ذلك، أو في عصر الحكومات الإيرانية المؤيدة للفقه الجعفري أو المؤيدة للمذاهب الإسلامية الأخرى، إلاّ أننا حالياً نعيش هذه الفرصة الذهبية»[2].

كما أكّد سماحته على هذه النعمة الرّبانية في كلام آخر جاء فيه:

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في علماء الدين في (دامغان) بتاريخ ١٣٦٧/٤/١٥هـ ش.

«أيها الأخوة الأعزاء لقد توفّرت حالياً فرصة ثمينة لعلماء الدين، حيث لم تتوفّر مثل هذه الفرصة لدعاة الدين طوال المدة التي تلت عصر الرسول الاكرم ﷺ إلى يومنا هذا»[1].

إنّ هذه الفرصة المتاحة تضاعف من حجم مسؤولية الدعاة إلى الدين، وتستدعي منهم الاستفادة من جميع اللحظات والثواني، والتواجد الكبير في كافة الميادين، وأن يقوموا بوضع برنامج تبليغي دقيق:

«إنها فرصة عظيمة، وعلينا بوصفنا دعاة إلى الدين أن نمارس دوراً فاعلاً وخالداً، فإن الله سائلنا، وهذا واجبنا، وعلينا إعداد أنفسنا لذلك»[2].

إنّ الفرصة التبليغية المتاحة تعدّ اختباراً إلهياً لعلماء الدين، حيث ستتحدّد كفاءتهم في هذه البرهة التاريخية، وإنّ الأجيال القادمة ستقرأ هذه الصفحة من التاريخ وتحكم بشأن هذه الفرصة الذهبية التي حصلت عليها الحوزة وعلماء الدين، كما أنّ الله ناظر إلى ما يقوم به علماء الدين حالياً، وأنّ انتهازهم لهذه الفرصة واستثمارها سيؤدي إلى ظهور فرص أخرى، وإن لم يستثمروها ـ لا قدر الله ـ فسوف لا تفوتهم هذه الفرصة فحسب، بل وستضيع عليهم الفرص اللاحقة:

«يتعرّض علماء الشيعة وحوزتنا العلمية الشيعية إلى اختبار تاريخي عظيم لا يتكرر وليس له مثل من الماضي، وأنّ هذه النعمة هي مصداق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[3]»[4].

---

(١) كلمة في علماء الدين والمبلغين على اعتاب شهر رمضان المبارك بتاريخ ١٣٦٩/١٢/٢٢هـش.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابراهيم: ٧.

(٤) كلمة في علماء مدينة (دامغان)، بتاريخ ١٣٦٧/٤/١٥هـ ش.

إنّ علماء الدين بارتـدائهم زيّ الـدعاة إلـى الـدين والمبلّغـين يـضعون أنفسهم في موضع النبي الاكـرم ﷺ ويتحمّلـون مـسؤوليته، وهـذا لا يكـون جزافاً، بل يحتاج إلى كفاءة وقابلية، فـإذا كـان علمـاء الـدين يعتـذرون فـي السابق بوجود الموانع والعقبات، وما كانـت الحكومـات الجـائرة تفعلـه مـن تكميم الأفواه وخنق الأنفاس وإطلاق كلابها، فإنّ الوضع قد تغيّر فـي أيامنـا، فقد فتحت أبواب المؤسـسات التعليميـة والعـسكرية والحكوميـة والإداريـة وأبواب السجون وغيرها بوجه المبلغين، وقد رفعت جميع الموانع والحواجز والطريق معبّدة كي يمارسوا واجباتهم:

«أيها العلماء من الشيعة والسنة، علينا اليوم كعلماء أن نثبت جـدارتنا فـي نشر الدين النبوي فإن هذا ليس بالشيء الهيّن، حتى يدعي كـل شـخص أنـه ناشر ومبلغ وحامل ومفسر للدين، فقد يكون ذلك يسيراً على اللـسان، إلاّ أنـه ثقيل في العمل.

لقد باشر علماء الشيعة طوال ألف سنة كتابة فقه استدلالي مدوّن ومنـتظم، فإذا كنا مؤهلين وصادقين فوظيفتنا استثمارها الآن. لماذا ؟ لأنه لـم يـتح لهـم المجال والميدان بالشكل المناسب سابقاً.

لقد تنقلت في أيام الطاغوت في أكثر مناطق خراسان والكثير مـن منـاطق إيران وحيثما ذهبت كنت آنس بالعلماء، فمع أن ذهابي كان للخطابة أو غيرها إلا أنني كنت آنس بعلماء تلك المدن وأتعرف عليهم، إنني أعرف غالبية علماء إيران المعروفين في زماننا، لقد كانوا علماء وكبار إلا أنه لم يكن باسـتطاعتهم فعل شيء»[1].

(١) كلمة في علماء الدين في بيرجند، بتاريخ ١٣٦٦/١/٣هـ ش

الحماس التبليغي

على المبلّغ أن ينظر إلى ارشاد الناس بوصفه واجباً عليه، وأن يتقبّل العناء في سبيل ذلك، وأن لا يستوحش من قلّة الإمكانات، وأن يقوم بأداء التكليف بما أوتي من عزم وقوة.

وعلى الطالب أن لا يوكل أداء التبليغ إلى الفرص القادمة وإلى تمهيد الأجواء وتعبيد الطرق؛ لعدم انسجام هذه المطالب مع كون التبليغ تكليفاً إلهياً يستدعي من العبد أن يأتي به أيّاً كانت الظروف، كما أنه يخالف سنة التبليغ التاريخية في الحوزة، حيث كانت الحوزة تمارس نشاطها ووظيفتها في ارشاد الناس، واصلاح ما يفسد من أمور الدين في ظروف قاسية غير آبهة بصعوبات الطريق:

«كنّا سابقاً نصعد المنابر من دون دعوة توجّه الينا وبصعوبة وحرج. كان لدينا مسجد في مشهد، وكان ذلك المسجد في واقعه حانوتاً تجارياً، حيث ألقى الله في روع أحد التجار هناك أن يحوّل أحد محالّه التجارية إلى مسجد، فكان الحانوت الثالث الصغير هو ذلك المسجد، فكان محوراً في تبليغ الدين وجميع الكلمات الجديدة والممتعة في مشهد.

اذاً يمكن القيام بمثل هذه الأعمال إذا اعتمدنا على معنوياتنا وذواتنا؛ فلنعتمد عليها ولنستثمرها»[1].

ولا ينبغي لتبليغ عالم الدين أن يتخذ طابع الوظيفة الإدارية، بل لابد للمبلّغ أن ينطلق في تبليغه عن رغبة وإخلاص، وأن يكون تعامله مع الله، وأن يبذل عمره من أجل خدمة الناس ودعوتهم إلى الدين:

---

(١) كلمة في المسؤولين في منظمة الاعلام الإسلامي، بتاريخ ١٣٧٢/٢/٦هـ ش

«إنّ ما كان يثير العزم والحماس فينا كطلاب هو الشعور بأداء الواجب. إنّ عالَم طلب العلم يختلف في محتواه وشكله وبُنيته عن الوظائف الإدارية الصرفة.

أحياناً يدعو الإنسان طبّاخاً لإعداد الطعام للضيوف، فيطلب منك ـ كما هي عادات الطباخين ـ الدهن واللحم وصنف ممتاز من الأرز ويعطيك قائمة طويلة لتحضرها، ومن المعلوم أنك إذا لم تعد له هذه الأشياء فإن مهارة الطبّاخ لن تفعل شيئاً وفي النهاية لن يقوم بما هو المطلوب.

وأحياناً تكون بين أُسرتك أو أصدقائك، والمثال البارز لذلك هو جبهات القتال، فقد تحاصروا في موضع ويستشعر أصدقاؤك الجوع وتكون ماهراً في الطبخ، فهنا لا تكون لتلك القائمة معنى ولا يكون هناك مفهوم للقيود والشروط، وإنما تشمر عن ساعديك وتشدّ أطراف رداءك حُبّاً وكرامة وتبدأ بطهو الطعام بما أوتيت من قوة وقدرة وابداع، وأحياناً يكون ذلك الطعام ألذّ وأشهى من ذلك الطعام الأول، لكونه ناتجاً عن العشق والحماس والحب والشعور بالمسؤولية.

وهكذا كان عملنا نحن الطلاب منذ البداية، حيث كنّا نذهب إلى المنابر أحياناً بدعوة، وأحياناً من دون دعوة؛ وهو الغالب، لايدفعنا إلى ذلك سوى إيصال ما أعددناه وقرأناه وتعلّمناه إلى أسماع الناس»[1].

هوية التبليغ الديني

هناك بَونٌ شاسع بين الإعلام الديني والإعلام المتداول في الدنيا، إذ إنّ الإعلام في الثقافة والسياسة والاقتصاد العالمي يعني تمويه الحقيقة، أو تقطيعها وبيان بعض جوانبها، بل يكون كذباً ولكن مرتدياً ثوب الحقيقة.

(١) كلمة في المسؤولين في منظمة الاعلام الاسلامي، بتاريخ ١٣٧٠/١٢/٥هـ ش

في حين أنّ التبليغ والإعلام الديني شديد البعد عن هذه العناصر، حيث لا يتم فيه التمويه والتدليس والمكياج الصناعي، ولا يضيف إلى جمال الواقع الطبيعي جمالاً زائداً بوضع الأصباغ والعطور والحُلي والمجوهرات، ولا يقوم بتقطيع الحقيقة، ولا يخفي خلف الكواليس شيئاً ولا يداهن المخاطَب في ذلك، ولا يقسمها حسب الأذواق والميول والانتماءات.

إنّ التبليغ الديني يقوم على بيان الحقيقة كما هي بلا زيادة أو نقيصة، وبكلمة مختصرة: إنّ المبلّغ يؤدي الشهادة، كشاهد صادق، ويرشد إلى شمس الحقيقة الساطعة لمن أرادها:

«إنّ الإعلام بمفهومه المعاصر يعني توجيه أذهان الناس إلى شيء، سواء كان لذلك الشيء حقيقة أم لم تكن له حقيقة، أو كان يحتوي على جزء من الحقيقة، أو يكبّر من حجمها عشرة أضعاف أو مئة، فهذا ليس مهماً عند القائمين على هذا الإعلام.

في حين أنّ الإعلام والتبليغ عندنا يعني تبليغ القرآن، أي إيصال الحقيقة إلى الناس وإخراجهم من الجهل والغفلة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ﴾[1]، فمن الظلم أن تكون لدى الإنسان شهادة فلا يظهرها»[2].

وأفاد سماحته في كلمة أخرى:

«إنّ الإعلام في عُرْف العالم المعاصر عبارة عن لفت الأنظار إلى شيء، فيجعلون من اللاشيء شيئاً، وإذا كان هناك شيء وكان حبة جعلوا منه قبّة، في حين أنّ ماهية عملنا تختلف عن ذلك اختلافاً كاملاً، فلدينا حقيقة ساطعة

---

(١) البقرة: ١٤٠.

(٢) كلمة في علماء الدين المبلغين في الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ ١٣٦١/٤/١٤هـ.ش.

اسمها التوحيد والإسلام المحجوب خلف سحب الجهـل والعنـاد، والعـداوة والبغضاء، ومعنى التبليغ والإعلام أن نقوم بإيصال تلـك الحقيقـة إلـى أذهـان الناس»[1].

خصائص المبلّغ

ينبغي على مبلّغ الدين أن يتحلّى بالفضائل؛ ليسوغ لـه التربّع علـى منبـر الأنبياء، وأن يقوم على استثارة القلوب بأنفاسه العطرة وكلامـه الرصـين، وأن يثير النفوس إلى الحركة، ويهدي المجتمع إلى ما فيه الخير والصلاح.

واليك جانباً من الشروط الضرورية لذلك:

١ـ التزكية والتهذيب:

على المبلّغ التحلّي بالفضائل ومكارم الأخلاق، وأن يوافق عملـه قولــه، وأن لا يسبق قولـه عمله.

إنّ المخاطب يقوم بدراسة شخصية المبلّغ بذكاء، ويضع أعماله في كفّـة الميزان، فيتأثر به بمقدار ثقته به، ويفتح لـه سمعه بمقدار فتح المبلّغ قلبه:

«إذا لم يكن المبلّغ مهذباً ونزيهاً، فليس بإمكانه تزكية الآخـرين، وإن لـم يكن معتقداً وعاملاً بما يقول، لا يكون لكلامه تأثير على الناس. وكلنا رأينا في عهد الثورة كيف كانت الكلمات التي تقال حول الثورة، تترك أثراً عميقـاً فـي النفوس والقلوب، ولم يكن ذلك إلاّ لأن الذين كانوا يتفوّهون بتلك الكلمات، يتفوّهون بها بكل ما اُوتوا من حرقة وايمان واعتقاد، وكانوا يعملون بـأقوالهم، وإذا أرادوا من الناس الانخراط في ركب معيّن، انخرطوا فيه قبل أن يـصدروا الأمر إلى الناس، فكانت كلماتهم تنطلق من قلوبهم، فلا غـرو أن تـدخل فـي

---

(١) كلمة في اعضاء مكتب الاعلام الإسلامي في حوزة قم العلمية، بتاريخ ١٣٦١/١١/١١هـ.ش.

قلوب السامعين تاركةً أثرها فيهم، فالكلام كثير إلا أنّ ما يترك أثره في ذهن السامع هو ما ينطلق ممن يعتقده ويعمل به»[1].

٢ـ الاخلاص:

إنّ مبلّغ الدين يوسّع من دائرة عمله بنيّته الخالصة، ويخلق آفاقاً وأبعاداً مذهلة.

إنّ التبليغ الديني يمتاز عن غيره من الإعلام المعروف، في أنّ الإعلام الدنيوي والمادي يقوم على العلم والتقنية فقط، ولا شأن له بالنوايا، في حين أن التبليغ الديني بحكم العمل من أجل الله، تكون للنيّة الخالصة فيه أثر كبير، حيث إخلاص النيّة في العمل مركب جامح في عمل المبلّغ، ويفتح له ميادين واسعة، ويجعل الأفئدة تهفو إليه، وتلين له النفوس.

ويعد الإمام الخميني قدس سره في عصرنا مصداقاً صادقاً لهذا الكلام، فقد أحدث اخلاصه جاذبية في النفوس لم نعهد لها مثيلاً في تاريخ بلادنا.

«لا ينهض العمل ولا يستقيم بدون اخلاص، ذهبت في اليوم الثالث أو السابع وربما في أربعين الإمام إلى مرقده عليه السلام حيث تمّ دفنه وسط صحراء منقطعة، وكنت راكباً في الطائرة العمودية، ونظرت إلى الأسفل فرأيت في وسط تلك الصحراء شيئاً يشبه القبة الخضراء وبناءاً قائماً، والناس يتدفّقون عليه من كل جانب، فاندهشت لذلك وناجيت ربي قائلاً: إلهي ما أسرع احسانك للمخلصين.

إنّ الله لا يوكل عطاء اليوم إلى الغد، إنّ الشيء الذي جذب الناس إلى الإمام، لم يكن سوى اخلاص الإمام رحمه الله فحقاً لولا الاخلاص لم يمكن إنجاز شيء»[2].

---

(١) كلمة في العلماء المبلغين في الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ ١٣٦١/٤/١هـ ش.

(٢) كلمة في الهيئة الادارية لمكتب الاعلام الإسلامي في حوزة قم، بتاريخ ١٣٧٤/٧/١٠هـش..

٣ـ سعة المعلومات والمطالعات:

إنّ المستوى العلمي المناسب للتبليغ من الأمور التي يجب على المبلّغ أن يتصف بها قبل أن يكون له حضور تبليغي في المجتمع.

فالمجتمع يتوخّى من المبلّغ أن يكون على مستوى طموحه من العلم وسعة الاطلاع؛ كي يغدو بإمكانه الإجابة عن أسئلة المخاطبين واقناعهم.

وإنّ المبلّغ الجاهل حتى وإن تمتّع بفنون التبليغ والتأثير، لا يمكنه الحفاظ على مكانته الاجتماعية على الأمد البعيد، فسرعان ما سيكتشف الناس ضعفه العلمي، فلا يعيرونه الاهتمام اللازم.

فعليه إذاً أن يتسلّح بسعة المعلومات ـ على الخصوص في عصرنا حيث تقدّم مستوى الناس علمياً ـ على حدّ مستوى بيئته التبليغية (الإبتدائي، الإعدادي، والجامعي، والمراكز المدنية، والمراكز العسكرية وغيرها)، ثم يقبل على التبليغ:

«على [المبلّغ] أن يتمتع بوعي ورؤية دينية واسعة ومتنوعة، وأن يكون شديد الأنس بالقرآن والسنّة، وأن يكون على معرفة بالأفكار الجديدة ذات الصلة بالمذهب والدين، وأن يكون محققاً في مسائل الدين وليس عارفاً بالدين فقط، وأن يكون مضافاً إلى ذلك على علم بشيء من الأفكار الفلسفية والرؤى الاجتماعية»[(١)].

٤ ـ الحياة المتواضعة ومواساة الناس:

ينبغي للمبلّغ أن يكون له خُلق الأنبياء فيظهر في الناس، ويعيش مثلهم، فيبدو بسيطاً في مظهره، فلا يحتجب عنهم بثياب التجمّل والرفاه؛ لما في ذلك من تأثير معكوس على تديّن المجتمع، وجرّه إلى أودية الانحراف.

(١) كلمة في علماء الدين والمبلغين على أعتاب شهر محرم، بتاريخ ١٣٧٠/٤/٢٠هـ ش.

إنّ تجربة الغرب لخير شاهد على هذا المدّعى، حيث اختار أرباب الكنائس حياة الدعة فابتعدوا عن حياة الناس، وأخذوا يعيشون في طبقة الأشراف، فكان القس من أشراف القرى والأرياف، والأسقف من أشراف المدينة، والكاردينال من أشراف البلاد؛ مما أدى إلى انعدام الثقة بين المجتمع الغربي والكنيسة والمبشّرين إلى النصرانية، فتحوّل المجتمع الغربي الديني في القرون الوسطى إلى المجتمع العلماني الراهن.

إنّ تأثير المبلّغ الشيعي إنما كان بفعل بساطة عيشه، حيث كان عالم الدين يعيش في القرى والمدن كسائر الناس ومعهم، ويشاركهم في أحزانهم وأفراحهم، كأحد أفراد أُسرتهم.

فلابد من المحافظة على هذه الحصانة الثمينة، وإلا تحوّل تَرَفّعهم عن المجتمع إلى حصار يحول دون وصول كلماتهم إلى أسماع الناس:

«**يجب على المبلّغين الذين نرسلهم إلى مختلف المناطق أن يتساووا مع الناس في مظهرهم، وأن يكونوا في مستواهم، فمثلاً لو أرسلنا أحد المبلّغين ودخل إلى المدينة الصغيرة فجأة بالطائرة العمودية فلا فائدة منه، وما الهدف من الخطبة التي يلقيها عالم دين يدخل المدينة بواسطة طائرة عمودية وكيف سيخطب في الناس وما هو الإيمان الذي سيجلبه لهم، نعم يكون أحياناً هناك خطر يهدد أحد المسؤولين في وقت ما أو أنّ وقته غير كاف وما شابه، هنا تختلف المسألة فعليهم أن لا يذهبوا إلى القرى الصغيرة والفقيرة بسيارات فارهة، يقوم السائق بفتح بابها لهم ـ ويا للأسف فإن حرس الشخصيات قد تعوّدوا على ذلك، مع أنه عمل خاطئ ـ من دون أن تكون في ذلك ضرورة! ليتحدث للناس ويعظهم، فإن هذا عمل خاطئ، ولا أتصور أنّ فضيلة ارسال هذا المبلّغ أكثر من عدم ارساله**»[1].

---

(١) كلمة في اعضاء الشورى العليا في الأعلام الاسلامي، بتاريخ ١٣٦١/١٢/١٥هـ ش.

٥ ـ الأدب والرفق في التعامل مع النّاس:

على المبلّغ أن يكون مؤدّباً وعطوفاً، وأن يشجّع الناس على التحدّث معه، ولا يبعدهم عنه بأسلوب غير لائق، ولا يخلق عندهم سوء الظن بالدين وحملته:

«لابدّ في التعليم من مراعاة الأخلاق والأدب والرفق دائماً، فتعاملوا مع التلميذ بحيث يستشعر الحنان فيكم، وعندها ستفتح كلمة الحق طريقها إلى القلوب، فقد خاطب الله تعالى نبيه وهو أفضل معلم ويمتلك أفصح بيان بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[١]، برغم أنّ كلام النبي كان صحيحاً، بل ليس هناك ما هو أصح منه، إلا أنّ صاحب هذا الكلام المتقن إذا كانت أخلاقه فظّة، لن يسمع الناس قوله ولتفرّقوا عنه»[٢].

٦ـ العقل والتدبير:

يجب على مبلغ الدين أن يتصف بالحكمة والعقل، ويتمتع بالعقل الاجتماعي، ويتخذ المواقف المناسبة والصحيحة، ويبتعد عن الكلام المثير للمشاكل، ويتجنب التصرفات غير اللائقة المثيرة للفتنة والفوضى، ويحترم مكانته ويعمل بحكمة وحذر بما يتناسب وشأنه كمبلغ:

«إنّ الطالب حيثما يذهب يكون مثالاً لمدينة «قم» فعليه: أولاً: أن يتحدث بكلام صحيح، فيجب التأكيد على هذا الجانب والحث عليه.

وثانياً: أن يتخلّق بالخُلق الحسن، وثالثاً: أن يكون مضافاً إلى حُسن الخُلق، ذكياً ومدبراً، لأنه إن كان عالماً ومتديّناً ولم يكن نبيهاً وارتكب حماقة، فسوف يحدث كثيراً من المشاكل.

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) كلمة في المسؤولين في القسم العقائدي والسياسي لحرس الثورة، بتاريخ ١٣٦٣/٣/٣هـ.ش.

نحن ندرك حالياً الدور الذي تلعبه الفطنة والنباهة لدى مختلف طبقات المجتمع، وقد لاحظتم ما قام به الإمام في خصوص مسألة الاختيارات (إختيار موظفي الدولة)، حيث اشترط توفّر صفات في الذين يقومون بعملية الاختيار، منها العقل، مع أنّ العقل من الشروط العامة في كل تكليف ولا يمكن أن يكون هناك تكليف من دون عقل، إلا أنه أدرجه كقيد بمعنى حسن التدبير والنضج؛ لما فيه من الأهمية، وعليه لابد من ارسال الطالب العاقل»[1].

إنّ العقل والتدبير الاجتماعي مزيج من العناية الربّانية والجهد المكتسب، والجزء الأخير يحصل عليه الفرد من خلال الدراسة وتفهّم الظروف، وتغيّر الشرائط الاجتماعية والبيئية، فيتصرف برؤية واضحة، ويبتعد عن الوقوع في الاخطاء:

«قد يكون الطالب نبيهاً وعاقلاً، إلا أن عدم معرفته بالمجتمع وما يريده الناس من المبلّغ، تؤدي به إلى سلوك ما يخالف القاعدة والعُرف؛ ولذا لابدّ من إقامة دروس للتعريف بمثل هذه الحالات وتوضيح ما يتطلّبه المجتمع من المبلّغ. وينبغي على الطالب هو أن يعرف قدر نفسه، لا أكثر من ذلك ولا أقل»[2].

٧ـ الجدّ والمثابرة:

يقوم تبليغ الدين على الثبات والاستقامة، فإن مبلّغ الدين لا يخشى المشاكل والمنغّصات، ولا يستسلم للصعوبات، وإنما يسير في الطريق إلى الله بقوة واقتدار، راجياً ثواب الله على استقامته في هذا الطريق.

---

(١) كلمة في اعضاء مكتب الاعلام الاسلامي في حوزة قم، بتاريخ ١٣٦١/١٢/٥هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

إنّ مبلّغ الدين لا يبغي الشهرة، ويرى أداء التكليف واجباً عليه، ويحط رحله حيثما كان مفيداً، ولا يندم على ما أتى به، ولا يسأم من مخاطَبه، ولا يرى فرقاً في أداء التكليف بين أن يكون الجمهور كبيراً أو صغيراً ولا يتأثر بالأسماء والعناوين:

«نحن إذ نعمل في السلك الكذائي، ينبغي أن نأخذ واجباتنا في ذلك السلك بجديّة، ولا يتصور أحدنا أنّ لا نفع في العمل الذي يؤديه، ففي ساحة القتال يكلّف شخص بحمل الجرحى وآخر بمواجهة العدو، بينما يقوم ثالث بوظيفة الرصد، ولو أنّ كل واحد من هؤلاء قصّر في أداء عمله، فسوف يكون الاندحار نصيبنا.

فلا يتصور أحدكم أنّ حمل المجروح أقل أهمية من مواجهة العدو. فحيثما كنتم في الجمهورية الإسلامية، خذوا في الحساب أن ذلك المكان هو مركز العالم وأن الأعين والأبصار موجّهة اليكم»(1).

إنّ مبلّغ الدين لا يستهين بعمله، ولا يكتفي من فعله بالقليل، ويبادر إلى تنظيم عمله بمنهجية وبُعد نظر، ويسعى إلى التأثير في المخاطَب والسامع على أفضل شكل، ويحاول توسيع نطاق ذلك التأثير:

«اسعوا إلى الحصول على المحتوى الأسمى والأرقى، ولا تقنعوا بالقليل أو المتوسط، فإن كنتم من المفكرين والمبدعين فبها ونِعمَت، وإلا فخذوا العلم من كتب المفكرين والمبدعين واحفظوه.

الثاني: اختيار الأدوات اللازمة والاستفادة منها بما يتناسب والذوق السليم والابداع وتفهّم الموقف، والبيان على مقتضى الحال.

الثالث: الهمّة والايمان والارادة التي تكون وراء ذلك، أي عدم النَصَب والتعب»(2).

---

(1) كلمة في المسؤولين في القسم العقائدي السياسي في حرس الثورة، بتاريخ ١٣٦١/١٢/٢٤هـ ش.

(2) المصدر السابق.

محتوى التبليغ

إنّ مسألة تبليغ الدين حساسة وجادّة فهي كحبل الصراط، فالزلّة فيه وإن كانت قليلة تؤدي إلى نتائج معكوسة، وتحوّل مسير السامع من الجنة إلى النار، حيث ينفر من الدين والخالق.

وعليه يجب على المبلّغ عدم الاستهانة بأمر التبليغ، ولا ينظر إليه كسائر الوظائف الاعتيادية، وإليك في هذا المجال بعض النقاط اللازمة:

١ـ اتقان الكلام وإحكامه:

لا ينبغي أن يكون محتوى التبليغ هشّاً مهلهلاً ينهار لأدنى نقد، فقد يكون الكلام بسيطاً وسهلاً، ولكن يجب أن يكون متقناً ومتيناً:

«مارسوا العمل باتقان منذ البداية، فسواء أكنت معلماً أو متعلماً، لا تكتفي بالآراء والاستدلالات الضعيفة أبداً، فحتى على صعيد المستويات البسيطة، إذا أردنا تعليم الطالب شيئاً، لابد أن يكون على مستوىً عال من الصحّة، بحيث إذا توسّعت مدركات الطالب فيما بعد، وراجع ما تعلّمه منّا سابقاً رآه مقبولاً، فيجب أن لا نعطي من هو في السنة الأولى ما يمكن أن يرفضه في الصف الخامس لكونه خطأ، فالطفل يتعلم في الصف الأول والثاني أنّ حاصل جمع اثنين واثنين يساوي أربعة، وبعد عشرين سنة من دراسة نفس الطفل للرياضيات يبقى اثنين واثنين يساوي أربعة، غاية ما هناك أنه في صغره توصّل إلى هذه النتيجة عن طريق محاسبة بسيطة، في حين أنه يصل اليها في دراسة الرياضيات العالية عن طريق استدلال وبرهان آخر.

فلابد من اتّباع الأسلوب نفسه في تعليم التوحيد والنبوة والاسلام والقرآن وقيمة الإنسان والغاية من الدين. طبعاً في بعض المسائل الإسلامية قد لا نستطيع سَوْق الدليل المقنع للعقول البسيطة»[1].

(١) كلمة في طالبات مدرسة مسجد سليمان العلمية، بتاريخ ١٣٦١/٦/٤هـ ش.

إنّ ضرورة اتقان الكلام سارية في كل نوع من أنواع التبليغ الديني سواء في الخطابة أو التأليف والصحافة والأفلام وغير ذلك، فحينما يكون الحديث عن الدين لا ينبغي أن تعرض الأمور بشكل هشّ، فيحصل السامع على مجموعة من المطالب المتاهفتة والتي يمكن توجيه النقد اليها بوصفها من الدين:

«لابد من التدقيق في أنّ ما نقوله يجب أن يكون صحيحاً ويمكن الدفاع عنه سواء في المسائل السياسية أو الاسلامية، كما يسري هذا الكلام في سيناريو الافلام والمسرحيات والشعر والمنبر والدروس العقائدية وغير ذلك من الأمور»(١).

إنّ المطالب الهشّة وإن كانت ممتعة، وتستهوي بعض الأنصار في أمدٍ قصير، لكنها لن تكون في صالح تدين المجتمع، لأن العقل الاجتماعي لا يبقى جامداً بصورة دائمة بل سيكتشف بعض أفراد المجتمع عدم منطقية تلك الأفكار ويَشيعون ذلك، وفي هذه الحالة ستذهب جذابية تلك المقولات التي اكتسبتها في البداية:

إنّ الاستدلال الضعيف والموهون وإبراز ما ليس بواقعي على أنه واقعي من الأمور التي تعود بالضرر في الأمد البعيد، وإن اجتذبت بعض الأتباع في الوهلة الأولى، إلا أننا لسنا في مرحلة العمل على مستوى الأمد القصير، وإنما نحن نعمل لأمدٍ طويل»(٢).

لا ينبغي لمُبلّغ الدين أن يساوي بين التحدّث للعوام وبين الحديث بأُسلوب عامي، ويخلط بين الأخضر واليابس بحجة جهل السامع، فعليه في المجامع العامة من الأميّين وغير الدارسين أن يتكلم بأُسلوب بسيط قابل

---

(١) كلمة في اعضاء الشورى العليا للاعلام الاسلامي، بتاريخ ١٣٦١/١٢/٢٤هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

للفهم مع الحفاظ على قوة الحجة وعمق الفكرة، وهنا تتجلّى عبقرية المبلّغ، فلا يلقي على الأسماع مطالب مخدوشة ومحرفة وضعيفة، ويرى نفسه معذوراً في ذلك:

«لا إشكال في تبسيط الكلام إذا كان السامع على مستوى ضئيل من العلم والثقافة، إلا أن التبسيط شيء والخطأ شيء آخر»[١].

لا ينبغي للمبلّغ أن يقدّم الكلام الموهون بوصفه من الدين، وإن وافق مشرب العوام، فلا ينبغي للمبلّغ أن يقع في فخّ ارضاء العامّة، فيتفوّه بكل ما هو صحيح وخاطئ:

«فإذا كان شئ مقبولاً لدى أذهان الناس إلا أنه ليس صحيحاً فلا ينبغي أن نعمل بالمداراة وننقل تلك الفكرة الى الناس تحت عنوان أنها كلام الدين القطعي»[٢].

تستدعي الظروف الراهنة إتقاناً وإحكاماً مضاعفاً لمحتوي التبليغ، حيث إنّ علماء الشيعة قد صاروا تحت مجهر الأعداء، حيث يخضعون أقوالهم ومؤلفاتهم للفحص والتمحيص الدقيق؛ بغية دراستها وأخذ ما يوهن الدين منها ويجعلونه دليلاً ضدنا.

ومن جهة أخرى فإن مجتمعنا في معرض الغزو الثقافي الذي يشنّه الأعداء، فلو أحسّ هذا المجتمع بضعف المحتوى التبليغي الذي يمارسه العلماء، فسرعان ما ينزلق في مستنقع هذه الهجمة؛ فيخسر دينه وايمانه:

«على كل من يتحدث في أمور الدين مراعاة بعض النقاط:

الأولى: الانقان وعدم التلفّظ بما يوهن الدين، حيث تخضع كلماتنا لمجهر الأعداء، وإنَّ مستمعُنا معرّض من الناحية الفكرية والذهنية لهجمة الأعداء،

---

(١) كلمة في مسؤولي القسم العقائدي السياسي في حرس الثورة، بتاريخ ١٣٦٣/٣/٣هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

فعلينا الاحتراس حتى في تكلّمنا مع الأطفال، فلا نقول إلاّ ماهو صحيح ومتقن»[1].

لا يتأتّى الاتقان والاستحكام في التبليغ إلاّ في ظل القراءة واغتنام الفرص، فعلى المبلّغ أيّاً كانت درجته العلمية أن يحترم قوله، وأن يعدّ الفرصة ويمهّد الأجواء لكلامهِ المتقن والراسخ، ويرى نفسه ملزماً بالعمل بما يقول:

«لا يمكن اعتلاء المنبر دون مطالعة مسبقة؛ لأن معنى ذلك أننا لا نهتم بما نريد قوله للناس ولا قناعة لنا به»[2].

على المبلّغ الاهتمام بكيفية تبليغه، فلا يضحي باتقان الكلام لصالح الكمّية والكثرة، وأن يجعل من اغتنام الفرص للقراءة والتحقيق أصلاً، حتى وإن كان على حساب قلّة عدد خطبه أو مؤلفاته:

«لابد أن تكون الكلمات والأقوال علمية، فيجب تجنّب الكلام الهشّ، كما يجب تجنّب صعود المنابر من دون مطالعة، فلابد من التعرّف على أفضل الأقوال وأحدثها حول المسائل الإسلامية، نعم قد يؤدي ذلك إلى التقليل من عدد المنابر، إلاّ أنّ هذا لا بأس به، فلابد من الحفاظ على الكيفية وإن كان على حساب الكمية»[3].

٢ـ الاقناع ذي التأثير الطويل الأمد:

لا ينبغي أن يطرح موضوع التبليغ الى المخاطبين كالمجردات، بحيث لا يتناسب مع مقتضيات الزمان، وبعيداً عن حاجات المجتمع، وغريباً عن تطور

(١) كلمة في علماء محافظة جهار محال وبختيار ـ بتاريخ ١٣٧١/٧/١٥هـ ش.

(٢) كلمة في مسؤولي منظمة الاعلام الاسلامي، بتاريخ ١٣٧٠/١٢/٥هـ ش.

(٣) كلمة في أئمة الجماعات وعلماء الدين والمبلغين في أعتاب شهر رمضان المبارك، بتاريخ ١٣٧١/١١/٢٥هـ ش.

الزمان؛ لذا يجب على المبلغ أن يختار موضوعه متناسباً مع مقتضيات الزمان وظروف المرحلة:

«إنّ مبلّغنا هو الذي إذا تحدّث إلى الناس أمكنه إشباع ذهنهم وفكرهم بما يمكنه البقاء مدة طويلة في أذهانهم، لا أن يقوم بتضييع عمله بكلمة أو شعار خلاّب.

إنّ مشكلتنا هي أننا نلقّن الناس ما نريد تلقينه لهم بافتعال الضجيج، فيأتي الآخرون ويمسحون ما قمنا بتلقينه لهم بلا أدنى ضجيج وهذه مشكلة كبيرة من مشاكلنا لازلت قائمة لحد الآن.

فلابد من التخطيط لإبقاء ما نقوله للناس لمدة خمس سنوات أو عشر سنوات، ولا أقول إلى آخر حياتهم؛ لأن الإنسان في تقدّم فكري وقد تُعرض له بعض الأسئلة والاستفهامات»(1).

٣ـ الانطباق مع حاجة العصر:

لا ينبغي لمحتوى التبليغ أن يكون كالمجردات يعيش خارج الزمان، وأجنبي عن حاجة المجتمع، فعلى المبلغ أن يتقن قراءته على أساس حاجة العصر، وعلى ذلك يقوم بتنظيم كلامه ويقدمه إلى السامع:

«ابحثوا عن مقتضيات العصر وما يحتاج إليه الناس، ثم استخرجوه من الشريعة الإسلامية المقدسة، وصبّوه بعد أن ينضج ـ كالحليب ـ في آذان الناس نغمة عذبة»(2).

إنّ مبلّغ الدين يدرك قيمة اللحظات، فيقوم برفع حاجة الناس وتلبيتها طبقاً لما يمليه التكليف الشرعي مدفوعاً بالشجاعة، فلا ينكص عن أداء التكليف في مسؤوليته التي تفرضها عليه حاجة العصر:

(١) كلمة أعضاء الشورى العليا للاعلام الإسلامي، بتاريخ ١٣٦١/١٢/٢٤هـ ش.

(٢) كلمة في علماء رفسنجان، بتاريخ ١٣٦١/٢/٧هـ ش.

«الفن هو أن تأتي بالعمل في اللحظة المناسبة، وأن تكون على علم بمقتضيات العصر. إنّ عبقرية هذا الرجل [الإمام الخميني] تكمن في أنه كان يدرك حاجة المرحلة، وهذا شيء مهم جداً، فإنه بحاجة أولاً: إلى فكر ثاقب ورؤية حادّة، وثانياً: إن ذلك يقتضي شجاعة، حيث يقوم بما لا يقوم به الآخرون»[1].

إنّ إقبال المجتمع على مبلّغ الدين إنما يكون في ظل إدراك المبلّغ لظروف العصر والمجتمع، فالمبلّغ الناجح هو الذي يدنو من حاجة المخاطب، والذي يعي مشاكل العصر الدينية، فيصف الدواء المناسب لعلاج الأمراض، وليس ذلك الذي يتحدث للكائنات الفضائية، إنّما يدرك أنّ سامعه إنسان في هذه الكرة الأرضية، له أحزانه ومشاكله، فيشاركه فيها، ويجيب على أسئلته، ويعالج وساوسه بالطرق المناسبة:

«كان في تلك الآونة في إيران نوعان من أصحاب المنابر، الأول: يعتلي أعواد المنبر دون أن يعيره أحد اهتماماً. لماذا؟ لأنه كان يتحدث بأمور لا ربط لها بذلك الواقع، والثاني: أينما وضع له منبر ورفع عَقيرته، انهال عليه الناس من كل حدب وصوب، وعلى الأخص من الشباب «والمنهل العذب كثير الزحام».

ويكمن الفرق بين هذين النوعين، في البيان أو نبرة الصوت أو الشكل والمظهر والهيئة، وإنما يكمن في أنّ النوع الأول لم يكن على معرفة بمقتضيات العصر فيتحدث عن أمور كان الناس في غنىً عنها، حيث كانوا متعطّشين إلى إسلام لم يجرؤ هؤلاء على بيانه أو كانوا يخشون بيانه»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

٤ ـ تعميق المحتوى:

لقد ارتفع المستوى العلمي والديني لدى مختلف السطوح السنّية والعلمية، مما يحتمّ على مبلّغ الدين أن يرفع من محتوى كلامه بما يتناسب والاستيعاب الحالي للمجتمع، فلا يخاطب بتكرار الأقوال التي كانت تقال للأجيال السابقة.

إنّ جزءاً من تبرّم المجتمع من التبليغ المتداول ـ وللأسف ـ يعود إلى عدم احساسه باستفادة شيء جديد من الخطيب، وعليه يقلل من حضوره في مجلس التبليغ تدريجاً، أو يكتفي بالحضور في أيام خاصة أداءاً للتكليف وتمشّياً مع التقاليد والأعراف، دون اصغاء لما يقوله المبلّغ.

فعلى مبلّغ الدين أن يرفع من مستواه العلمي بما يتناسب ومستوى سامعه، فلا يتحدث إلى الطفل الحالي كما كان يتحدث للطفل في السابق، وهكذا بالنسبة إلى الشاب واليافع، وحتى طبقة العوام، فقد اختلفت عن مثيلتها في الأعوام السابقة، حيث أخذت تتعامل مع أجهزة الإذاعة والتلفاز، وأصبح أبناؤها من الدارسين الذين يفيدونهم بشيء ما، وما إلى ذلك.

وعليه لا ينبغي لمبلّغ الدين الاكتفاء بمعلوماته السابقة، ولا يقنع بقراءة بعض الكتب التقليدية ليقوم باجترارها في كل موسم:

«إنّ المجتمع في تقدّم وتحوّل مستمر، والثورة في حالة سير وحركة، وينبغي في جميع هذه المراحل ومراتب التقدم والحركة أن نؤسس لأنفسنا فكراً ومنطقاً وآيديولوجية، وهذا أمر واجب يقع على عاتق علماء الدين، وينبغي لهم الجهر به فوق المنابر، إنني اُلاحظ أحياناً أنّ بعض الكلمات التي تذاع حتى من وسائل الإعلام، فارغة من المحتوى ولا تصلح لهذا العصر؛ لكونها من البديهيات الأولية التي يعرفها كافة الناس، فَهُم في غنىً عن سماعها»[1].

(١) كلمة في علماء الدين في الحزب الجمهوري الاسلامي، بتاريخ ١٣٦١/٦/٢١ هـ ش

٥ـ مراعاة الاعتدال:

ينبغي على المبلّغ معرفة الدين بشكل كامل؛ كي لا يقع في الإفراط والتفريط، ولا يستند إلى جانب من الدين ويغفل الجوانب الأخرى؛ لأن الدين بمجموعه يضمن سعادة الإنسان، والتأكيد على جانب واحد منه فقط، يؤدي إلى خلق صورة مشوّهة وغير واقعية عن الدين، مما يؤول إلى عواقب خطيرة على تديّن المجتمع.

وقد أشار سماحة القائد إلى أحد أبعاد الإفراط والتفريط قائلاً:

«تجب مراعاة الاعتدال في كل شيء؛ حتى لا نقع في الافراط، فبعض المنابر تصاب بالافراط سواء من النواحي الأخلاقية أو السياسية، وهو مذموم على كل حال. والناس طبعاً بحاجة قصوى إلى الأخلاق، فنحن بحاجة إلى ثورة أخلاقية، إلا أنّ ذلك لا ينبغي أن يكون على حساب واقعنا المعاصر وواقع الثورة والعالم والحياة، فنغفلها كلياً.

فكما قلت: هناك منابر لو ذهب شخص إلى سماعها، لا يستشعر حدوث ثورة في هذه البلاد، هذا من جهة.. ومن جهة أخرى فإن الإفراط في الناحية السياسية خطأ أيضاً، حيث تقوم بعض المنابر بحصر الكلام في الأمور السياسية من البداية إلى النهاية، فلا تسمع حتى كلمة واحدة في النصح وحسن الأخلاق والتهذيب والأحكام»[(١)].

٦ـ مراعاة الأولوية:

لابد في الكلام من مراعاة الأهم والمهم، وعدم الاكتفاء بصحة الموضوع وحسن بيانه، بل لابد أن يقوم التبليغ وفقاً لحاجة المجتمع وضرورته الآنية.

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد المقدسة، بتاريخ ١٣٦٩/١/٤هـ ش.

فالمبلّغ بمنزلة الطبيب الذي يتعيّن عليه الكشف عن مريضه بدقّة؛ لمعرفة أوجاعه وتصنيفها، والبدء بأخطرها وأهمها، وتقديم معالجتها على غيرها، دون أن يهدر طاقته بالآلام الطفيفة والامراض الخفيفة:

«علينا أن نقول ما هو الأهم، فربما كان الموضوع فائق الجودة، إلاّ أنه ليس بالمهم، فقد يكون الشخص بحاجة قصوى إلى إنقاذ حياته من موت مُحَتم، فهل تأتي وتشرح له سبل وقاية الإسنان من التسوّس؟! اذاً لابد من مراعاة ماهو أهم، ونصر الكلام حوله»[1].

إنّ معرفة ما هو أهم بحاجة إلى بحث وتنقيب وذكاء وبذل الوقت؛ لأنّ مسائل المجتمع الفكرية في تغيّر مستمر، حيث تتجدد الاستفهامات والوساوس التي تتطلب بصائر ثاقبة للتعرّف على أسبابها والوقوف على سبل علاجها:

«يجب قول ما هو الأهم، وهو ذلك الشيء العالق في أذهان الشباب والذي إذا لم يجد له جواباً، أدّى به إلى الانحراف، فلابد من العثور على ذلك الشيء وذلك الاستفهام العالق والذي يتغيّر على الدوام وهذا هو الجزء الأصعب من القضية.

حينما كنا على رأس التبليغ وخصصنا كل جهدنا من أجله كانت هناك مسائل لم يبق منها شيء حالياً، فكان يتعيّن علينا فهم الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية، حيث كانت تملأ أذهان الغالبية من الشباب الجامعي وغيره، بل وحتى بعض التجار، وكان علينا أن نبحث لها عن جواب، وأما حالياً فهناك مسائل أخرى.

فهل تريدون بقاء هذه المسائل دون جواب، وتتركون فراغاً في أذهان شبابنا وكبارنا ذكوراً وإناثاً، ليأتي العدو فيملأ هذا الفراغ كما يحب؟! إذا لم

---

(١) كلمة في علماء الدين على أعتاب شهر رمضان المبارك، بتاريخ ١٣٧٣/١١/٥هـ ش

يكن هذا مرادكم، فيجب عليكم معرفة هذا الفراغ، ولابد من إقامة مؤسسات وأجهزة إدارية للتعرف على مثل هذه الأمور»[1].

٧ـ تجنّب التكفير:

على المبلّغ أن يسلك سبيل المنطق والحوار العقلي، ويتجنّب الاتّهام والتكفير، ويبتعد عن الوقوع في هذه الشراك.

إنّ مواجهة الخصوم بالتكفير لا يساعد في حلّ المشاكل، بل يزيد من حجمها، ويعطي الفكر المسموم قداسة مزيّفة، فيجد له أنصاراً من المغفلين.

وللأسف الشديد فقد أدّى هذا الأسلوب إلى ظهور الفِرَق الضالة في تاريخ بلادنا، فحيثما حلّ التكفير، أعقبته صدمات لا يمكن جبرها، مما ينبغي أن يكون درساً للمبلّغين:

«لقد تورطنا نحن العلماء عند تخطئة بعضنا، في أخطاء كبيرة على مرّ التاريخ، فقد تصورنا إمكان اجتثاث الفكر الخاطئ من المجتمع عن طريق إبعاده ونفيه بل وتكفيره، في حين أنّ هذا اسلوب خاطئ.

إنّ سبب بقاء أفكار الفِرَق الضالة والتي لا تقوم على أساس، بين الكثير من الناس حتى يومنا هذا، هو عدم مواجهتها بأُسلوب منطقي واستدلالي بالتي هي أحسن، وإنما جوبهت بالقمع والكبت، وهذا ليس هو الأسلوب الصحيح، وإنما الصحيح هو العمل العلمي»[2].

إنّ أهمية هذه المسألة تتضاعف في ظل الحكومة الدينية، ففي فترة ابتعاد الحوزة عن الحكومة، لم تكن الأعين لترصد الحوزة، ولا قرارات العلماء تطبع آراء الخصم بهالة من القداسة والمظلومية، وأما في الوقت الراهن حيث الارتباط بين الحكومة والحوزة وثيق، تتضاعف الآثار السيئة للتكفير

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في علماء محافظة زنجان، بتاريخ ١٣٦٤/٨/٢٩هـ ش.

والتفسيق؛ لأن ذلك يؤدي إلى وصم الحكومة والدين بالسذاجة وانعدام المنطق، والتجبّر والطغيان، ويؤول إلى النفرة من الدين أو التشكيك فيه.

وهذا يتطلب من المبلّغ أن يدقق بشكل أكثر، ويرد على الأفكار الباطلة بوابل من الأجوبة المنطقية، والاتيان بعطاء فكري ثرّ يعمل على ابطال سحر الخصم وترك بضاعته فريسة الكساد:

«يجب أن تتناسب المواجهة مع الحكمة والمصلحة، فقد تغير الوضع عن السابق، ففي الماضي حيثما كان الخصم يتكلم، ولم يكن باستطاعتنا فعل شيء، كنا نبادر إلى الصراخ، و نعلن براءتنا منه، أو إذا كانت كلمته على مستوى الكفر كفّرناه، واذا كانت على مستوى الفسق فسّقناه.. أما الآن فقد تغيّرت الأمور ولم تعد هنالك الحاجة لاستعمال ذلك، وإنّ اللجوء ـ اليوم ـ إلى مثل هذه الأعمال يعود بضرر على الإسلام»[1].

إنّ عرض البضاعة الجيدة بشكل صحيح، يؤدي إلى كساد سوق البضاعة الرديئة، وإنّ كلمة الحق تبطل سحر المبطلين، دون حاجة إلى الصياح والزعيق والتكفير والتفسيق.

«لابد أن نكون جميعاً مثالاً لقوله تعالى: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ فنقوم ببيان معتقدنا باسلوب مناسب وثابت ومستحكم، وعندها سترون أنّ السحر لا يمكنه مصارعة المعجزة، فإذا أتيتم بهذه المعجزة سينطوي السحر من تلقائه، وستلقف المعجزة عصيّهم وحبالهم، وما علينا سوى إلقاء العصا الموسوية وإخراج اليد البيضاء من جيوبنا»[2].

---

(١) كلمة في مجلس الخبراء، بتاريخ ١٣٧١/١١/٢٩هـ ش

(٢) كلمة في المسؤولين في منظمة الاعلام الاسلامي، بتاريخ ١٣٧٠/١٢/٥هـ ش

التقنية والقالب التبليغي

إنّ التبليغ الديني مضافاً إلى محتواه الجيد والصحيح، يجب أن يكون ذا قالب مناسب وممتع وأخّاذ، ولا يكتفى بقوة الدعوة والرسالة فيه. فعلى مبلّغ الدين أن يعي هذه الحقيقة وهي: أنّ سامعيه ليسوا على وتيرة واحدة وذهنيات متساوية، كما أنّ مستوى مدركاتهم قد اختلف عما كان عليه في السابق، وأنّ أذواقهم متفاوتة، ودرجات إيمانهم مختلفة.

إنّ هذا النوع من التفاوت والاختلاف يفرض على المبلّغ عدم التوجّه إلى التبليغ بصيغة وقالب واحد، ولا تكون وصفته واحدة لكافة أنواع المجتمع وطبقاته، بل عليه ملاحظة كل المشارب والأذواق في عمله التبليغي، وأن يرصد صيغاً تبليغية متنوعة:

«إنّ التبليغ يعني الإيصال، وأدوات الإيصال تختلف باختلاف الظروف، فتارة تريد إيصال شيء إلى الغرفة المجاورة، فيمكن لك حمله بيدك، وتارة تريد إيصاله إلى مسافة تبعد فرسخاً كاملاً، وتارة تريد نقله إلى قارّة أخرى، وتارة تكون هناك حجب وموانع، وقد يتعيّن عليك اجتياز الجبال والمضيقات، وتارة يتقبّل المستمع رسالتك طوعاً ورغبة، وأحياناً لابد من التماس طرائف الحيل بغية إقناعه، وأحيانا يقف الآخر ليمنع وصول ماتريده الى المخاطب.

إذاً فللتبليغ أنواع وأقسام ولكل ظرف طريقته، فما هو الذي يحدد أدوات ونوعية التبليغ؟ إنه الأبداع والذوق السليم والفهم وسرعة الانتقال، فمثلاً إذا أردت أن توصل الماء من النهر إلى بلدة تبعد عنه مسافة فرسخ وأخذت كأساً وملأته وسرت الطريق فإن العقلاء سيتعجبون عند رؤيتك ويقولون ما هذه الطريقة في نقل الماء!! إذ ينبغي حمله في سقاء أو قربة»[1].

---

(١) المصدر السابق.

لا ينبغي الجمود على الصيغ التبليغية القديمة وأنّ التبليغ محمدود في داخلها، وإنّ جدوائيتها قديماً لا ينبغي أن تكون حجاباً أمام المبلّغ فلا يرى سواها ويقوم بتجربتها مراراً:

«لا ينبغي القول: بأننا مارسنا قديماً هذه الصيغة التبليغية فكانت مجدية ومؤثرة. أجل، كان الشيخ جعفر الشوشتري (رحمه الله) يعتلي المنبر في احدى مدارس طهران ويقول للناس «أيّها الناس ما عليكم معرفته هو أنّ الله سبحانه موجود»، وكان هذا منه كافياً لإحداث ثورة في النفوس. فسواء كان السبب هو أنفاسه أو معونة الله أو أجواء تلك الأيام أو استعداد المستمعين، على أي حال فإنه يعطي أثره، إلاّ أننا إذا حاولنا إعادة نفس التجربة، ورددنا نفس الكلمات في أيامنا هذه، فسوف يحرك الناس رؤوسهم استغراباً وينصرفون»[1].

وعليه لابد للمبلغ من إعادة النظر دائماً في قوالبه وصيغه التبليغية، ويجعلها مواكبة للظروف الزمانية المتغيّرة والظروف الاجتماعية المتحوّلة:

«كيف يمكننا حالياً أن نقول كلمة الحق بنفس الاسلوب الذي كنا نخاطب به الناس قبل خمسين أو مئة سنة؟ إنّ أيامنا هذه تختلف حتى عن أيام ما قبل الثورة، فقد لا تكون للمنبر الذي كان مفيداً في الفترة الواقعة ما بين عام «١٣٥٥هـش» (١٩٧٦م) ـ و «١٣٥٧هـش» (١٩٧٨م) نفس الفائدة في وقتنا الحاضر»[2].

لابد في تبليغ الدين من التعرّف على لغة العصر، وعدم التمسك باللغات واللهجات المهجورة والمقبورة، فما بُعث نبيّ إلاّ بلسان قومه، فإذا أردنا التأثير في المجتمع كان لزاماً علينا أن نتحدث بلغته وهو الشرط الأول في عملية التفهيم والتفاهم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في علماء الدين والمبلغين على أعتاب شهر محرم الحرام، بتاريخ ١٣٧٠/٤/٢٠هش.

ولكن للأسف الشديد فإن تبليغ الدين من قِبَل الحوزة يتمّ أحياناً بتلك اللغة المهجورة نفسها، فينهال المبلّغ على جمهوره بسيل من الألفاظ الغريبة والبالية، مما لا يحدث في أذهان الناس سوى طنطنة من الكلمات المعقدة، فلا يهتدي إلى الطريق بل ويضلّه:

«لقد بادر الشيخ المجلسي ﵀[1] في زمانه إلى تأليف كتاب «حق اليقين» و«حياة القلوب» وأمثالهما في الأخلاق والعقيدة بلغة عصره، وقَرّب الفكر الشيعي إلى الأذهان، ولا يتصورن أحدكم أنّ هذه المؤلفات كُتبت عبثاً، بل إنها هي التي رسّخت أُسس التشيّع ـ في بلدٍ قد تشيّع حديثاً ـ حيث جذّرت هذه الكتب عقيدة التشيّع في القلوب والنفوس.

وأما في عصرنا هذا فلم يعد من الصحيح اعتماد هذه الكتب نفسها، فعلينا وضعها في المكتبة بوصفها تراثاً نفتخر به ونقدّسه، واذا كنا جديرين وأهلاً لها فلنعد مضامينها ومفاهيمها باسلوب يتناسب وعصرنا»[2].

يجب على الحوزة أن تقترب من فنون العصر الخطابية والتأليفية والتصويرية، وأن تتعلّم مختلف الصيغ وأن تتزوّد من التجارب الزمنية، ولا يتأتّى ذلك إلا من خلال التعرّف على لغة الفن المعاصر ولا تراه من مصاديق اللهو واللعب.

فلا يزال التبليغ سائراً على النزعة التقليدية السابقة من المنبر والخطابة، وإن تحوّل مؤخراً وبشكل محدود إلى عدد من المقالات التحقيقية

---

(١) المحدث الكبير الشيخ محمد باقر المجلسي الأصفهاني المشهور بالعلامة المجلسي (١٠٣٧ـ ١١١١هـ) درس على يد والده والحر العاملي والسيد علي خان الشيرازي، اهتم كثيراً بجمع ونشر أحاديث أهل البيت ﵈ لديه أكثر من ستين مؤلفاً أهمها الموسوعة الحديثية (بحار الأنوار) و(مرآة العقول).

(٢) كلمة في المسؤولين في منظمة الاعلام الاسلامي، بتاريخ ١٣٧٠/١٢/٥هـ ش.

والاكاديمية، إلا أنّ هذا ليس كافياً في الاستفادة من جميع التجارب الحديثة والمتقنة التي يمكن لنا استثمارها في عملية التبليغ:

«لابد من بلوغ الغاية القصوى في الاستفادة من الفن، بمعنى الاستفادة من الفنانين الموجودين والطاقات الفنية الموجودة عند طلاب العلوم الدينية وغيرهم.

إنّ مسألة الفن في الإعلام والتبليغ أمر لابد منه، أي ليس هناك ما يحل محل الفن في الإعلام، وهذا شيء ثابت في عالمنا المعاصر، ويتم استثماره، فتقال كلمة: «افعل أو لا تفعل» باسلوب فني ينفذ في أعماق وجود السامع، بحيث يرى من الضروري فعل ذلك الشيء، إذا كانت الصيغة الفنية تفيد معنى كلمة «افعل».

إذاً علينا أن نستثمر الفن في أمر الإعلام والتبليغ»[1].

إنّ أجهزة الإعلام المسيحي قد خاضت هذه التجربة، ولا زالت تخوضها من خلال توظيف مختلف الفنون من (القصة والرواية والأفلام والمسرحيات والرسم والموسيقى وأمثالها)، في التبشير المؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر، فأخذت تفرض نفسها على الصعيد العالمي والدول الإسلامية وتترك آثارها على اللاشعور:

«إنني لست من أُولئك الذين يقارنون كل شيء بما يقوم به الأجانب ويستهينون بما عندنا، بل أنا فخور بالحقائق الموجودة في مجتمعنا، ولكن توجد أيضاً بعض الأمور التي يشاهدها الإنسان ويقف عندها، فالكنيسة ليس لديها علم ديني مدوّن بشكل استدلالي معمق، إلاّ أنها برغم ذلك متقدمة في استثمار الإعلام، فأنتجت كثيراً من الافلام بهدف التبشير بالمسيحية دون أن يبدو على ظاهرها التبشير، والتي يعرضها حتى تلفازنا في أعياد رأس السنة

---

(١) كلمة في اعضاء مكتب الاعلام الاسلامي في الحوزة العلمية بقم، بتاريخ ١٣٦١/١٢/٥هـ ش

لوجود بعض النصارى من مواطنينا، وقد شاهدتها شخصياً فوجدت أغلبها يصبّ في التبشير، وأنّ الذي يراها يقع تحت تأثيرها، حيث يظهرون القساوسة على هيئة نورانية وهو يقوم بعمل ما»[1].

طبعاً لا يمكن توثيق الصلة بين «الحوزة» و«الفن» في يومٍ أو سنة، بل إن ذلك بحاجة إلى فرصة طويلة وبرمجة دقيقة.

فيمكن للحوزة من خلال التخطيط المناسب أن تمدّ جسور هذه الصلة، وتساعد على حضور الفن في الحوزة، وتكتشف الطاقات الفنية لدى الحوزويين وتمهّد الأرضية لتنمية الفن والابداع لديهم، وأن تعمل على دعم الفنانين من الطلاب مادياً ومعنوياً، وأن تقدّر جهودهم، وأن توظف مختلف القوالب الفنية في مجال تبليغ الدين، وتحدد سبل الاستفادة منها في النظام التبليغي:

«وهذه الأمور لا تؤتي اُكلها بين عشية و ضحاها، بل إنكم إذا بدأتم العمل في هذا المجال، وانتجتم الأعمال الصوتية والتصويرية ـ خصوصاً التصويرية ـ فسوف تحظى الحوزة بهذه القابلية في ظرف السنوات العشر المقبلة، إلاّ أننا لا نمتلك هذه القابلية حالياً ولا نستثمر الفن»[2].

المجتمع المخاطب

ينبغي للمبلِّغ أن يكون على معرفة تامّة بمخاطبه أولاً، ثم يبادر إلى توجيه خطابه إليه، ويقيم الارتباط بين المخاطب والصيغة التبليغية.

وللأسف الشديد هناك في هذا المجال أيضاً بعض النواقص ونقاط الضعف، حيث لا يتم النظر إلى موقع المخاطب كشرط أساسي للتبليغ، فيقوم

---

(١) كلمة في جمع من الفضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش

(٢) المصدر السابق.

المبلّغ بوضع مادّة جاهزة مسبقاً بين يدي مخاطب مجهول له، لا يعرف مدى حاجته لتلك المادة التي أعدّها له سابقاً.

فعلى النظام التبليغي في الحوزة أن يكوّن معلومات مبوَّبة وواضحة حول المراكز الاجتماعية والمؤسسات والأماكن، ووضع هذه المعلومات بِيَد المبلّغ؛ بغية تقديم العون له في عملية التبليغ:

«لا يوجد إعداد لمواد التبليغ، فمثلاً ليس هناك تبويب محدد للبحوث الضرورية لأنواع المستمعين، كأن يتم تعريف المبلّغ بالأمور التي تنفع السامع إذا كان في الدولة الفلانية، بينما لا تقع مفيدة في البلد الآخر.

إنّ عليه التحدث بهذا الاسلوب في القرية، وبأُسلوب آخر في المدينة، وبطريقة أخرى في الحوزة والجامعة، وعلى نمط آخر في مجلس العزاء النسوي. إنّ هذه الأمور لم يتمّ تبويبها في الحوزة»[1].

إنّ عدم التعرّف على المجتمع المخاطَب يبعد المبلّغ عن هدفه، وأحياناً يضعه في مطبّات لا تحمد عقباها، ويعطي نتائج معكوسة، ومن هنا تتجلى ضرورة أن يتعرّف المبلّغ على المجتمع المخاطَب، ويتفهّم مطالبه، وينظّم سلوكه طبقاً لتلك المطالب:

«قد يكون الطالب نبيهاً وعاقلاً، إلا أنّ عدم معرفته بالمجتمع وما يريده الناس، تؤدي به إلى سلوك ما يخالف القواعد والأعراف، ولذا لابد من اقامة الدروس للتعريف بمثل هذه الحالات وبيان ما يتطلبه المجتمع من المبلّغ، وعلى المبلّغ أن يعرف قدر نفسه ليس إلا»[2].

على المبلغ أن يقوم بدراسة المجتمع باستمرار، ولا ينظر إليه بنظرة ثابتة لا تتغيَّر، ولا ينبغي مخاطبة الجامعي حالياً بالخطاب الذي كان يوجه إلى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في اعضاء مكتب الاعلام الاسلامي للحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٦١/٢/٥هـ.ش.

نظيره قبل عشر سنوات، ولا ينظر إلى الشاب في الوقت الراهن كما كان ينظر إليه في بداية الثورة، فقد حدث تحول في أجواء المدن والقـرى، فلابـد مـن ايجاد تحول في التبليغ من حيث الصيغة والمحتوى أيضاً:

«على خطيب الجمعة أن يرفع من محتوى خطبه، فنحن بحاجة إلى كلمات جديدة وبناءة للناس، فإن الذي أوصل الناس إلى مستوى يحملون الثورة على عواتقهم هي الخطب الدينية التي تحمل الجديد والصحيح من الإسلام فقد تـم توضيح جوانب مجهولة من الإسلام للناس، جوانب لم يكن الناس يعرفونهـا، وحالياً قد تبلورت تلك الكلمات وأخذت طريقها على المستوى الخارجي، ولا زلنا بحاجة إلى أمور جديدة للتقدم بهذه النقلة، ولهداية الناس فكرياً»[1].

لا ينبغي للمبلغ أن يؤدي به التعرف على المجتمع إلـى التـسليم لأهـواء العامّة من المخاطبين، فيسير وفقاً لرغباتهم، ويكون كالخاتم في إصبعهم.

فلا ينبغي للمبلغ التخلي عن اهدافـه والوقـوع فريـسة لمطـامع وأهـواء الطامعين، فلا يجوز لـه التضحية بالدين من أجل النزوات العابرة:

«إنّ الشباب عناصر مخلصة ومؤمنة وبراعم نقية، علينا أن نصونهم، ولكـن لا بمعنى أن نستجيب لهم في كـل مـا ينـشدون مـن الأمـور الخارجـة عـن تخصصهم، فإننا وللأسف الشديد نشاهد مثل هذه الأمور، حيث يتأثر الـبعض بالاجواء فينساق وراء العقل الجمعي، وهذا بلاء عظيم، فـلا ينبغـي أن يكـون لهذه الأجواء والأهواء تأثير مباشر على ذهنياتكم.

إننا لا نرتضي الإعراض والعبوس وغيرها مـن الأمـور الغيـر مستحـسنة، ولكن في الوقت نفسه لا نرضى للعالم أن يقول لإرضاء العامة ما لا يوافق مبناه

(١) كلمة في أئمة ورؤساء المكاتب الاستشارية في خراسان، بتاريخ ١٣٦٢/١/٩هـ ش.

الفقهي أو فتواه أو فتوى مقلِده أو ما يخالف المَسلّمات، فإنّ هذا ذنب لا يغتفر»[1].

يجب على مبلّغ الدين أن يتحلى بالشجاعة بوصفها من التكاليف الشرعية والإنسانية، وأن يتجنّب مجاملة المخاطبين فيقوم على بيان الحقائق كما هي، معتبراً ذلك أصلاً لا يمكن تجاوزه، فهو بمنزلة الطبيب الذي يصف الدواء المرّ للمريض، وإن لم يكن المريض يستسيغه:

«على الكاتب مضافاً إلى علو الهمّة أن يتحلى بالدقّة والشجاعة الكاملة في بيان الحقائق، أي لا تكون له أدنى مجاملة للمخاطب على حساب الحقيقة.

وبعبارة أخرى: إنني إذا أردت أن أكتب شيئاً وعلمت أنه سيسوء الشخص الفلاني، فلا ينبغي عليّ أن أجعل من هذا الشخص شرطاً متأخراً يترك أثره على ما سأكتب، فلا بد أن أكتب الحقيقة كما هي وبشجاعة فائقة.

كما أنّ المواقف الشجاعة تنفع الإنسان على المستوى العالمي، فقد رأينا في العقد المنصرم أشخاصاً اتخذوا مواقف متخاذلة حتى لا تستاء الطبقة الكذائية، أو لأن الطبقة الفلانية تريد ذلك، فكانوا يتكلمون بطريقة خاصة أدت الى الإضرار بهم، ولكن لا ينبغي أن نتجاهل علو الهمّة فيجب أن يتكلم الإنسان بعلو همة وسعة الصدر، ومع ذلك يأخذ بالشجاعة والصراحة والصمود»[2].

كان الإمام الراحل قدس سره النموذج الكامل لمعرفة المخاطب وعدم التأثر بالأجواء، فقد أظهر هذه الصفة طوال الثورة وبعد انتصارها، فبرغم التفاته إلى جمهور المستمعين وتوجيه خطابه اليهم بما يتناسب وشأنهم، إلا أنه لم يستسلم للأجواء والأهواء التي تثار هنا وهناك، فلم ينثن عن أداء تكليفه

---

(١) كلمة في علماء الدين في محافظة مازندران، بتاريخ ١٣٦٣/١٢/١٧هـ ش

(٢) كلمة في هيئة التحرير في مجلة الحوزة، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٢٨هـ.ش.

واستقام على موقفه، وبيّن آراءه ومواقف الثورة الأصيلة بصراحة ودون أدنى مجاملة ومساومة.

وقد أشار سماحة القائد إلى هذه الصفة الممتازة في الإمام مراراً وتكراراً، ومنها قوله الآتي:

«حينما دخل الامام إلى إيران كانت الأجواء مشحونة بالآراء والأفكار الحداثية، وحتى علماء الدين من أمثالنا كانت لهم يد في تأجيج تلك الأجواء بما لها من المعاني الخاصة من الفكر المستنير، حتى جاء الإمام وكسح الواقع وبيّن موقفه من كلمته الأولى في مطار طهران، وقد أصبت بالدهشة حيث وجدت الإمام لا يتبنّى أياً من الملاحظات التي كانت عندنا، وفي تلك الأشهر الأولى بيّن موقفه القاطع والحاسم بالنسبة إلى الحجاب»[١].

البناء والتنظيم

يواجه العلماء حالياً متطلبات تبليغية متراكمة وهائلة، وهي في تزايد مستمر، وتستدعي من الحوزة اتخاذ مواقف جادّة:

«إنّ من جملة نواقص الحوزة عدم اتساع رقعة التبليغ، فالحوزة لا تُصدِّر من الكتب والصحف والمجلات مقداراً كافياً، ولا يزال سيل المطالبة بعلماء الدين ينهمر علينا من أفريقيا وأوروبا وآسيا، في حين لا ترسل الحوزة من المبلّغين ما يكفي لاستجابة هذه الدعوات»[٢].

مضافاً إلى هذه الحاجة الكبيرة، فقد اتخذت ماهية التبليغ أشكالاً معقدة ودقيقة ضاعفت من صعوبته؛ مما يستدعي ضرورة اتخاذ قرار مدروس، وفي هذا المجال نذكر النقاط الآتية:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

١ ـ ضرورة التنظيم:

ليس للإعلام الحوزوي ماهية منظّمة، وإنما يتكوّن في الأعم الأغلب بشكل فردي وتلقائي، والخطوة الأولى في إزاحة هذه العقبة بناء النظام الحوزوي بشكل معقول يمكنه من تنمية الطاقات وتوجيهها والحيلولة دون التفريط بها:

«علينا انجاز أمرين، الأول: تنظيم التبليغ على أفضل وجه، لأن ذلك يؤدي إلى استثمار كل القوى والطاقات مهما كانت ضئيلة، كما هو الحال بالنسبة إلى مدّ الانابيب لايصال الماء إلى البيوت دون إهدار قطرة منه، خلافاً لحمله بالسقاء وسائر الاواني، هذه هي مزية التنظيم.

إن تنظيم التبليغ يعني عدم إهدار الطاقات التبليغية، كالماء الذي لا يتبخر ولا يغور في الأرض، ولا يستهلك فيما لا ينفع، فأحياناً تسقي الأرض بماء أكثر من الحاجة فيؤدي إلى تَحَوّل المزرعة إلى مستنقع وحل، وهذا ما نقوم به أحياناً بالنسبة إلى التبليغ، فنرسل إلى بعض المناطق ثلاثة أضعاف ما تحتاجه من المبلغين، فنحصل على نتائج معكوسة، والتنظيم يحول دون وقوع ذلك»[1].

٢ـ التنظيم المناسب:

ينبغي أن يتم تنظيم التبليغ في الحوزة بما يتناسب والحاجة الموجودة، حيث إن الحاجة التبليغية الكبيرة، ومستويات المخاطبين المختلفة، والأدوات التبليغية المتعددة، وعشرات الأمور الأخرى، تستدعي من النظام التبليغي أن يتناسب مع أبعاد العمل وظرائفه، وأن يكون منسجماً مع الاهداف المرسومة.

إن هذه الأهمية تستدعي إقامة نظام تبليغي يعتمد على كادر إداري قوي، وإلا أصبح بنفسه مشكلة تضاف إلى مشاكل الحوزة، دون حل المشاكل القديمة:

---

(١) كلمة في المسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ ١٣٧٢/٢/٦هـ ش.

«إذا لم يكن هناك تنظيم، ولم يكن الذين يريدون ابلاغ خطابهم منظّمين، لم ينتج هذا الجهد العظيم أثره.

إن هذا التنظيم كان ممكناً بصورته البسيطة والطبيعية قبل انتصار الثورة؛ لأن دائرة عملنا كانت محدودة، ولكن حالياً تمّ تسليط الأضواء علينا من قبَل النظام والمجتمع والبلاد والدولة، وعليه لابد أن يكون تنظيماً أقوى وأكبر»[1].

٣ـ الحركة المنهجية:

لا ينبغي للتنظيم التبليغي أن يُحصر بالحدود الشكلية، ويكتفي بالنَظْم الصوري لإعلام الحوزة، فلابد من تطوير المحتوى الإعلامي في الحوزة، والكفّ عن تكرار المكررات، وتشتيت الجهود وعدم الانسجام مع الوسط الاجتماعي، وعشرات الأمور الأخرى.

وعليه لا ينبغي للمسؤولين في الإعلام الحوزوي الاكتفاء بالحساب الصوري والشكلي في بناء التنظيم، وجعله دليلاً على وجود النَظْم في الحوزة:

«أرى إن النَظْم التبليغي يتوقف على شروط تؤهّله لاظهار فوائده الحقيقية، إذ إن مجرد النظم والحركة الشكلية الفارغة من المحتوى لا تجدي نفعاً، فالنَظْم إنما يؤتي أُكله إذا تمتع بالمحتوى، إضافةً إلى الشكل.

فالحركة الشكلية تتلخّص في تعيين من يتحرك، والجهة التي يتحرك نحوها، وزمن الحركة والاستفادة من هذه الأدوات بشكل منظّم، وهذا النَظْم مفيد وجيد، إلا أنه لا يمكن القطع بفاعليته الحقيقية إلا إذا أُضيف المحتوى إليه»[2].

---

(١) كلمة في علماء الدين في مكتب تعبئة المبلغين في الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ ١٣٦١/٤/١٠هـ ش.

(٢) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

٤ ـ إعداد الكادر التبليغي:

على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تفكر في ضرورة إعداد المبلّغين، وتدرج هذا الأمر في ضمن برامجها الأساسية، إذ إن التبليغ يحظى في الوقت الراهن بحساسية تستدعي دراسة خاصة:

«هناك نقص أساسي لدى الحوزة في مجال التبليغ، حيث أصبح التبليغ منفصلاً عن الحوزة، فصحيح إنّ هناك من الحوزويين من يذهب إلى التبليغ في الصيف أو أيام محرم أو شهر رمضان، بدافع من بعض الأمور الشخصية، إلا أنه في الوقت نفسه لا يوجد في الحوزة درس للتبليغ بوصفه فنّاً وعلماً لابد من تعلّمه، فهناك من يريد أن يقول شيئاً فيقول ما هو ضده ومخالف لما نواه دون التفات منه، أو يذهب إلى التبليغ دون أن يتسلّح بعلم النفس الاجتماعي فيكلّم القرويين بما يجب أن يتحدث به مع الجامعيين، ويقول في المصنع ما كان يجب أن يقال في القرية.

اذاً لابد أن يكون هناك درس يتعلم فيه المبلّغ الأساليب والمقدمات العلمية في التبليغ كعلم النفس الاجتماعي»[1].

وهذا إنما يكون في ضوء صورتين:

أ ـ إقامة دورات قصيرة، وبذلك تقوم المؤسسة التبليغية في الحوزة بالإعداد الأولي والعام للمبلّغين؛ بغية تعريفهم على مسائل التبليغ الضرورية ولو بشكل عام واجمالي:

«وإنّ من بين المعاونيات التي يجب أن تكون ضمن إدارة الحوزة معاونية التبليغ، ووظفيتها إعداد المبلغين للداخل والخارج، واعداد المبلغين الثابتين والذين يذهبون في المناسبات إلى كافة مناطق البلاد، وكل واحد من هذه الأصناف بحاجة إلى دورات قصيرة، وصفوف خاصة به»[2].

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

(٢) كلمة في العلماء والمدرسين في الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

ب ـ إقامة فرع تخصّصي للتبليغ إلى جانب الطريق الأول الذي هو أعم وأشمل، فلابد من اجتياز طريق آخر مكمّل ومتمم؛ كي يتسنّى للحوزة تدريجياً إقامة فرع تبليغي تركّز فيه جانباً من طاقاتها وكوادرها.

إنّ هذا التبويب التخصّصي سيؤدي إلى الالتفاف حول المبلّغين لا بوصفهم عناصر متخلّفة عن مواصلة الدراسة، بل كعناصر احدى الفروع الأساسية في الحوزة، ومن خلال وضع جميع امكانيات المنظمة التبليغية في الحوزة تحت تصرّف المحققين في هذا الفرع سيغدو الوصول إلى الأهداف التبليغية أيسر:

«تاسعاً: تقسيم الطلاب تدريجياً وفقاً للأهداف، ويتم اختيار خمسة آلاف مبلّغ ومؤلّف وخطيب من بين العلماء والفضلاء، وثلاثة آلاف شخص للتبليغ في الخارج»[1].

٥ ـ الجدول الزمني:

بعد أن تقوم المنظمة التبليغية بتحديد الأهداف والجهات، عليها أن تحدّد سقفاً زمنياً؛ لتحقّق تلك الأهداف، ولذلك فوائد كثيرة:

منها دفع عجلة العمل بشكل أسرع، والحيلولة دون المماطلة واهدار الوقت.

ومنها رسم مستقبل واضح للعمل، واعداد الأرضية للتقييم، وإمكان نقد ومناقشة الأمور:

«لو أردنا إنجاز الأعمال بشكل فني، فلابد من تقسيم الهدف على المدة الزمنية، فلو كان انجاز الهدف يستغرق خمس عشرة سنة، فعلينا أن نتم في كل سنة جزءاً من ذلك الهدف بنسبة ذلك الجزء الزمني، ثم ننظر في كل سنة إلى

---

(١) كلمة في فضلاء الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١١هـ ش.

تقويم النسبة، وهل أننا متخلّفين في برنامجنا للوصول إلى ذلك الهدف أو اننا متقدمين»[1].

٦ـ تحديد المواضيع التبليغية المهمة:

على أجهزة الحوزة أن تحدد المواضيع المهمة في العصر الحاضر، وتضعها بين يدي المبلّغين، إذ لا شك في أنّ النشاط الفردي مهما كان واسعاً وشاملاً، يفوته أحياناً فَهْم بعض الموضوعات الضرورية والآنية بشكل صحيح، فبإمكان المؤسسة التبليغية رفع هذه النقيصة من خلال دراسة الحاجات الآنية ووضعها أمام المبلغين:

«حينما كنا على رأس التبليغ، كانت هناك مسائل لم يبق منها شيء حالياً، حيث كان يتعيّن علينا فهم الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية، إذ كانت تملأ أذهان غالبية الشباب الجامعي وغيره، بل وحتى أذهان بعض التجار كانت مشحونة بهذه الافكار؛ مما حتّم علينا ايجاد حلول وأجوبة لها، وأما حالياً فقد ظهرت مسائل أخرى.

ولا يمكن ترك هذه المسائل الجديدة دون جواب، حتى يأتي العدو ليملأ الفراغ الحاصل في أذهان شبابنا من الذكور والاناث، وعليه لابدّ لكم من التعرّف على هذا الفراغ، ولابدّ من إقامة مؤسسات وأجهزة ادارة في هذا المجال.

فلابد لعلماء الدين من مؤسسة تقوم بالتعرّف على هذه الأمور؛ كي تضعها تحت تصرّف المبلّغين، كما يجري ذلك في العالم المسيحي، فإنهم إذا أرادوا ارسال مبشّر إلى مكان معيّن قامت أجهزة الكنيسة العليا بعقد اجتماع لدراسة

---

(١) كلمة في أعضاء الشورى المركزية لمجمع أهل البيت العالمي، بتاريخ ١٣٧٢/٧/١هـ ش.

ماهو الضروري لذلك المكان، وما هي السلوكية المناسبة هناك والتي تساعد على التغلغل، ويقومون ببيانها وشرحها لذلك المبشّر»[1].

٧ ـ التقييم التبليغي:

على المؤسسة التبليغية تنفيذ برنامجها التبليغي برؤية دقيقة معتمدة على الاحصائيات العلمية للحصول على نقاط قوّتها وضعفها، فإن النظرة الاحصائية إلى البرامج التبليغية رؤية كميّة تساعد المؤسسة التبليغية على التدقيق في منتجاتها ومقارنتها بالسنوات الماضية وارتباطها بالنفقات المبذولة وما إلى ذلك:

«إنّ الاحصائيات التي تفضلوا بها احصائيات جيدة، وإن لم يمكن القطع بكيفيتها، إذ لابد من مقارنتها بإمكانيات وحاجات السنوات المشابهة لنتوصل إلى معرفة مقدارما لها من القيمة»[2].

وإلى جانب هذه الاحصائية الكمّية، لابدّ من إجراء دراسة كيفيّة أيضاً، ليتمّ بذلك تحديد مستوى بلوغ الأهداف المحددة سابقاً:

«ولابد أيضاً من إجراء احصائية كيفية، فبعد أن نحصل على احصائية كمّية تحدد لنا عدد المبلّغين والكتب وقاعات الدروس من الاحصائيات الكمية، نحاول التعرّف على مقدار ما بلغناه في التبليغ والغاية منه من الناحية الكيفية»[3].

الشيء الآخر والمهم هو تحديد هذه الاحصائيات (الكمية والكيفية) وتقييمها، فلا يكتفى في تحققها بتفاؤل مطلق، وإنما لابد من السعي وراء

---

(١) كلمة في علماء الدين على أعتاب شهر رمضان المبارك، بتاريخ ١٣٧٣/١١/٥هـ ش.

(٢) كلمة في المسؤولين في منظمة الاعلام الإسلامي، بتاريخ ١٣٧٢/٢/٦هـ ش.

(٣) المصدر السابق.

نقدها وتسليط الضوء على طريق تحققها، ليتمّ الاطمئنان بسير البرنامج بشكل صحيح:

«ما أريد قوله لسماحة الشيخ التسخيري وبقية السادة: أحياناً يأتي عدد كبير من الأشخاص ويقولون: لقد طبعنا هذا المقدار من الكتب، أفلا ينبغي لكم أن تلاحظوا أولاً: حسن انتخاب هذه الكتب، وثانياً: جودة طباعتها، وثالثاً: دقّة ترجمتها، رابعاً: ارسالها بدقّة، خامساً: وصولها إلى المكان الذي ارسلت إليه، سادساً: تداولها بين أيدي القرّاء ودراستها؟

فإن جميع هذه الأمور ضرورية ولازمة، وإلاّ فما هي فائدة إرسالها وتكديسها في المكاتب أو السفارة أو الملحقية الثقافية أو بقائها في المخازن»[1].

التبليغ التقليدي

يعد التبليغ التقليدي في الحوزة من الخطابة والمنبر حصن الحوزة المنيع، فلا ينبغي التقليل من شأنه، فإننا حينما نتحدث عن الاساليب التبليغية الحديثة والمعاصرة القوية، لا يعني التنكّر للمنبر والخطابة، فلابد من الحفاظ على هذا الاسلوب من التبليغ وتقويته ودعمه وتكميله:

«لابد من الاستمرار في صعود المنبر على النحو التقليدي الصحيح، ولكن لا بمعنى المحافظة على نفس الخصوصيات السابقة، فلابد من تغيير المطالب والمواضيع مع الإبقاء على المنبر الذي ورثناه من سابقة تمتد لألف سنة، أو الذي جرّبناه بوضوح منذ ثلاثمائة أو أربعمائة سنة الأخيرة على الأقل»[2].

إنّ الخطابة في الحوزات الشيعية بحاجة إلى دراسة تفصيلية، حيث إنّ لها دوراً محلوظاً في تاريخ بلادنا على الصعيد الثقافي والسياسي والاقتصادي،

---

(١) كلمة في أعضاء الشورى المركزية في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، بتاريخ ١٣٧٢/٧/١هـ ش.

(٢) كلمة في علماء الدين على اعتاب شهر رمضان المبارك، بتاريخ ١٣٧٣/١١/٥هـ ش.

فإن الخطابة والوعظ أعظم أداة إعلامية دينية تربط علماء الدين بالمجتمع، وقد حصل هذا التأثير الشامل والعميق بفضل الدم الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام.

وقد امتاز علماء الشيعة عن غيرهم من علماء سائر الأديان والمذاهب، في أن علماء الكنيسة لا يحظون بفرصة التحدث إلى المجتمع إلاّ في أيام الأحد وبعض أيام السنة، وأنّ علماء السنة لا يتحدثون إلى الناس إلاّ في خطب الجمعة وبعض الأماكن الدينية، بينما يجد العالم الشيعي أبواب الوعظ والارشاد مفتوحة أمامه على مصراعيها في كل مكان وزمان، وهذا بنفسه يحتوي على آثار اجتماعية وثقافية لا يسعنا الدخول في تفاصيلها، ولكن نكتفي بإشارات إلى هذه الخصوصية الممتازة التي نالها العلماء الشيعة ببركة سيد الشهداء عليه السلام.

«لم تتم حتى الآن دراسة التأثير الذي يتركه المنبر على مجتمعنا، فانظروا إلى مجتمعنا، هل تشاهدون موطناً يخلو منه منبر أبي عبد الله عليه السلام؟ فحيثما ذهبت تواجه المنبر، في المدن الكبرى والاماكن المزدحمة بالسكان إلى القرى النائية، بل وحتى الأرياف الصغيرة.

اذاً كل مجتمعنا بوصفه مجموعة شيعية لها سماتها الفكرية، ينظوي تحت مظلة الامام الحسين عليه السلام»[1].

إنّ الخطابة والمنبر من نوع التبليغ الموجّه الذي لا يمكن لأي وسيلة إعلامية أن تحلّ محلّه، وسعة الخطابة برغم محدوديتها واقتصارها على المستمع الحاضر، إلا أنّ أثرها عميق وجذري يتغلغل في أعماق المخاطبين ويحدث هزّة عنيفة في وجدانهم، كالتأثير الذي تتركه المسرحية القوية ـ خلافاً للفيلم السينمائي برغم بعده الواسع وكثرة مشاهديه ـ فتسمَّر جمهور

(١) كلمة في علماء الدين والمبلغين على اعتاب شهر محرم الحرام، بتاريخ ١٣٧٠/٤/٢٠هـ.ش.

المشاهدين على مقاعد المسرح، فكذلك يفعل الخطيب القدير من خلال توزيع نظراته النافذة على الحضور، وايماءاته الموزونة وبيانه الرصين ومحتواه المتين، فيرفع المستمع من الثَرى إلى الثُريا، ونماذج هذه الحقائق ليست بالقليلة في تاريخ الوعظ والخطابة.

مضافاً إلى ما في حضور الخطيب في الوسط الاجتماعي من الفوائد الأخرى كمشافهة الناس إيّاه بأسئلتهم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية وحتى الأُسرية، مما لا يقلّ في أهميته وتأثيره عن الخطابة نفسها.

وقد تحدّث سماحة القائد حول أهمية الخطابة والمنبر ودورهما قائلاً:

«صحيح إن هناك ـ بحمد الله ـ خطباً وكلمات متعددة للعلماء سواء في العاصمة أو المحافظات، من خلال صلاة الجمعة أو بعض المناسبات الأخرى، وكذلك الدروس والبحوث مما يعرض في الاذاعة والتلفاز، إلا أنّ أياً منها لا يحلّ محل مواجهة عالم الدين للناس وحضوره بينهم ومشافهتهم، كما كان ديدننا.

إنّ جمهور الناس هو الجمهور المتواجد في المناطق المختلفة من المدن والقرى المتفرقة، فلابد أن يكون لكل طبقة من الناس عدد كاف من العلماء ؛ كي يتحدّثوا إليهم وجهاً لوجه ليزيحوا علّتهم، ويحلّوا عقدهم الذهنية فيما يتعلق بالمسائل الدينية، والأشياء الأخرى وإن كانت ضرورية إلا أنها لا يمكن أن تحل محل الخطابة، فحتى الكتاب لا يمكنه أن يحل محلها.

وهذا من خصائص مجتمعنا، حيث لا يوجد مثل هذا الشيء في سائر البلدان إلاّ قليلاً، فحتى العراق ـ حيث يحظى بمجتمع شيعي أيضاً ـ لا يتمتع بهذه الخصيصة، حيث يتجه علماء الدين من مختلف المستويات إلى المدن والقرى المختلفة وبين العشائر، فيواجهونهم ويحدثونهم ويتعاملون معهم، ويجيبونهم على شبهاتهم الذهنية ومشاكلهم الروحية.

علينا أن ندعم ما ورثناه في المجالات المتعلقة بعلماء الدين ولا ندعه يذهب من أيدينا بل نكثره، إنني أظن أن لدينا نقصاً في هذا المجال»[1].

موسم التبليغ

تعَد أشهر رمضان ومحرم وصفر من الشهور الثمينة التي تخلق لنا فرصة إشاعة الثقافة الدينية في البلاد، وارتباط المبلّغين بسائر أفراد المجتمع.

فعلى المبلّغين أن يبذلوا كل ما في وسعهم للرفع من شأن التبليغ في هذه المناسبات، وأن يحولوا دون التقليل من أهمية هذه الأشهر المباركة.

وقد أكد سماحة القائد منذ البداية على ضرورة الحفاظ على هذه السنّة، مبيناً آثارها على الدين والعلماء والثورة، منها قوله:

«في واحدة من أسفاري إلى مشهد المقدسة بعد الثورة، قمت بجمع الأخوة عناصر اللجان الثورية [2] وحذّرتهم قائلاً: إنكم تعملون الآن في ادارة امور الناس، إنّ ما بقي متروكاً الآن هو ما كنتم أنتم تقومون به سابقاً. إنّ أشهر رمضان ومحرم وصفر كانت تعدّ الفرصة لطيور السعد هذه في الانتشار في كافة أنحاء البلاد، وإيصال نداء الثورة والحق والثقافة الإسلامية إلى أسماع الناس»[3].

إنّ موسم التبليغ لم يقتصر تأثيره على هداية المجتمع دينياً، بل كان له دور بارز في الثورات الاجتماعية والسياسية في بلادنا في القرن الأخير، ابتداءً

---

(١) كلمة في اعضاء مجلس الخبراء، بتاريخ ١٣٧١/١١/٢٩هـ ش.

(٢) مجموعات ثورية تأسست بعد انتصار الثورة الإسلامية، من أجل حفظ الأمن والنظام ومحاربة المنكرات في داخل البلاد، وقد تمّ دمجها في ما بعد مع جهاز الشرطة ليشكلوا قوات الأمن الداخلي.

(٣) كلمة في علماء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد المقدسة، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

من ثورة المشروطة إلى انتفاضة الخامس عشر من خرداد، حيث كان المبلّغون في المواسم يغتنمون فرصة تجمّع الناس في ابلاغ نداء الحق وبيان مفاسد وجور الحكومات الغاشمة، ويتحدثون حول حكومة العدل.

لا شك في أنّ قراءة عميقة في ثورات القرن الأخير تدلّنا على أمور هي غاية في الأهمية، وكيف أنّ أشهُر التبليغ المذكورة أسهمت في تكوين أو انتشار تلك الثورات، وقد ظهر هذا التأثير بشكل أجلى في ثورة الإمام الراحل ﷺ إلى حين انتصارها في الثاني والعشرين من بهمن.

وقد ذكر سماحة القائد في تتمة كلامه السابق:

«حينما صرّح الامام ﷺ بتلك الإرشادات ما بين عام ١٣٥٦ و ١٣٥٧هش (١٩٧٧م ـ ١٩٧٨م) ودعا الناس إلى ثورة عامة، لم تبق مدينة ولا قرية في كافة أنحاء البلاد إلا واستجابت لأوامر الإمام ونداءاته.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: أنّ هناك بعض القرى والمدن النائية لم تكن حتى ذلك الحين قد سمعت بإسم الإمام، أو إذا كانت قد سمعت به فلم تكن قد تعرّفت عليه جيداً ولم يكن بوسعها فَهْم كلام الامام، اذاً كيف اتفقت كلمتها واستجابت لنداء الإمام؟!

إنّ سرّ هذه المسألة كامن في وجودكم، حيث كنتم تذهبون بكل ما اُوتيتم من تواضع وتضحية إلى نقطة أو قرية من قرى البلاد، لا يزيد عدد سكانها على خمسين أو ستين اُسرة، فتمكثون هناك لعشرة أيام أو عشرين يوماً أو شهراً كاملاً، وتعيشون بين الأهالي.

إنّ أذهان الناس إنّما تمّ إعدادها بفضل هؤلاء المعمّمين من الشباب الذين لم يكن لهم طمع بشيء، فاُولئك هم مبلّغو الإسلام»[1].

---

(١) كلمة في علماء الدين على اعتاب شهر رمضان، بتاريخ ١٣٧٣/١١/٥هـ ش.

لقد بلغت الثورة في شَهْرَي رمضان ومحرم ما بين عامي ١٣٥٦ و ١٣٥٧هـ.ش (١٩٧٧ و ١٩٧٨م) ذروتها، وانكشفت جرائم النظام البائد بفضل التواجد التقليدي للمبلّغين في مساجد القرى والمدن وحسينياتها، وتمّ تبيان الماهية الإلهية لثورة الإمام ﵀ وراحت بذور الثورة تنبت وتنمو في كل أنحاء البلاد.

وفي هذه الأيام التبليغية لمحرم وعاشوراء تجد للتبليغ صدىً واسعاً، حيث يعمل الدم الطاهر لسيد الشهداء على بثّ الحرارة في صدور الناس والباحثين عن العدالة، ويعدّ الأرضية لاستماع حقائق الدين ورسالة المبلّغين، ومن هنا فإن عاشوراء تلعب دوراً فاعلاً في إحياء الثقافة الشيعية في البلاد، وتمهّد الأرضية المؤثرة في تثبيت وتعميق الثقافة الدينية والثورات المناهضة للظلم على مدى التاريخ:

«لقد اقترنت هذه الرؤية بشأن الدين على مرّ القرون، وطوال القرون الأخيرة في بلادنا باسم الإمام الحسين بن علي عليه السلام وقد أفادت الثورة من هذه الشبكة الواسعة من القنوات، حيث انتشر الفكر الثوري المستند إلى واقعة عاشوراء في كافة الأنحاء عن طريق هذه القناة، وأدخل الناس إلى ساحة المواجهة»[(١)].

على المبلّغين أن يشكروا هذه النعمة الإلهية، ويستفيدوا منها على أفضل وجه في هداية المجتمع، فإن هذه الأرضية لا توجد في الأديان والمذاهب الأخرى، فهي منحصرة بالشيعة فقط، فلابد من اغتنام هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا بفضل الدم الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وصحبه:

---

(١) كلمة في العلماء والمبلغين على أعتاب شهر محرم، بتاريخ ١٣٧٠/٤/٢٠هـ ش.

«إنّ نعمة مجالس العزاء ومحرم وعاشوراء مختصّة بمجتمعنا الشيعي، حيث تقوم بوصل القلوب بمصدر حرارة الإيمان الإسلامي، الأمر الذي أرعب الجبابرة عبر التاريخ، فأخذوا يخشون عاشوراء والضريح الطاهر للإمام الحسين عليه السلام، وقد بدأ هذا الخوف من عهد بني أمية واستمر إلى يومنا هذا.

وقد شاهدتم نموذج ذلك في عصرنا وثورتنا هذه، فحينما يقرب شهر محرم يعلم النظام الرجعي الكافر والفاسق والفاسد لأسرة البهلوي، أنه لم يعد بوسعه أن يفعل شيئاً، وهذا ما أشارت إليه بل وصرّحت به التقارير التي خلّفها ذلك النظام المقبور.

وقد أدرك إمامنا العظيم رحمه الله وهو الرجل الحكيم والحاذق والعارف بأمور الدين والدنيا والناس كيف ينتفع بهذه الحادثة من أجل الوصول إلى أهداف الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما قام به، فعُرف المحرم بوصفه شهر انتصار الدم على السيف، وانطلاقاً من هذا المفهوم جعل الدم ينتصر على السيف، وهذا ما شاهدتموه، فعلى العلماء والمجتمع الاستفادة من هذه المسألة»[1].

لا ينبغي تضييع هذه الفرصة التبليغية الفريدة بسهولة، وابقائها في حدودها التقليدية، فإن التيار التبليغي ذاتي التحرك في هذه الأيام الحزينة، ويعد مهداً فريداً لهداية المجتمع فكرياً، فلابد من التخطيط لذلك بالنحو المناسب.

ولابد للجهاز التبليغي أن يعدّ نفسه لهذه الأيام الخاصة، وأن يمدّ المبلّغين بالمعلومات اللازمة، ويرسلهم بذهنيات معدّة وبيان ناطق؛ كي يلبّوا حاجات المجتمع الدينية، ويزيح عنه الشبهات و يصون إيمانه.

ولكن ـ للأسف الشديد ـ لا نشاهد عملاً بالمستوى المطلوب في هذا المجال، إذ لا يزال التبليغ في المواسم يسير على المنهج السابق من الأعمال

(١) كلمة في العلماء والمبلغين على أعتاب شهر محرم، بتاريخ، ١٣٧٠/٤/٢٠هـ ش.

الفردية والتلقائية والذوقية، حيث لا يتم دعم المبلّغ من قِبَل المؤسسات التبليغية بالنحو المطلوب:

«توجد هناك أوقات مهمة ومؤثرة في أحد هذين الشهرين «محرم وصفر» على الأقل، يحتشد فيها كمّ هائل من الناس، ويمكن توجيه الكلام إليهم، فمن الضروري عقد اجتماع قبل حلول شهر محرم، للتخطيط لكيفية الدخول في هذا الشهر، وما هي أهم المواضيع التي يجب طرحها في هذين الشهرين، من خلال الالتفات إلى الشرائط الزمانية والحوادث والمشكلات، ثم يقوم مركز أو ادارة بتعميم هذه المواضيع على جميع المبلّغين، وإعلامهم بأولوية هذه الأمور في العشر الأوائل من شهر محرم مثلاً»[1].

إنّ من طرق الوصول إلى هذا الهدف، عقد المؤتمرات النافعة قبل موسم التبليغ، حيث يجتمع الخبراء في المسائل الاجتماعية والتبليغية، فيستعرضون أهم المواضيع وطرق الوصول إليها.

وهذا يساعد المبلّغ على الخروج من المتاهة في عرض المطالب، وتجنّب ما ليس بنافع منها أو لا يتناسب مع شرائط الزمان والمكان، ويتمّ تزويده برؤية واضحة في العثور على المطالب الضرورية للمجتمع المخاطب:

«لو افترضنا أننا على أعتاب شهر محرم، وهناك بعض المتطوعين للذهاب إلى التبليغ، فلابد للفضلاء من اقامة مؤتمر بهدف تحديد المواضيع التي يستفهم الناس حولها ثم يشكّلوا مجموعة لجان تقوم بإعداد القضايا التي يجب تناولها والتي تحتوي على اجابات لاستفهامات الناس، ثم يجلس جماعة ليدرسوا هذه المسائل وصولاً إلى مصادرها، أو في الأقل يتم التعريف بمصادرها، فإن حصل مثل هذا الشيء، أمكن القول بحصول حركة منسجمة»[2].

---

(١) كلمة في علماء الدين في الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ ١٣٥٦/٢/٤هـ ش.

(٢) كلمة في علماء الدين في الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ ١٣٦٥/٢/٤هـ ش.

مكافحة الخرافات

لا ينبغي للتبليغ الديني أن يمتزج بالتحريف والخرافة، ولا ينبغي لظُلمة الباطل أن تمحو شعاع الحق، ولا ينبغي تزويد الناس بالأساطير والقصص غير الموثّقة بدلاً عن الدين والحقائق.

وتتجلّى أهمية هذه المسألة خصوصاً في عصرنا، حيث ارتفع المستوى العلمي لدى الناس، فإن مبلّغ الدين من خلال تشويه محتوى خطبته بالأساطير لا يقلل من اعتبار كلامه والتنزّل به إلى مستوى حكايات العجائز فحسب، بل يقلل من شأن الدين أيضاً، وبذلك يقوم على إعداد أرضية التشكيك بحقائق الدين الأصيلة:

«لا ينبغي لنا حينما نعتلي المنبر أن نحرّك ألسنتنا بأي كلام، أو إذا تحدثنا بموضوع كان ذلك الموضوع هشّاً لا يقوي من إيمان الناس، بل ربما عمل على إضعاف الايمان في النفوس. فلو حصل هذا فإنه لا يحقق الفوائد والمقاصد المنوخاة من تلك الجلسات، وللأسف أننا في بعض الأحيان نلاحظ وجود مثل هذه الأمور.

وأحيانا يلاحظ أن خطيبا ينقل موضوعا في أحد المجالس يكون من الناحية الاستدلالية والقواعد العقلية أو النقلية هشاً، ومن ناحية أخرى يُوجِد تأثيراً هداماً في أذهان بعض المستمعين الواعين وأهل المنطق والاستدلال.

مثلا نرى شخصا استمع لحديث ما، وصدق به، ودونه في كتاب أصبح مهجوراً، لماذا ينبغي لنا أن ننقل هذا الكلام الذي لا يساعد على الاستدلال عند بعض المستمعين الواعين وأهل المنطق من الحاضرين في المحافل الكبيرة؟. هل يصح أن نقول أي كلام كتب في مكان ما؟. فلابد لما تقولونه أن يساعد على رفع الشبهات لا أن يزيد فيها، فهناك من لا يعير هذا الموضوع أهمية،

فيصعد المنبر ويتحدث بأمور لا تحل عُقَداً كانت عالقة في ذهن السامع، بل ويضيف إليها عُقَداً أخرى!»[1].

تتجلّى حساسية المسألة في كون هذه الاجتماعات تعقد من أجل ذكر مصائب أهل البيت(عليهم السلام)، فلا ينبغي للخطيب والواعظ أنْ يذهب به الظن إلى أنّ وظيفته الوحيدة هي استدرار الدمعة والعبرة من سامعيه، حتى ولو كان ذلك على حساب الحقيقة، فيتوسل بالأكاذيب والأساطير معتذراً بذكر مصيبة سيد الشهداء(عليه السلام)، فإن جوهرة الحقيقة لا تعدلها جوهرة أخرى:

«إنّ حادثة عاشوراء تعد في باب الجهاد في سبيل الله أُم المعارف، وأساس ثورتنا، فلابد من بيانها بأُسلوب ناصع، وهي الحقيقة الصافية فيجب إبعاد الإضافات الدخيلة التي دسّتها بعض الألسنة والأقلام.

إنّ مسألة عاشوراء ليست بالمسألة البسيطة، فلا ينبغي مزج هذه الحادثة العظيمة بالخرافات والأساطير»[2].

إنّ حادثة عاشوراء للأسف الشديد لم تمتزج بالخرافات والأكاذيب فحسب، بل وأُضيفت إليها بعض الأمور التي لا تنسجم مع أهداف الثورة الحسينية وقيمها؛ مما يقلّل من رونقها في أذهان المخاطبين، ويحجب الفضائل الإنسانية من قبيل الشجاعة والإيثار والتحرر والإصرار على الأهداف وأداء التكليف وما إلى ذلك من المكارم:

«الشرط الأول: هو تنزيه هذه الحادثة من الشوائب المضرّة، فحتى ما جاء في بعض الكتب لا يتناسب وشأن الثورة الحسينية، فلابد ـ بعد معرفتها ـ من تصفية الحادثة منها.

---

(١) كلمة في علماء وطلاب محافظة كهيكلوية وبوير أحمد، بتاريخ ١٣٧٣/٣/١٧هـ ش.

(٢) كلمة في العلماء والمبلغين على أعتاب شهر محرم، بتاريخ ١٣٧٠/٤/٢٠هـ ش.

وبعد تخليص هذه الحادثة العظيمة من هذه الأمور، نقوم بمزجها بأنواع البيان الفني من الشعر والنثر وأسلوب التعزية الذي يعد فنّاً بحد ذاته، ولا إشكال في ذلك إذا أدى إلى مفهوم «ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»[1] وأما إذا كان مخالفاً لذلك، فإنّه سوف لا يخدم الأهداف الحسينية والثورة العاشورائية»[2].

على المبلّغ أن لا يكتفي بالابتعاد في كلامه عن الخرافات والتحريفات، وإنما عليه مضافاً إلى ذلك أن يدقّق في مراسم العزاء، فلا يشجع على ما كان منها منافياً للمروءة والشؤون الدينية أو المصلحة الاجتماعية، بل وعليه أن يحول دونها.

لابدّ أن يتألف عزاء سيد الشهداء عليه السلام من العاطفة والحماسة والمعرفة بشكل يتأثّر به حتى الناظر الأجنبي ويهفو له قلبه خضوعاً واجلالاً.

إنّ ما يقوم به البعض من أفعال غير عقلانية بإسم العزاء، تؤدّي إلى تشويه التشيّع، وتصبّ تلك المصيبة الكبرى ـ والعياذ بالله ـ في قالب الحماقة والسفاهة، فلا تميل اليها القلوب، بل وتنفرها من الشعائر الشيعية.

على الواعظ والخطيب والجمهور المعزّي أن يدرك أنّ عيون آلاف آلاف الناس من الداخل والخارج تنظر إلى التشيّع، إذ لم يعد أقلّية مذهبية لا تلقى لها أهمية، وإنّما تقع الرؤى وقيم الشعائر الشيعية حالياً في إيران الاسلامية تحت الأضواء، وأنّ كل سلوك غير ملائم قد يؤدي إلى تشويه الحقائق الناصعة والكامنة في التشيّع وعاشوراء، ويطبع عنها في الأذهان صورة قبيحة.

على العلماء والخطباء والوعاظ أن يدركوا أنّ المسألة لا تنحصر ببحث عملٍ معيّنٍ ـ كضرب الرأس بالسيف ونحوه ـ فقهياً، بغية استنباط حكمه

---

(١) زيارة الإمام الحسين عليه السلام يومي عيد الفطر والأضحى.

(٢) كلمة في علماء الدين والمبلغين، بتاريخ ١٣٦٨/٥/١١هـ ش.

الشرعي، مما يتناسب والبحوث التقليدية في المدارس والأقسام الداخلية، وإنما البحث في الظروف الراهنة يطال مصلحة التشيّع والمجتمع الثوري الشيعي، فإن مثل هذه الأفعال السخيفة، أو المشينة في الأقل وإن كانت بإسم عزاء سيد الشهداء تترك أثراً سيئاً على المخاطب الأجنبي، ولا تقرّبه من مظلومية التشيّع وعاشوراء، بل وتبعده أميالاً عنها، وتبذر في وجوده بذور النفرة أو عدم الرغبة في التشيّع في أقل التقادير.

وقد حذّر سماحة قائد الثورة في كلمة من الانعكاسات السيئة التي تتركها الأعمال المخالفة لشؤون العزاء، مشيراً إلى أضرارها الفادحة حيث قال:

«إنّ الإمام حيث أمر بالاستمرار على العزاء التقليدي أراد به عقد المآتم والبكاء واللطم، والخروج في مواكب جماعية للعزاء، أي يثير العواطف ويستميل النفوس نحو أهل بيت النبي(عليهم السلام)، وهذا أمر ممتاز لا غبار عليه.

وهناك أفعال تؤدي إلى العكس من ذلك، حيث تعمل على اعراض الناس عن الدين، وأقول للأسف أننا شاهدنا في هذه السنوات الأربع الأخيرة أموراً أرى أن هناك أيادٍ تروجها بين المجتمع، وكل من يشاهدها يقف مستفهماً.

فقديماً شاع بين عوام الناس ظاهرة وضع الأقفال في أجسامهم في موسم العزاء، فبادر علماء الدين العظام إلى النهوض ضدّها وقاموا بذمّها، حتى زالت، إلاّ أنها عادت مؤخراً إلى الظهور، وهكذا بالنسبة إلى ضرب الهامات بالسيوف؛ أي (التطبير) حيث يقوم البعض بأخذ السيوف وضرب رؤوسهم بها فتسيل الدماء، لأي شيء؟!! وفي أي مكان يعتبر ذلك عزاءاً؟؟ إن ذلك من الأعمال الخاطئة.

وقد ظهرت أخيراً بدعة غريبة وغير مألوفة، جعلوها في باب الزيارات، فهل سمع أحدكم أن أحد العلماء أو الأئمة (عليهم السلام) عندما يذهبون للزيارة وبمجرد

وصولهم الى الباب الخارجي ينبطحون أرضاً ويزحفون حتى يصلون الى الحرم؟!. الآن هناك البعض عندما يريدون دخول الصحن الطاهر للإمام علي بن موسى الرضا ﷺ يرمون بأنفسهم أرضا ويزحفون لمسافة مأتي متر. فهل هذا عمل صحيح؟؟.

كلا، إن هذا عمل خاطئ وفيه توهين للدين والزيارة، فمن الذي أشاع هذه الأفعال بين الناس؟ فهل من الممكن أن يكون هذا من فعل الأعداء أيضا؟!

قولوا ذلك للناس، ونوِّروا الأذهان. إنّ الإسلام دين المنطق، وأكثر جزء في الإسلام منطقية هو ما يمتلكه الشيعة من تفسير قوي للإسلام، وقد كان متكلّمو الشيعة في جميع العصور شموساً ساطعة، فهل هذا هو التشيّع أم تلك الأمور التي لا تقوم على دليل، بل هي «أشبه شيء بالخرافة؟!» فلماذا تُدخل هذه الأمور في الدين؟؟ هذا هو الخطر الماحق الذي يتعيّن على حراس الدين وحفظته أن ينتبهوا إليه»[1].

الهجرة التبليغية

إنّ الحاجة التبليغية في تصاعد وازدياد، حيث يتمّ الطلب من الداخل والخارج، ولكن دون استجابة في الغالب، حيث يؤدي هذا الخلأ إلى أضرار كبيرة، إذ لا تعثر الأسئلة الدينية البسيطة منها والمعقدة على أجوبة؛ مما يؤدي بالمجتمع الديني في الداخل والخارج إلى الانزلاق في المتاهات وأودية الحيرة والضياع:

«تأتي الوفود الينا من مختلف الدول وتطلب منّا المبلّغين، وهكذا من الداخل حيث تتمّ المطالبة بالمبلّغين وأئمة الجمعة، وبرغم وجود حوزة علمية

(١) كلمة في علماء وطلاب محافظة كهكيلوية وبوير أحمد، بتاريخ ١٣٧٣/٣/١٧هـ ش.

بهذه العظمة ربما يمضي على منطقة ستة أشهر أو سنة دون أن تعقد فيها صلاة الجمعة، وكأننا نطالب المبلّغين بالذهاب إلى غابات الآمازون!

وحين نسألهم عن السبب في عدم ذهابهم، يعتذرون بأنهم يريدون الاستمرار في الدراسة! أيها الأخوة، أنا لا أرتضي هذا الأسلوب ولا أراه ربّانياً»[1].

على الطالب أن يدرك أهمية التبليغ وهداية الناس، ولا يقلل من شأنه، وأن يعتبر حضوره في الحوزة وارتدائه زيّ العلماء مقدمة للتبليغ، ولا يبخل على الناس بالإرشاد والهداية.

«لا يقولنّ أحد إن فلاناً درس المكاسب والكفاية وأصبح فاضلاً، فما أهمية قراءته لهذه الكتب إذا كانت نتيجته التبليغ بين القبائل والرحّل؟! فإن هذه الأمور بأجمعها مقدمة لهداية الإنسان إلى الإسلام والتدين، «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»»[2]، [3].

لا ينبغي للمدرسين في الحوزة أن يجعلوا الدراسة ذريعة لترك التبليغ، ويمتنعون بسببها عن الإقامة في الأماكن التي تمسّ فيها الحاجة إلى التبليغ:

«ربما كان مصداق هجرة طلاب العلوم الدينية والفضلاء المستقرّين في الحوزة، متحققاً في الذهاب إلى التبليغ في أكناف البلاد الاسلامية، فبإمكان البعض الاقامة في مدينة وهداية سكانها، إلا أنهم ماكثون ضمن المئات من أمثالهم في قم دون أن يكون لإقامتهم فيها أثر يذكر، وإذا كانت عندهم حلقة

---

(١) كلمة في العلماء والمدرسين في الحوزة العلمية في المدرسة الفيضية بقم، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ.ش.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٤٤٨..

(٣) كلمة في علماء محافظة جهار محال وبختياري، بتاريخ ١٣٧١/٧/١٥هـ ش.

دراسية من عشرين أو ثلاثين طالباً، أمكنهم الاستغناء عن أساتذتهم إذا ذهب هؤلاء الاساتذة إلى التبليغ، وحضر أولئك الطلاب عند أساتذة آخرين»[1].

كما أنّ السابقة التاريخية للحوزة تثبت أن الهجرة التدريسية والتبليغية للكثير من علماء الحوزة السابقين، كانت منعطفاً عظيماً في التغيير الاجتماعي، وظهور قواعد راسخة للفكر الشيعي، وربما أمكن القول: إنّ قيام المجتمعات الشيعية في ايران والعراق ولبنان وغيرها من المواطن كان بفعل الهجرات العظيمة للعلماء إلى هذه المناطق:

«فلتبادر ادارة الحوزة العلمية والبارزون فيها إلى القيام بهذا العمل، مبتدئين بأنفسهم، كما أنّ هناك من الكبار الذين إذا توجّهوا إلى مدن أخرى، كان وجودهم هناك أنفع، فقد هاجر آية الله الميلاني ﷺ من كربلاء إلى مشهد فأسّس حوزة علمية عظيمة فيها، فكان من النعَم الإلهية الكبرى على حوزة مشهد المقدسة، وقد كان بإمكانه أنّ يبقى في كربلاء إلى آخر عمره بين سائر العلماء من أمثاله في النجف وكربلاء، إلاّ أنّه جاء إلى مشهد وكان قدومه مصدراً للبركة»[2].

وهكذا الأمر بالنسبة إلى طلاب الحوزة، إذ يمكن لهجرتهم وإقامتهم المؤقتة في المواطن التي تمسّ الحاجة فيها إليهم أن تسدّ جانباً من هذه الثغرات، وعليه لا ينبغي ترك التبليغ تحت ذريعة الدراسة، فإن الإقامة لبضعة أشهر أو حتى عدّة سنوات لا تؤثر سلبياً على الدراسة، ويمكن جبران التخلّف عن الدراسة بمضاعفة الجهود:

«إنّ الطالب الشاب إذا تمكّن من الدراسة وطيّ المقدمات وشيئاً من الأُصول والفقه الاستدلالي، فليس هناك مانع فيما لو ترك الدراسة سنة ليقيم

(١) كلمة في بداية درس خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٣/٦/٢١هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

في مكان آخر؛ من أجل التبليغ، ليعود ثانية ويحل محلّه شخص آخر، فلن يؤثر ذلك على مستواه الدراسي»[1].

لا ينبغي ايقاف عجلة التبليغ بحجة قلّة الإمكانات وما شاكل ذلك، ولا ينبغي للطالب أن يجعل من توفّر الظروف المناسبة شرطاً للذهاب إلى التبليغ، فلا يذهب إلا على طريق معبّدة وأرض ممهّدة، فإن الهجرة التبليغية نموذج من الجهاد، وعليه لابد من تحمّل الصعاب فيها ومفارقة الأهل والديار ومعاناة الغربة. وبكلمة مختصرة: فإنّ هذه الهجرة تتطلب من المبلّغ أن يرمي بنفسه في نارها ولهيبها.

«هناك حالياً في بلدنا بعض القرى التي تفتقر لعلماء الدين، فعلى العلماء أن يتوجهوا إليها دون قيد أو شرط، وهناك من يقول: لابد من توفّر الإمكانات والتسهيلات الكذائية كي نذهب، وأنا لا أقول بعدم الاحتياج إلى هذه الأمور، ولكن لا ينبغي لعدمها أن يشكّل عقبة دون ذهابهم»[2].

على الحوزات الشيعية أن تجعل التجربة المسيحية في التبشير نَصْب عينها، فقد سارع المبشّرون إلى المسيحية إلى أطراف العالم وأكنافه، وإلى صحراء القارة الافريقية الجرداء، والأدغال الملتفّة بالأعشاب والنباتات والقبائل المتوّحشة، والمناطق القطبية المتجمّدة، وكل المناطق التي يرجى فيها انتشار النصرانية، وبذلوا كل ما بوسعهم من أجل نشر الديانة المسيحية، مما يحتّم على الحوزات الشيعية ـ لكونها أقرب من غيرها الى شمس الحقيقة ـ أن تستلهم العِبَر من هؤلاء المبشّرين، وتسعى قبل غيرها إلى ازاحة حجب الظلام عن الدنيا بأجمعها:

---

(١) كلمة في علماء الدين، على اعتاب شهر رمضان المبارك، بتاريخ ١٣٧٣/١١/٥هـ ش

(٢) كلمة في علماء الدين والمبلغين، على اعتاب شهر محرم الحرام، بتاريخ ١٣٧٠/٤/٢٠.هـ.ش.

«لقد ذكرت للسادة العلماء مراراً، أننا نعرف قساوسة تركوا مدنهم العامرة ورغد العيش في اوروبا وقطعوا آلاف الكيلومترات حتى بلغوا أمريكا اللاتينية وأفريقيا وغابات الآمازون أو ادغال كينيا، وأخذوا يبشّرون بالمسيحية ومكثوا هناك عدّة سنوات، وبلغوا أماكن لم تصلها حتى أقدام المستعمرين، وأخذوا معهم صلباناً ونشروا بين سكان تلك المناطق المساكين ما عندهم من عقائد خرافية، و كان من ضمن أولئك السكان بعض المسلمين وغير المسلمين وقاموا بتنصيرهم. هذا هو جدّهم في باطلهم، فلماذا نتخاذل نحن عن حقّنا؟!»[1].

التبليغ في البلدان الأجنبية

إنّ الأزمة الأخلاقية والمعنوية التي ضربت العالم، واقترانها بانتصار الثورة الإسلامية أدّى إلى التوجّه ثانية إلى الإسلام، فأخذت الأذهان والأنظار في المجتمعات الغربية الحائرة تنظر إلى الإسلام بوصفه ديناً قادراً على بيان مشاكلها.

وعليه، فهناك ضرورة إلى المبلّغين في كافة مجتمعات العالم، ولو لم يتمّ إشباع نَهْم هؤلاء المتعطّشين إلى ادراك الحقيقة، فسيقوم كل وسواس وخناس بإشباعها إشباعاً كاذباً بكل أنواع الخرافات والأساطير:

«إنّ الإسلام يتمّ عرضه حالياً بوصفه رسالة الحياة وحلّ معضلاتها وطريقاً للخلاص من مشاكل القرن العشرين والحادي والعشرين. والذي ينظر إلى الإسلام بهذه النظرة، سرعان ما يتبنّاه ويعتنقه، وهو ما نراه حالياً حيث سرعة انتشار الإسلام في البلدان الغربية ومنها امريكا والبلدان الأُوروبية الكبرى.

وهذا ليس مجرد إدعاء خطيب يقول ما يسمع، وإنّما أقوله عن اطلاع دقيق، فقد تعرّف الكثير من الناس في البلدان الغربية والمسيحية على الإسلام،

(١) كلمة في علماء محافظة جهار محال وبختياري بتاريخ ١٣٧١/٧/١٥هـ.ش.

ويريدون المزيد من المعلومات عن هذا الإسلام الذي أحدث هذه الضجّة العظيمة، وأقام دولة، وأخذ ينافس القوى العظمى، ولايخاف من أحد، يدير الحياة الدنيا، ويخوض في ساحة الحياة، ولا ينتابه شيء من الأضرار والضغوط والمخاوف وحالات الضعف التي تنتاب الحكومات الأخرى، يريدون معرفة هذا الدين، فمن الذي يجب أن يبيّن هذه الحقائق؟

هل علينا الجلوس، حتى يذهب اليهم الأميّون والذين لا يعرفون من الإسلام شيئاً، أو لا يعرفون منه سوى ما تلقّوه من أفواه هذا وذاك»[1].

عند التبليغ في البلدان الأجنبية لابد بالإضافة إلى مراعاة الأمور العامة المذكورة من مراعاة بعض الأمور الخاصة أيضاً، وفيما يلي نشير الى بعضٍ منها:

١ ـ التعرّف على لغة وثقافة البلد الاجنبي:

على المبلّغ في البلد الأجنبي أن يكون على علم كامل ومعرفة تامة بلغة وثقافة ذلك البلد؛ حتى يتمكن من إيجاد الارتباط والتفاهم بسهولة، فيتفهّم الرؤى والقيم والعقائد الثقافية السائدة فيه، فيتعاطى معها على ذلك الأساس، ولولا ذلك ربما أدّى التبليغ إلى نتائج معكوسة، فقد يؤدّي عدم التعرّف إلى كلمة في عرف المخاطب إلى صرفه عن الاستماع إلى الخطاب بأكمله، ويدعوه إلى إتخاذ ردود فعل سلبية، والتشكيك في أصالة الخطاب وكونه حقاً، أو يجرّه إلى أودية الإعراض والإنكار.

وهذا ما حصل على أرض الواقع في كثير من الموارد، حيث تعرّض جهازنا التبليغي في الخارج إلى تخبّطات وأخطاء من نوع ما تقدّم ذكره،

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٤/٦/١٤هـ ش.

وعلاج ذلك يتمّ من خلال تعرّف المبلّغ على لغة وثقافة المجتمع المخاطب قبل مزاولة التبليغ، إذ لا يمكن للإنسان أن يغوص في البحار قبل تعلّم فنون السباحة، وإلا كان مصيره الغرق، بل فيما نحن فيه لايغرق وحده وإنما يغرق معه عدد كبير من النّاس.

إنّ هذا النوع من الأخطاء يُعرّض الجهاز التبليغي في الخارج إلى خطر ماحق؛ لأن الخطاب الأول يترك على ذهن السامع أثراً عميقاً، والذي ينبغي معرفته أنّ الارتباط بالأمم لا يقوم على أساس الخطأ والصواب، فإن الذي يخطأ في هذا المجال لا يُعطى فرصة ثانية للتعويض، بل ربما ترك صورة سيئة وخاطئة عن المبلّغ الشيعي لا يمكن محوها سريعاً؛ مما يفوّت الفرصة على المبلّغين الاكفّاء.

«لابد أن يتصدّى لهذه المهمة أشخاص أكفّاء، أمضوا الدروس والدورات، وتعرّفوا على المجتمعات الأجنبية من الناحية النفسية، وأصبحوا يتكلمون مثلهم؛ ليتمكنوا من التحاور والتفاهم معهم»[١].

٢ـ المثابرة وتحمّل الصعاب:

لا ينبغي التعاطي مع التبليغ في الخارج بوصفه نزهة وسياحة، وقضاءً لأوقات الفراغ.

فإن تيسّر التبليغ في رقعة واسعة من العالم كان بفضل الهمم ومواصلة العمل وتحمّل الصعاب، إذ لا توجد في قاموس التبليغ مفردة الكسل والدعة، بل إنّ التبليغ لا يشمل على غير العناء والعمل الشاق الذي يكلّف المبلّغ وضع روحه رخيصة على طَبَق من التضحية والفداء.

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

فقد كان المسلمون يبدون في تبليغ الدين والإسلام في الهند وجنوب شرق آسيا وأفريقيا وغيرها استقامة مذهلة وصولاً لأهدافهم؛ حتى نشروا الإسلام في ربوع الأرض.

فإذا أُريد للفكر الديني الشيعي أن يكون له حضور ملموس، فعليه أن يعتمد مثل هذه الهمّة والاستقامة، وأن لا يخشى الصعاب، وأن لا يعبأ بالمشاكل، وأن يستعذب الغربة، ويقوم على سقاية بذور الإسلام في العالم بفيض دمائه ودموعه:

«يتصور البعض أنّ التبليغ في الخارج أمرٌ في غاية العذوبة، وأنّ من يذهب إلى التبليغ في الخارج يقيم في مقصورة في لندن أو باريس، ويلتقي بأناس من عليّة القوم!

اقرأوا سيرة بعض المبشّرين النصارى وما كابدوه من الصعاب في أعماق غابات أفريقيا وأمريكا، وبطبيعة الحال فقد ذهب هؤلاء لأهداف استعمارية وليست إلهية وحقيقية، وقد سبقهم المبلّغون المسلمون في نشر الإسلام في أعماق آسيا، وشبه القارة الهندية «بنغلادش والهند والباكستان وأندونيسيا وماليزيا والصين وتركستان الشرقية».

وعلى هذا النحو انتشر الإسلام في أغلب هذه المناطق، حيث ذهب بعض العرفاء والصالحين فمكثوا هناك سنوات متمادية، متحمّلين الصعاب، حتى قتل بعضهم ومضى شهيداً، ومنهم من قضى عليه الجوع»(١).

٣ ـ الرقابة المعنوية والأخلاقية:

على المبلّغ أن يحاسب نفسه في كل موقع ومكان، وأن يصدّق فعلُه قولَه، وأن يكون جديراً بعمله كمبلّغ.

---

(١) كلمة في علماء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

ويتجلّى هذا الأصل العام في المبلّغ في الخارج بشكل أهم؛ وذلك لأنّه سفير وحامل رسالة التعاليم الدينية في البلد الأجنبي، مما يزيد من خطورة مسؤوليته، فإنّ خطأ المبلّغ في داخل البلاد مهما كان عظيماً لا يعدّ شيئاً مع وجود هذا الكمّ الهائل من العلماء الصالحين، الأمر الذي لا يؤدي بالعامة إلى سوء الظن بطبقة العلماء والدين، في حين أنّ المبلّغ في خارج البلاد لا يمثل نفسه، حيث تتوجّه إليه الأنظار بوصفه حاملاً للدين، فتنعكس جميع أخطائه على الدين؛ ما الأمر الذي يترك آثاراً سيئة وطويلة الأمد، مما يفوّت الفرصة على غيره لإصلاح الخطأ، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنّ الدول الأجنبية بعيدة عن مركز الإسلام والولاية، ما يضاعف من الخطر، فإن العناصر الضعيفة لمكان قُربها من المحور تستفيد من جاذبية قطبه، فلا تنزلق في أودية الضَلال سريعاً، بخلاف العناصر البعيدة عن مركز الانجذاب، وعليه يجب على المبلّغ في الخارج أن يتحمّل ثقل المسؤولية، وأن يضاعف من محاسبة نفسه ومراقبتها، مدقّقاً في سلوكياته الأخلاقية والمعنوية؛ ليصون نفسه من الزلل:

«عليكم أن تهتمّوا أكثر بتزكية أنفسكم؛ وذلك بسبب ابتعادكم عن البلد ومركز الثورة الرئيسي فإنكم وإن كنتم من أهل العلم والفضل والورع والدين، إلا أنّ الذي يبتعد عن مركز الدين والشعائر الاسلامية، عليه مراقبة نفسه أكثر، من خلال التوجه والارتباط بالله تعالى، فمثلاً لو كان الشخص مقيّداً بالذِكر والدعاء وصلاة الليل والنوافل وغير ذلك بمقدار معيّن، فعليه إذا ذهب إلى مكان أبعد أن يضاعف من ذلك المقدار؛ ليتمكن من الحفاظ على نفسه بالمستوى الذي كان عليه»[1].

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة باقر العلوم عليه السلام الذين أعدوا انفسهم للتبليغ في خارج البلاد، بتاريخ ١٣٧١/٢/١٧هـ ش.

المقالة السادسة

المنهج الأخلاقي والمعنوي

- مكانة الأخلاق في الحوزة
- علم الأخلاق ودراسته في الحوزة
- مخاطر الزلل والفساد عند علماء الدين
- زيّ علماء الدين

إنّ الأخلاق بمنزلة القلب النابض في الحوزة، وسراجها الذي يقشع حجب الظلمة، ويُضيء درب الحياة، وأنّ بقاء الحوزة رهن ببقاء هذا السراج مشتعلاً، وعندها يمكن الاعتماد على الحوزة بوصفها مؤسسة لها تأثيرها الخالد:

«ذهبنا ذات يوم برفقة جمع من الأساتذة الكبار ـ وكان من ضمنهم بعض الشخصيات المرموقة ـ إلى الإمام قدّس سرّه فذكر أحدهم للإمام أشياء بشأن حوزة قم، فأجابه الإمام قدّس سرّه: عليكم تكريس شيئين في الحوزة، أحدهما: الفقه، والثاني: الأخلاق»[1].

مكانة الأخلاق في الحوزة

إنّ الرقابة الأخلاقية والمعنوية واجبة على كل أفراد المجتمع الإسلامي، فكل شخص متدين عليه أن يفكر في سلوكه المعنوي ويراقب أفعال جوارحه وجوانحه. ويتأكد ذلك بالنسبة إلى عالِم الدين بنحوٍ أشد لأسباب مختلفة، نشير فيما يأتي إلى جوانب منها إجمالاً:

١ـ دور التزكية والتهذيب في عملية التأثير:

يرى العالم نفسه مبلّغاً للدين، وهكذا يراه الآخرون، ويرى ضرورة أن يكون مؤثراً في أداء هذه الرسالة، وأن ينفذ إلى قلوب مستمعيه، وأن يُحدث فيهم نقلة روحية.

وهذا إنما يتمّ إذا وجده المجتمع متخلّقاً، وعاملاً بما يقول، ورآه مرآة صافية من الأخلاق والعمل الصالح:

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد المقدسة، بتأريخ ١٣٦٦/١/٥هـ ش.

«إنّ المبلّغ إذا لم يكن مهذّباً لم يكن بإمكانه تهذيب الآخرين، ولو لم يكن الإنسان مؤمناً عاملاً بما يقول لم يكن لكلامه تأثير على الآخرين، فإنكم تتذكرون كيف كانت الكلمات حول الثورة تنفذ في نفوس الناس؛ وذلك لأن الذين تكلّموا بتلك الكلمات كانوا يطلقونها مع إيمانهم العميق بها وألزموا أنفسهم بالعمل بها قبل أمر الناس بفعلها، ولذا كانت الكلمات تخرج من قلوبهم، فلا غرو في أنّ تدخل القلوب وتؤثّر فيها، هناك الكثير مما يقال، إلاّ أنّ الذي كان يدخل القلب ويؤثر في المخاطب هو ما كان صادراً عن اعتقاد المتكلم، وما كان يعمل به المتكلم.

فعلينا أن نكون عاملين بشروط حركتنا هذه، وأول شرط فيها هو تهذيب النفس وعدم الطمع، والإخلاص، وتقبّل المخاطر، والوعي، وعدم مساومة أعداء الله، فلابد من التحلّي بجميع هذه الأمور»[1].

٢ـ تأثير سلوكية العلماء على أحكام المخاطبين:

كل عالِم يعدّ نموذجاً يمثّل واقع الحوزة، حيث يترك بصمات الحوزة على الأذهان حيثما حلّ، ومن خلال ذلك يحكم الناس على الحوزة إيجاباً أو سلباً.

وعليه لابد للعالِم أن يدرك أنّ سلوكه يعرّض سمعة الحوزة للإختبار، ولا يقتصر تأثير الحكم الصادر على المعاصرين فقط، بل يشمل الاعتبار التأريخي للعلماء عبر العصور، حيث إنّ العالِم لا يرتكب بمعصيته خطأً شخصياً، بل يؤدّي إلى هتك حرمة آلاف العلماء المخلصين الطاهرين:

«لو صدرت أعمالنا عن ضعف وخوف وتهرّب من المسؤولية، وعن سوء في التقدير وما إلى ذلك، ستصدر بحق علماء الشيعة ـ الذين فجّروا أقوى

(١) كلمة في علماء مكتب إرسال المبلغين في الحزب الجمهوري الإسلامي، بتأريخ ١٣٦١/٤/١هـ ش.

ثورة في العصر الحاضر ـ أحكاماً سلبية، ولو كانت مواقفنا حازمة وجادّة وفي الوقت نفسه حنونة وواقعية ومنتظمة وأبوية مع الصديق ومنصفة مع العدو، اتخذت الأحكام الصادرة شكلاً آخر»(1).

النجاح الدراسي

لا يتمّ الوصول إلى العلوم الدينية عن طريق المثابرة والجد في الدراسة فقط، فإن العناية الإلهية والتوفيق الربّاني شرط أساسي في ذلك أيضاً.

فقد شهد تأريخ الحوزات الشيعية الكثير من الثمار غير اليانعة التي رامت بلوغ النجاح بالاعتماد على كفاءتها الذاتية وجهودها الشخصية، بعيداً عن التزكية والتهذيب، فسقطوا أثناء الطريق، أو تركوا الدراسة واشتغلوا في أمور أخرى، أو مكثوا في الحوزات من دون تقدّم.

وتشهد لذلك النصوص الدينية والتجربة الواقعية، فلا يبلغ قمة العلوم الدينية، إلاّ من خصّه الله بعنايته ورحمته.

«على الطالب أن يكون متعبّداً، وأن يستعين بالأمور المعنوية قدر استطاعته إذا أراد النجاح في دراسته»(2).

العلم ودرس الأخلاق في الحوزة

من أجل أن تجد المراقبات الأخلاقية والسلوكية منزلتها وشأنها في الحوزة، تحتاج إلى أن تكون نفس الأخلاق في الحوزة ببعديها النظري والعملي ذات منزلة مرموقة.

إنّ الرقيّ الأخلاقي ينشأ في الحوزات الدينية من الأحاسيس الفردية، حيث يتّجه الطالب نحو طلب العلم بلهفة وشوق؛ ولذا يستشعر ضرورة

(1) كلمة في العلماء وحجاج بيت الله الحرام، بتأريخ ١٣٦١/٣/٢٦هـ ش.

(2) كلمة في طلاب مدرسة الشهيد مطهري العليا، بتأريخ ١٣٦٢/٩/٣٠هـ ش.

التدقيق في سلوكه وأخلاقه، ولزوم مطابقتهما للأحكام الشرعية؛ ليبلغ بذلك الغاية القصوى من المعرفة بمعنى التقرّب إلى الله.

وهذه الدوافع الفردية تؤدي إلى وجود عدد لا يستهان به من الطلاب المتخلّقين والمتهجّدين، خلافاً لسائر المشاغل والمراكز الأُخرى، إلاّ أنها تبقى محدودة على الصعيد الفردي، دون أن يكون هناك تخطيط من قِبَل الحوزة، وإشراف مباشر أو غير مباشر منها على الإعداد الروحي.

وإنّ أبسط الطرق وأقدمها في هذه الرقابة هو درس الأخلاق في الحوزة، وهذا الطريق برغم قِدَمه وما له من قوة في التأثير، في طريقه إلى الزوال، حيث نشاهد في العقود الأخيرة عدم الإقبال على تدريسه، ولا تبادر الحوزة لحثّ المتشوّقين إلى الأخلاق فيها لإحياء هذه السنّة الحسنة:

«لم يكن في الحوزة درس للأخلاق، برغم ما كان يتمتع به الطلاب من قلوب صافية ونفوس طاهرة وقد ولدوا في الغالب ببيئة صالحة، ولو أردنا ـ بوصفنا من الطلاب ـ تعليم الأخلاق للآخرين، نستشعر الحاجة إلى أن يكون لنا معلم في الأخلاق»[1].

وبذلك فإن الحوزة لا تكتفي بعدم تطوير أساليبها باستخدام الأساليب الجديدة في الرقابة المعنوية ورفع مستواها العلمي، بل تفقد ما كانت تعهده من الأساليب القديمة، وفي خضمّ ذلك وإن كان هناك قلائل من الذين يسبحون عكس التيار، فيبلغون القمم المعنوية بكفاءاتهم الشخصية، ولكن هناك الكثير من الذين ينجرفون مع هذا السيل الجارف فينشغلون بأعمالهم اليومية والدراسية الأخرى، وينزلق قلّة في أودية الفساد والضياع، فيسيئون إلى سمعتهم وسمعة الحوزة العلمية.

---

(١) كلمة في فضلاء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتأريخ ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

على النظام الحوزوي أن يجعل من إعداد الطالب الفاضل العارف بزمانه هدفاً أساسياً في برنامجه التعليمي، وأن يوظّف جميع إمكاناته في هذا السبيل، ومنها الاستفادة من آراء الخبراء والأساليب التعليمية الجديدة.

كما أنّ هناك نقص في الحوزة في مجال تدوين الكتب الأخلاقية، رغم التقدم الحاصل في مجال علم الأخلاق وفلسفة الأخلاق حيث لم تتجاوز كتاب (جامع السعادات) وما شابه ذلك، فلم تواكب المتغيّرات الأخلاقية في العصر الحاضر.

فلا تزال الأساليب متوقفة على تلك الكتب، فلا تجد إلاّ تكراراً لما في (طهارة الأعراق) لابن مسكويه، أو ما يعد تكاملاً لـ(جامع السعادات) و(معراج السعادة)، وبعضها استمرار لإسلوب (إحياء العلوم) أو تنقيح لـ(المحجة البيضاء)، والبعض الآخر يكتفي بجمع الآيات والروايات الأخلاقية وشرحها باختصار[1].

حيث يتم عرض هذه الأساليب (الأخلاق المعتمدة على الأخلاق الإغريقية، أو الممتزجة بالعرفان، أو المستندة إلى الآيات والروايات) على نحو ما كانت عليه سابقاً ولكن مع تغيير طفيف، وعليه يمكن القول: بأن المؤلفات الأخلاقية في الحوزة تعيش فترة من الركود، حيث لا نشاهد بوارق خالدة في هذا المجال.

هذا وتتعرض المدارس الجديدة والأديان المختلفة إلى رؤى جديدة في المباحث الأخلاقية، وإنّ حجم هذه البحوث آخذ في التزايد بمرور الأيام:

«إنّ أمواج الفقه والفلسفة والكلام والحقوق أحاطت بالعالَم من جميع جوانبه، ولا زلنا على مسافة بعيدة منها، بل حتى بالنسبة إلى الأخلاق، فقد

(١) بين كتابة هذه الصورة ونقلها إلى اللغة العربية مرّت ما يقارب التسع سنوات، وفي هذه المدة لوحظ وجود اتجاه عند مجموعة لا بأس بها من العلماء والفضلاء للتركيز على إعطاء مجموعة من الدروس الأخلاقية التي تتلاءم مع متطلبات العصر.

سافر بعض أعلام الحوزة (أدام الله بقاءه) إلى إنجلترا قبل سنوات، زار فيها إحدى المكتبات، وقال لي: «قد خصص طابق من هذه المكتبة للكتب الأخلاقية التي ألّفها الغربيون في السنوات الأخيرة»، في حين لم يصدر عن الحوزة في هذه المدة بنسبة واحد بالألف بل وحتى أقل من ذلك بالقياس إلى ما كتبه الغربيون، فلم نكتب كتاباً علمياً في هذا المجال بعد «معراج السعادة» وجامع السعادات»[1].

مخاطر زلل العلماء وفسادهم

إنّ صدور المعصية والخطأ من العالِم لا تكون تبعاته مقصورة على العالِم فقط، بل تشمل الكيان الحوزوي بأجمعه، وتقلّل من قيمته واعتباره في أنظار المجتمع؛ مما يخلق أرضية لتشكيكه أو إنكاره أو إعراضه عن الدين.

وعليه ينبغي على نظام الحوزة أن يضاعف من حسّاسيته تجاه أخطاء العلماء، وأن لا يتسامح مع المخطئ منهم، وأن يُشدّد من العقوبة عليه؛ لأن التسامح مع المتظاهرين بكونهم من العلماء يزيد من جرأتهم على اقتراف المآثم واجتراح المعاصي، ولذا على الحوزة والجهاز القضائي المسؤول أن يحول دون مثل هذه الأمور:

«يراجعنا أحياناً بعض السادة من ذوي النيّات الصادقة، ويقول: «لو ارتكب هذا الذنب غير العالِم، هل تتمّ معاقبته بمثل هذه الشدّة؟!، ونحن نقول: لو كانت العقوبة محددة كان الجميع فيها سواء، وإذا كان القاضي في سعة أمكنه تخفيف العقوبة أو تشديدها حسب ما يراه من المصلحة، ومن جملة الأسباب التي تضطر القاضي إلى التشديد في العقوبة أن يكون المذنب متلبّساً بثياب العلماء».

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتأريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

هناك ارتباط بين التدقيق والشدّة في فساد المتلبّسين بثياب العلماء، والظروف السائدة في العقدين الأخيرين، مما يضاعف من أهمية المسألة.

فبعد قيام الجمهورية الإسلامية، خضع علماء الدين حتى من كان منهم بعيداً عن الجهاز الحاكم إلى الرقابة الاجتماعية؛ مما يوسّع من آثار أخطائهم ويترك بصمات سيئة عنهم.

وإذا كان خطأ عالِم الدين ينحصر في السابق بحدود القسم الداخلي والمدرسة، فإنه وبإرتباط هذه المؤسسة بأجهزة الحكومة المختلفة زادت الأرضية للزلل، وارتفع إحتمال الإصابة من مستوى الزلل والفساد فيها.

فعلى الحوزة في هذه الظروف أن تدقق في المسائل الأخلاقية بشكل أشد؛ حتى تخلق في نفس الطلاب وعلماء الدين رادعاً من أنفسهم، وترفع من صيانتهم ومناعتهم الذاتية تجاه المزالق، هذا أولاً.

وثانياً: أن تعمل على إقامة المؤسسات التي من شأنها تطهير المحيط الخارجي في الوسط الطلابي، من خلال تشديد العقوبة على المسيئين دون مجاملة أو محاباة:

«قبل عدة أعوام حيث تمّ التمهيد لتأسيس هذه المحكمة «المحكمة الخاصّة بعلماء الدين»، ذهبت إلى الإمام وقلت له: إنما انتصرت هذه الثورة بفضل دعم ألف سنة من السلطة الروحية للعلماء في قلوب الناس، إلاّ أن هذه السلطة الروحية من الممكن أن تتلاشى الآن نتيجة سوء أفعال البعض منا.

لقد أنفقنا ما حصلنا عليه من رأس المال فأنتجنا شيئاً والآن وبعمل بعضنا فإن رأس المال يحترق ويتحول الى رماد.

ومن جملة الأمثلة التي ذكرتها للإمام هي أن يكون الناس قد اجتمعوا على قارعة الطريق بانتظار سيارة الأجرة، وإذا بالمعمم يختال أمامهم بسيارة فارهة

واضعاً سيجارة بين شفتيه، ويدخل طريقاً ممنوعة الدخول، فماذا ستفعل هذه الحالة بالمؤسسة العلمائية بين الناس؟ إنها تدمر. فما ظنّك إذا اتّضح أنّ هذا الشخص قد ارتكب الموبقة الكذائية أو اختلس من بيت المال، أو استغل منصبه بشكل سيّئ! أو أنه يمارس مخالفة أخلاقية ويرتكب العمل السيئ الفلاني.

قد يصبر الناس عند رؤيتهم بعض هذه المفردات، ولكن إذا تفاقم الوضع، فسوف يصدرون حكمهم بفساد هذه الطائفة»[1].

زيّ علماء الدين

على النظام الأخلاقي والتربوي في الحوزة أن يقوم على صيانة قيم علماء الدين الأخلاقية، وأن يحول دون ضعفها واضمحلالها.

وفيما يلي نعرض النقاط المهمّة في ذلك:

١ـ الزهد والتقوى:

يعود الاعتبار التأريخي السائد في الحوزة وعند علماء الدين إلى نظرتهم إلى الدنيا والأمور الماديةنظرة زوال واضمحلال، فإن المجتمع يرجو من عالم الدين أن لا يقع ضحية لمظاهر الدنيا وفريسة لبريَق الأموال فيها:

«إخوتي الأعزّاء من الطلاّب والفضلاء، إعلموا أنّ سمعتنا بين أبناء شعبنا، وشعوب العالم رهنٌ بزهدنا وعدم اعتنائنا بزخارف الدنيا»[2].

وقد عرفت السابقة التاريخية لعلماء الدين بهذه الخصوصية، حيث عاش علماء الدين في المجتمع بمستوى دون المتوسط، وقد لبسوا ثوب القناعة والمناعة، ولم يقوموا بمصادرة إيمان الناس:

---

(١) كلمة في المسؤولين في المحكمة الخاصة بعلماء الدين، بتأريخ ١٣٦٩/٨/١٣هـ ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتأريخ ١٣٦٥/١/٤هـ ش.

«كان أكثر علماء الدين في عداد الطبقات الاجتماعية التي تعيش دون الحد المتوسط، وكان العلماء يرون تجنب الإسراف واجباً عليهم، وكان شائعاً في عُرفهم أنّ بعض الأمور ـ التي لا تعتبر إسرافاً بالنسبة إلى عامة الناس ـ غير مناسبة لشأنهم وتعدّ إسرافاً لهم، وهذا الأسلوب هو الذي رفع من رصيدهم عند عامة الناس وزرع فيهم المحبّة لدى كافة الطبقات»[1].

في الظروف الراهنة يشتدّ وجوب العمل بالزهد والتقوى، ففي عصر الابتعاد عن السلطة كان الزهد يعد مزيّة للعالِم، وأما حالياً لو ارتفع العالِم عن المستوى العادي من الحياة الاجتماعية بسبب ارتباطه بأجهزة الدولة، واتخذ مسلك الطبقات العليا، فإنه سوف يبطل القيمة التأريخية للحوزة، وسيعزو الناظر ذلك الزهد إلى الظروف الطبيعية والقهرية، لا إلى اختيار العالِم للزهد والتقوى بطوعه.

وعليه فإن التعلّق المادي من قِبَل علماء الدين والإسراف في ذلك، لا يترك آثاراً سيئة على شخصه وطبقة العلماء فحسب، وإنما يعرّض القيمة التأريخية وتراث الحوزة القيّم للإضمحلال والزوال:

«على علماء الدين في الوقت الحاضر أن يبتعدوا عن الرفاه المادي أكثر من ذي قبل، بل إنّ هذا واجب علينا حالياً لكوننا نعد أُسوة لغيرنا، فحينما كنا خاضعين تحت السياط كان من طبعنا عدم الاهتمام بأمور الدنيا، وأما حالياً إذا تمكن العالم من الدنيا وتركها طوعاً، يكون قد أنجز عملاً جبّاراً»[2].

يتجلّى تأثير عالِم الدين حالياً من خلال الزهد والتقوى بشكل أكثر، حيث لا يميل المجتمع إلى العالِم إذا رأى فيه ركوناً إلى مظاهر الدنيا، ولا

(١) كلمة في حفل تتويج جمع من الطلاب بالعمامة في مسجد المجد، بتأريخ ١٣٦٧/١٢/١٥هـ.ش.
(٢) كلمة في علماء محافظة بيرجند، بتأريخ ١٣٦٦/١/٣هـ ش.

يفتح لـه منافذ قلبه وروحه، فقد يؤدّي مراسم التبجيل الظاهري فيتأدّب في سلوكه، إلاّ أنه لا يردد لـه نغمات التكريم في سريرته، ولا يستشعر أدنى تعلّق أو محبة تجاهه.

فعلى العالِم أن يختار من بين «التنعّم والرفاه» و«أداء الواجب التبليغي» إحداهما، فلا يمكنه الإمساك بهما معاً:

«أعزتي، علينا أن نبدأ بأنفسنا، فالناس ينظرون إلى عملنا، فالعالِم إنما يؤثر كلامه، ويكون نافذاً إذا جسّد عدم اهتمامه بزخارف الدنيا على المستوى العملي، وعدم استيلاء الحرص على زبارج الدنيا عليه كما هو مستولٍ على أهل الدنيا»[١].

٢ـ بساطة العيش:

تعتبر بساطة العيش والقناعة وتجنب الإسراف مظهراً عملياً للزهد، ونموذجاً لانعدام التعلّق، والثورة على عالم التجمّل الملتوي والمليء بالعُقد، وبكلمة واحدة فهو مثال صادق للتحرر من القيود.

إنّ حياة الطالب الوادعة والبسيطة كانت ولا تزال مثالاً للحياة الهانئة وغير المتكلّفة، حيث ملأ الكتاب والقرطاس والرغبة في التعلّم والتكامل جميع الفراغات، ولم يبقَ للتعلّقات الأخرى مكاناً يذكر:

«تشرّفنا ذات مرّة بالذهاب إلى الإمام بصحبة أعضاء المجلس المركزي لأئمة الجمعة، فبادر إلى نصحنا وضرب مثلاً بصاحب الجواهر[٢]**، قائلاً: لو أراد**

(١) كلمة في العلماء والمبلغين على أعتاب شهر رمضان المبارك، بتأريخ ١٣٦٩/١٢/٢٣هـ.ش.

(٢) وهو الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرحيم ولد في حدود ١١٩٢وتربى في أُسرة علمية وتسنم أعلى المقامات العلمية في زمانه، بدأ في كتابة موسوعة جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام وهو ابن الخامسة والعشرين، ومع ذلك يجمع كبار الفقهاء على علو شأنها ورفعة قيمتها وضرورتها لكل طالب علم وفقيه. من أساتذته الشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء)، وصاحب الجواهر هو من عَيّن الشيخ الأنصاري للمرجعية. توفي قدّس سرّه عام ١٢٦٦هـ

صاحب الجواهر أن يعيش بشكل معيّن «وذكر نوعاً من الحياة» لما استطاع أن يكتب صفحة واحدة.

ثم قال: أتعلمون الظروف التي كتب فيها صاحب الجواهر هذه الموسوعة؟ كان ﷺ يجلس في طابق أرضي ـ حيث لم يكن السرداب شائعاً ـ وكان يفتح النافذة، لكي يدخل الغرفة شيء من النسيم والنور، ولما كانت طريقة فتح النافذة آنذاك تتم بسحب بابها إلى ألاعلى، والذي كان غالباً ما يعود إلى الأسفل، كان ﷺ يجلس تحت النافذة ليحول دون رجوع بابها، ولم يكن النسيم نسيماً بارداً، بل هو هواء النجف المعروف بحرارته، في مثل هذه الأجواء قام صاحب الجواهر بتأليف كتابه.

وأنا شخصياً لم أذهب إلى النجف في فصل الصيف، إلاّ أنني عشت في مدينة إيرانشهر التي يقال: إن هواءها مثل هواء النجف، ولا زلت أتذكر وهج حرارتها، حيث إذا تعرّض المرء إلى نسيمها يخال إليه أنه قد واجه فوهة أتّون، من شدّة لفحه للوجوه، ليدعوا الله بقطع ذلك النسيم»(١).

لقد عُرف علماء الشيعة بهذه الصفة، وامتازوا عن غيرهم من الأديان الأخرى كبرجوازية العلماء النصارى، ونالوا بذلك شعبية واسعة، وجعلوا أفئدة الناس تهفوا إليهم، فمن المؤسف التفريط بهذه العلقة، وقطعها بالطمع والأثَرَة:

«إنّ سرّ جمالنا يكمن في عدم وضع الطلاء والرتوش، وإن شعبية علماء الدين ليست في تجمّلهم، وإنما في بساطتهم»(٢).

---

(١) كلمة في أعضاء مكتب الإعلام الإسلامي في حوزة قم العلمية، بتأريخ١٣٩١/١٢/٥هـ.ش.

(٢) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية، بتأريخ ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

وبعبارة أخرى: إنّ نسيج الحوزة قد حيك بلحمة القناعة، والبساطة، ولو تجرّدتِ الحوزة عن طبيعتها هذه، ووقعت في شباك زبارج الدنيا وزخارفها، فسوف تهبط من مكانتها ومنزلتها الطبيعية، وستفقد ثقة الناس بها:

«لقد بُنْيت طبيعة الحوزة على القناعة، وعدم الاهتمام بظواهر الدنيا، وعدم الإنفاق فيما لا فائدة فيه»[1].

٣ـ الإخلاص:

إنّ عالِم الدين بحاجة ماسّة لإخلاص النوايا، وإنّ إثمار الجهود رهن بدوافعه نحَو العمل، وإنّ إخلاصه في النيّة يساعد على إيناع بذوره الطاهرة لتغدو شجرة طيّبة تؤتي أكلها كل حينٍ بإذن ربّها.

إنّ تبليغ الدين لا يبلغ النجاح لمجرد بذل الجهود والمساعي، إذ إنّ سبيل الدين لا يلتقي بسبيل الدنيا، وإنّ الله سبحانه لا يرتضي لنفسه شريكاً، ولذا فإنه سبحانه إنما يوفّق من أخلص له نيّته في تبليغ دينه في الدنيا والآخرة.

إنّ سرّ نجاح الإمام الراحل قدس سره لم يكن لمجرد ذكائه أو مثابرته وجِدّه وعلمه ووعيه وما إلى ذلك، فقد توفّرت هذه الخصال في كثير من سواه، وإنما الذي ميّزه عن غيره هو أنه تعامل مع هذه الصفات بإخلاص منقطع النظير، حتى بلغ هذا المبلغ الذي رأيناه فيه:

«لو أننا بوصفنا من العلماء، أخلصنا النوايا وعملنا لله وصلحنا، صلحت الدنيا أيضاً، ولقد كان الإمام منّا وشاهدتم ثمرة إخلاصه.

ففي الوقت الذي لم يكن الشعب قد عرف الإمام، كان المقرّبون منه يعرفون أنه كان يعمل لله، وحينما صدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الإصلاح والغضب لله وفي الله، لم يكن يبدو أن عمله سيؤدي إلى

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتأريخ ١٣٧٢/٦/٢٨هـ ش.

ما فيه رغد العيش، بل كان يزيد حياته ألماً ويؤدي إلى قطع لقمة عيشه وإبعاد الأنظار عنه، إلاّ أن إخلاصه كان لله وحده، فلم يكن يتوقع حتى بلوغ النصر، فأحدث هذه الهزّة في العالَم... هذا هو أثر الاخلاص.

وقد ذكر مراراً قبل انتصار الثورة وبعدها أننا لا نعمل لبلوغ النصر، وإنما نعمل أداءً للتكليف»[1]، [2].

٤ـ العبادة والتهجّد:

على علماء الدين بوصفهم الدعاة إلى الله وعالم الآخرة، أن يجسّدوا الارتباط المعنوي بعالَم الغيب من خلال مناجاتهم لله سبحانه، وترجيح مناجاة العالم الأسمى على التخبّط في عالم الدنيا:

«حالياً يرى الشباب من غير العلماء أنفسهم ملزمين بالمستحبات والنوافل، فعلينا أن نتقيّد في ذلك أكثر منهم، فإن الصلاة بحضور القلب والالتزام بالنوافل، وتلاوة القرآن مع التدبّر فيه، وتجنّب المعاصي والآثام من الأمور التي تحسّن من صورة علماء الدين»[3].

على عالم الدين أن يعدّ بعض المستحبات من جملة تكاليفه، فإن أداء الواجبات وترك المحرمات مطلوبة من كل مسلم ملتزم بالدين، إلاّ أنّ عالم الدين حينما يتسنّم مجلس النبي صلى الله عليه وآله، والإمام عليه السلام، فعليه أن يكون في سلوكه مشابهاً للأنبياء والأئمة عليهم السلام وأقل أوجه الشبه في ذلك أن يأتي بما كانوا يفعلونه من أداء المستحبات والنوافل:

---

(١) كلمة في علماء نيشابور، بتأريخ ١٣٦٥/٤/٢٩هـ ش.

(٢) يقول الإمام رحمه الله في هذا الصدد (.. نحن جميعاً موظفون بأداء التكليف وليس بتحقيق النتيجة، ولو كان جميع الأنبياء والمعصومين عليهم السلام مكلفين بتحقيق النتائج في عصرهم لما كان ينبغي لهم الانطلاق إلى أبعاد خارج قدرتهم العملية أبداً ولا أن يذكروا ذلك ولا أن يطرحوا الأهداف الكلية بعيدة المدى التي لا يمكن أن تتحقق في حياتهم أبداً...) أنظر بيانه للحوزة العلمية ١٥/رجب/١٤٠٩. هـق.

(٣) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية، بتأريخ ١٣٧٢/٩/١١هـ ش.

«صلّوا النوافل، واقرأوا القرآن، وأدّوا الصلاة في أوّل أوقاتها، فإنها مما يجب على الطالب، ولا أريد أن أقول إنها واجبة شرعاً، وإنما هي واجبة بفعل ما لهم من المسؤولية، وأن الطالب الذي لا يراعي هذه الأمور الثلاثة يكون مضيّعاً لشيء هو في غاية الأهمية»[1].

إنّ الطالب بوصفه مبلّغاً دينياً يدعو الناس باستمرار إلى الله، وقد يؤدّي به ذلك إلى اعتبار ما يقوله مجرد روتين، حتى تجفّ عينه المعنوية تدريجياً، وحصول هذه المسألة في غاية الخطورة عليه، وطريق الخلاص منها بأن يقوم العالِم مضافاً إلى دعوة المخلوق إلى الخالق بالاختلاء ونفسه فيراقب نفسه ويحاسبها، ويذكّرها بتقوية علاقته بالله سبحانه وتعالى:

«على العلماء أن يقوموا بالمستحبات مضافاً إلى الواجبات، ولا نطالب بالإتيان بجميع المستحبات، ولكن هناك بعض المستحبات تعدّ متمّمة للواجبات، من قبيل: الذكر والنافلة والدعاء، وإحياء الأيام الخاصة، وأحياناً القيام لله منتصف الليالي، إن هذه الأمور يجب أن لا يفتقدها طالب العلم.

فلو أنكم والعياذ بالله افتقرتم إلى الاتصال بالله، وواصلتم وعظ الناس وإرشادهم إلى الله، فإن بضاعتكم ستنفد لأن مراجعات الناس كثيرة وبمرور وقت قصير سينفذ ما عندكم، لأن الإنسان لو بقي يتحدث دوما ويجيب عن تساؤلات الآخرين فإن بضاعته ستنفذ، كحوض الماء الذي يؤخذ منه ولا يضاف إليه من جهة أخرى، كذلك الإنسان سينضب مَعِينه إذا أعطى ولم يتزوّد، لأجل هذا من الضروري وكما أنكم تمدون الناس بالمعنويات عليكم أن تتزودوا بها، وهذا لا يمكن إلاّ بالتوجّه إلى الله والخشوع والخضوع والتوسل»[2].

---

(١) كلمة حفل التتويج بالعمامة، بتأريخ ١٣٧٢/٩/١٤هـ ش.

(٢) كلمة في حفل تتويج المعممين، بتأريخ ١٣٧١/١١/٨هـ ش.

كان إحياء الليل بالصلاة والمناجاة من خصائص المدارس الدينية والحوزات العلمية، حيث كان الاختلاء بعالَم الملكوت زينة الحجرات الصغيرة في ظلمات الليل البهيم، وكانت تلاوة القرآن وإقامة صلاة الليل والتوسل تحت ضياء الشموع الخافت، أعذب نغمة تداعب سكون الليل.

فلابد من المحافظة على هذه الظاهرة الجميلة في الحوزة:

«كانت الكثير من المصابيح تضاء في المدرسة الفيضية قبل أذان الصبح، حيث كان الطلاب يصلّون الليل ويتهجّدون فكان أمراً عادياً بالنسبة لهم، فعلينا في الوقت الحاضر أن نمارس هذه الأمور على نطاق أوسع»(1).

وبكلمة أخيرة: إنّ عالم الدين لما كان يتحدث عن الارتباط بالله، فهو بحاجة ـ قبل غيره ـ إلى الارتباط به على المستوى الباطني، دون الاكتفاء بمجرد الألفاظ؛ ليتمكن من الوصول إلى شهود تلك المعارف والمعاني، فيدعو الناس إلى الإيمان باعتقاد راسخ.

كما أنّ العالم بحاجة إلى توفيق من الله ومددٍ منه، ولا يمكن تحصيل ذلك إلاّ بالتضرّع إلى الله عزّ وجل:

«لكي يبارك الله لكم الزيّ الذي تلبسونه بوصفكم من العلماء، فأنتم بحاجة إلى توفيق وعون من الله، وهذا ما لا يحصل إلاّ بالتوسّل والإلحاح والتضرّع والدعاء والبكاء، فعلى الإنسان أن يدعوا الله، ويطلب منه بإلحاح، وعندها سيستجيب الله له»(2).



(١) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية، بتأريخ ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

(٢) كلمة في تتويج المعممين، بتأريخ ١٣٧١/١١/٢٦هـ ش.

المقالة السابعة

قضايا الحوزات الخاصّة

- الحوزات في المدن الأخرى
- الحوزات النسويّة

الحوزات العلمية في المدن

في تاريخ بلدنا كان في أعظم المدن حوزات علمية فعالة، وقد تخرَّج منها علماء بارزون، ومبلّغون أكفّاء، ومتكلمون مرموقون، وحتى المراجع العظام، رغم أنَّ تاريخ الحوزات الشيعية شهد حوزات مركزية. كالحوزات الشيعية في بغداد والنجف وقم والري والحلّة وأصفهان وغيرها، التي كتب لها البقاء مدّة طويلة أو قصيرة ـ ولكن كانت هناك أيضاً حوزات فعّالة في سائر المناطق الشيعية الأخرى:

«كانت المدن الصغيرة تخرّج المجتهدين العظام، حيث أتمّ الشيخ الأنصاري[1] دراسته الأساسية في شوشتر، والمحقق النراقي[2] في كاشان، كما تخرّج علماء كبار من مدن خراسان ونالوا درجة الاجتهاد والدرجات العلمية الرفيعة فيها»[3].

---

(١) الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤ـ ١٢٨١) يتصل نسبه بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري. لـه من النظريات والابتكارات في الأصول ما جعل كتبه مداراً للبحث والمناقشة حتى يومنا هذا، بل ما زال بعضها معتبراً كمنهج دراسي في الحوزات العلمية، من اساتذته الشيخ جعفر الكبير والملا أحمد النراقي، ومن تلامذته الأخوند الخراساني صاحب الكفاية والميرزا الشيرازي. من مؤلفاته فرائد الاصول والمكاسب.

(٢) الملا أحمد بن محمد النراقي أستاذ الرياضيات وعلم الرجال وفقيه متضلّع عُرف بالزهد والتقوى، وهو ابن المرحوم ملا محمد النراقي العالم الأخلاقي، ولـه (الإبن) معراج السعادات ومفتاح الأحكام وعوائد الأيام ومنهاج الوصول إلى علم الأصول ومستند الشيعة وديوان شعر بالفارسية، وهو من الذين اعادوا البحث في المسألة الفقهية (ولاية الفقيه) في كتابه عوائد الأيام.

(٣) كلمة في علماء محافظة قاين، بتأريخ ١٣٦٦/١/٣هـ ش.

لقد تكفّلت حوزات المحافظات بجزء كبير من رسالة الحوزات الدينية، حيث عاش علماء أتقياء في جميع بقاع هذه البلاد، وكانوا يعملون بوظائفهم، ولو أنهم لم يهاجروا ومكثوا في الحوزات المركزية لغدوا من المراجع العظام، إلاّ أنهم وانطلاقاً من الشعور بالمسؤولية ذهبوا إلى مناطقهم والمدن الصغيرة، فصاروا مصدر بركة ونعمة على تلك المناطق:

«كان في مدينة زنجان في برهة من التاريخ علماء قلّ نظيرهم حتى في النجف وسائر الحوزات العلمية»[1].

كما قال سماحة القائد في بيان شخصية آية الله تهامي قدس سره وهو من علماء محافظة بيرجند:

«إنّ المرحوم التهامي كان من العلم بحيث لو بقي في أي حوزة من حوزات البلاد لصار من مراجع التقليد، فقد كان مجتهداً، وقد كان مضافاً إلى علمه بالفقه وغيره من علوم الحوزة، واسع الإلمام بالأدب والتاريخ والرجال»[2].

لقد شملت سياسة النظام السابق المناهضة للحوزة حوزات المدن الأخرى، سواء في عهد رضا خان أو بعده، حيث تمّ منع نشاط الحوزات في المحافظات بشتى الأساليب، أو الحدّ منها:

«كان النظام السابق يعمل على محو الحوزات؛ وذلك لأن هذه الحوزات ستغدو معقلاً لتربية الشباب الطاهر وبلوغ المراتب العلمية، ثم يذهبون إلى حوزات أخرى يتعلمون فيها، ثم يعودون إلى مناطقهم ما يؤدي إلى توعية الناس، وهذا ما يخالفه النظام السابق بشدة، فلو لم يكن العلماء بين الناس لتزلزلت دعائم إيمانهم»[3].

---

(١) كلمة في علماء محافظة زنجان، بتأريخ ١٣٦٤/٨/٢٩هـ ش.

(٢) كلمة في علماء محافظة بيرجند بتأريخ ١٣٦٦/١/٣هـ ش.

(٣) المصدر المتقدم.

علاوة على السياسة التي انتهجها النظام السابق في مناهضة الحوزات، لابد لنا من إضافة الجاذبية الطبيعية والصناعية الموجودة في الحوزات المركزية من تبادل الأفكار وتمهيد الأرضية المعنوية والمادية، لما فيها من التأثير في الإقبال على الحوزات المركزية وترك الحوزات الصغيرة في المحافظات، مما أدى الى ضعف تلك الحوزات تدريجياً، واخذت تتجّه نحو الزوال والاضمحلال.

وقد أضاف سماحة القائد في تتمّة كلامه السابق:

«طبعاً كان لجاذبية الحوزات الكبيرة تأثير في خلوّ المحافظات، فحالياً لا يوجد هناك عالِم محلّي في الكثير من مدن وقرى البلاد»[1].

والآن، بالالتفات إلى ما ذكر، ينبغي أن تقوم سياسة الحوزة على إحياء ودعم حوزات المحافظات، فإن تنشيط هذه الحوزات يرفع من كفاءة الحوزة في استيعاب المنتسبين، ويعد الأرضية لاجتذاب الطاقات من مختلف مناطق البلاد، ويكفي الساكنين هناك مؤونة الاغتراب وترك الديار.

هذا مضافاً إلى أنّ دعم الحوزات في المحافظات يساعد الحوزة على توثيق ارتباطها بحاجة المحافظات الأخرى ومواساة الناس، ومشاركتهم في أحزانهم وأفراحهم، والتحدّث بلغتهم، ليكون من السهل نشر الدين وتوسيع رقعة التبليغ وتجذير الروح الدينية في كافة أنحاء إيران:

«نحن نفتقر في المحافظات وسائر مناطق البلاد إلى علماء من سكانها، وإذا افتقدنا العلماء من نفس المناطق، بقيت آلام أهلها مجهولة لنا، فعلى العالم أن يكون مُدركاً لما يعاني منه الناس وللمشاكل المحلية واسباب الاختلاف والنفاق بين المجَاميع المختلفة»[2].

---

(١) المصدر المتقدم.

(٢) المصدر المتقدم.

وهذا ما دعا سماحة القائد إلى التأكيد على ضرورة تقوية حوزات المحافظات، وقد تعرّض إلى هذه المسألة في مناسبات عديدة:

«لابدّ من تأسيس حوزات علمية في المحافظات والمدن»[1].

الحوزات النسوية

لقد شهدت الحوزات الشيعية منذ تأسيسها حتى يومنا هذا آلاف العالمات الفاضلات من النساء التقيّات، حيث أسهمن في بناء الحياة الفكرية والاجتماعية ونشر العلم والثقافة من خلال التأليف والتبليغ برغم الظروف الصعبة والأجواء المغلقة.

وأما في عصرنا، حيث المجال مفتوح أمام النساء، فمن الضروري أن تتّسع الحوزات للأخوات، خاصة وأننا نرى حضوراً كبيراً للنسوة في مختلف الفروع العلمية:

«لو حصلنا على خمسمائة عالمة ومفسّرة وخبيرة بالعلوم الإسلامية على مستوى هذه السيدة المجتهدة «الأصفهاني»، نكون في فسحة وسعة من ناحية المعارف والتبليغ الديني، وهذا مهم جداً»[2].

إنّ معلومات المجتمع النسوي في ازدياد مطّرد، وللنساء حضور مستمر وفعّال في مختلف الأعمال الإدارية والثقافية، وإنّ تربيتهن دينياً تشكل إحدى معضلات عصرنا، فلم يعدن من ذلك الجيل القديم المحتجب وراء الكواليس، ويذرفن الدموع لقراءة القارئ في الأسبوع أو الشهر مرّة فيروين بذور الإيمان في وجودهن، فإن الجيل الراهن يواجه شبهات فكرية ودينية متنوعة، كما أنهن يتعرضن لرؤى المذاهب المختلفة، ويواجهن الإعلام

---

(١) المصدر المتقدم.

(٢) كلمة في مسؤولي ومؤسسي جامعة الزهراء عليها السلام بتأريخ ١٣٧١/٧/٢٣هـ ش.

الأجنبي وأتباعه في الداخل، ولهن استفسارات حول مئات المسائل الدينية والاجتماعية، فكيف نتعامل مع هذا الجيل؟

إنّ الإخوة العلماء يتكفّلون بجزءٍ من المسؤولية، ولكن من خلال اتساع نطاق الحوزات النسوية، نأمل في حصول ارتباط أيسر، وأن يغدو التفاهم والحوار المذهبي والديني بشكل أسهل:

«كم عندنا حالياً من النساء الدارسات والمتخصصات في مختلف الفروع العلمية، من اللاتي يواجهن المعضلات الفكرية والدينية؛ بسبب اختلاطهن في هذا المجتمع الديني، فلابد أن يكون هناك من يقوم بحلّ هذه المعضلات.

ولو كانت هناك امرأة في كل محافظة لها معرفة بالدين وكفاءة على التحليل والتحقيق لكنا في سعة، وأمكن للنسوة الذهاب إليها للاستفادة من أجوبتها»[1].

هذه الحقيقة توجب علينا الاهتمام جدّياً بالحوزات النسوية، وهذا العمل وإن كان مصحوباً بالصعاب في مراحله الأولى، إلاّ أنّ له نتائج إيجابية هامّة:

وقد قال سماحة القائد في اجتماع لإحدى حوزات النساء:

«ماذا عسانا القول، عندما نريد تقييم عملكن؟ علينا القول: إنه أفضل ما يمكن تحقيقه للمستقبل بهذه الوسيلة على ضوء ما تحقق حتى الآن في المجتمع في كافة المجالات. أي لو واصلتن دراسة العلوم الإسلامية بشكل صحيح، فاعلمن أن هذا العمل هو أفضل وأجمل ما حققته النساء حتى الآن بعد الثورة الإسلامية.

إذ من الممكن أن نجد عملاً أقل حماساً وصخباً من غيره من الأعمال، لكنه أقوى أثراً وأعمق معناً وأكثر نفعاً في المستقبل، وهذه صفة عملكن»[2].

---

(١) كلمة في مسؤولي ومؤسسي جامعة الزهراء عليها السلام بتأريخ ١٣٧١/٧/٢٣ هـ ش.

(٢) كلمة في طالبات مدرسة مسجد سليمان العلمية، بتأريخ ١٣٧١/٦/٤ هـ ش.

فيما يتعلق بحوزة النساء، يبدو تقليد المنهج التعليمي لحوزة الرجال عملاً خاطئاً وناقصاً، فلابد من التخطيط لحوزة النساء بما يتناسب والهدف العام منها، وتنظيم المواد الدراسية والأساليب التعليمية ومنهج التقييم وفقاً لذلك، وإلا ستبتلى الحوزة النسوية ـ مضافاً إلى ما ابتلت به حوزة الرجال ـ بنواقص تخصّها:

«ليس من الواضح أن يكون التخطيط لحوزة النساء مفيداً بشكل كامل؛ إذ بالنسبة إلى حوزة الرجال يدرس الطلاب على المنهج القديم والتقليدي، ثم يعثر كل واحد منهم على عمل يتناسب واختصاصه في الدراسة، وهناك من يتفرّغ للدراسة كلياً ليبلغ المراتب العليا، وكثير من هذه المسائل لا تنسجم مع حوزة النساء، فعلينا أن نعرف الأهداف التي ننشدها، ثم نخطط على أساسها»[1].

إنّ حوزات النساء إنما يحالفها النجاح إذا اعتمدت على الكفاءات العالية، وتمّ التخطيط لها بما يتناسب وشأنها من أجل اعداد الأرضية لرقيّها العلمي والمعنوي.

وبما أنّ الفترات الأخيرة لم تشهد ظهوراً للعالمات المرموقات في المجتمعات الدينية، فقد برز نوع من عدم الاعتماد والثقة بين النساء، وهذا الطوق لا يتمّ كسره إلاّ من خلال ظهور القمم العلمية والمعنوية في الحوزويات، حيث سينتعش التيار الديني الباحث بينهن، ويرفع الشعور بالثقة في أنفسهن كما سيثق بقابلياتهن الكامنة:

«وخلاصة القول: ينبغي أن تكون تنمية القابليات البارزة من جملة أهدافنا؛ كي نتمكن من رفع المستوى الفكري لدى النساء الى أقصى حد، وأتصور أننا

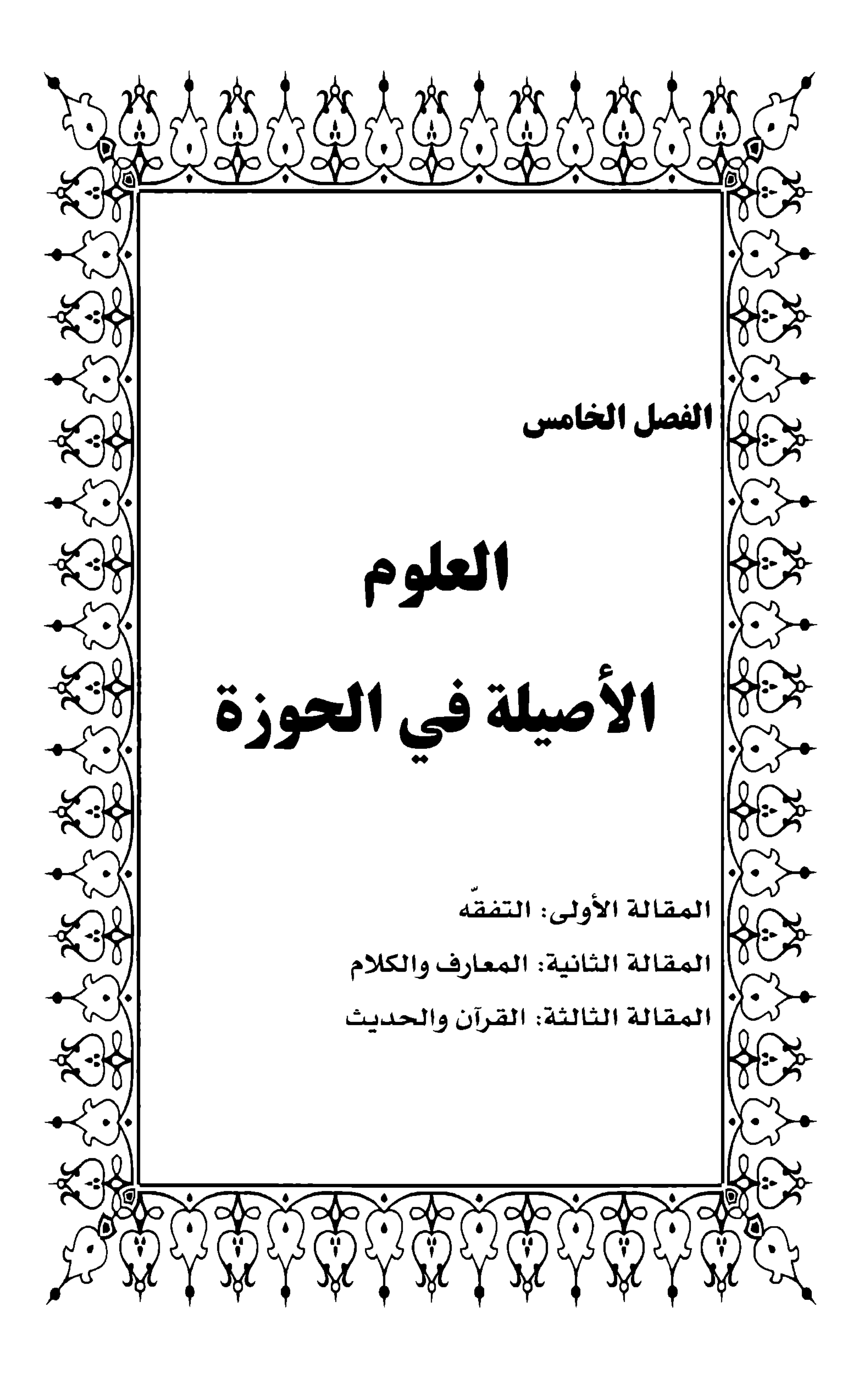
---

(١) كلمة في مسؤولي ومؤسسي جامعة الزهراء، بتأريخ ١٣٧١/٧/٢٣ هـ ش.

وفي جميع التخصصات والفنون إذا أردنا إيصال الجماهير الى السفح أي يجب أن تكون لدينا نماذج بارزة ـ والبروز ليس بإمكان الجميع ـ تقوم على تشجيع من يريد مواصلة السير، وطبعاً لا يمكن للجميع بلوغ القمة، وسيبقى عدد كبير على السفح»[1].



(١) كلمة في مسؤولي ومؤسسي جامعة الزهراء، بتأريخ ١٣٧١/٧/٢٣ هـ ش.



الفصل الخامس

العلوم الأصيلة في الحوزة

المقالة الأولى: التفقّه

المقالة الثانية: المعارف والكلام

المقالة الثالثة: القرآن والحديث

المقالة الأولى

التفقــه

- مبادئ التفقّه
- مزايا الفقه الراهن
- نواقص الفقه الراهن
- التكامل التأريخي للتفقّه
- مسائل الفقه المستحدثة
- التخطيط لتكامل الفقه

يُعد التفقّه الجوهرة الأصلية في الحوزات الشيعية، ودعامتها المحكمة، سواء في عصر الإمامة أو الغيبة، حيث دار سعي أصحاب الأئمة وعلماء الشيعة حول محور التفقّه، وستبقى الحوزة على ذلك إلى عصر الظهور، فلولا التفقه لفقدت الحوزة هويتها:

«إنّ الفقه هو أصل العلم في الحوزات العلمية، فلابد لسراج الفقه أن يبقى مضاءاً في هذه الحوزات؛ كي تبقى مشعّة بالنور»[1].

كان إعداد الفقهاء من أهداف الحوزة الأصيلة على الدوام، وإنّ من أسمى الآفاق التي يرنو إليها طالب علوم الدين هو بلوغ درجة التفقّه حيث تتراءى من البعد مشاعل وضّاءة تدعو آلاف الطلاب ليحوموا حولها كما تهفو الفراشات حول النور، فيأخذ الطلاب بالجِدّ؛ كي يبلغوا هذه الدرجة التي لا تدانيها درجة، ويأخذوا من نورها قبساً:

«إنّ أهم أهداف هذه الدراسة وأسماها، هو بلوغ الإنسان درجة الفقيه، وهو العالم بالدين ومبانيه وأسسه الفكرية»[2].

مع قيام الحكومة الدينية فقد تضاعفت منزلة الفقه والفقهاء، حيث تصدّت لإدارة الأمور حكومة ترى نفسها مقيّدة بالشريعة، وتضع الحكم الشرعي على قائمة أسئلتها، وتبحث عن رؤية الدين؛ لتجعلها مركز الثقل في معادلاتها التنفيذية، ولا تتخذ الدين ستاراً لخداع العامة، بل هي وثيقة الصلة بالدين، وترى كلمة الدين والشريعة فصل الخطاب.

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الملا جعفر (المجتهدي)، بتأريخ ١٣٦٠/٩/٢٩ هـ ش.

(٢) كلمة في مدّرسي وطلاب المدارس العلمية، بتأريخ ١٣٦٣/٦/٢٧ هـ ش.

وفي ظلّ هذه الظروف حظي الفقه بحرمة مضاعفة، واشتدّت أولوية إعداد الفقهاء في الحوزة، وقد قام النظام الديني معتمداً على ذخائر الفقه الشيعي التي لا تنضب، ولا يزال هذا النظام يستمد العون والنصرة من الفقهاء:

«حينما نتحدث عن النظام الإسلامي، لا يعني ذلك أن يجتمع عدد من المسلمين فيبادروا إلى تأسيس نظام حكمٍ كيفما اتفق، فالنظام الإسلامي هو النظام القائم على أسس قيم هذا الدين الحنيف، فمن أين يستمد دعاة ومؤسسو هذا النظام النظريات والرؤى؟ إذاً، لابد أن يكون هناك عدد من المنظّرين.

وبتعبير آخر: لابد من الفقهاء، إذ لولاهم لما كان هناك نظام إسلامي، ولولاهم لصار ذلك النظام جسداً بلا روح. وحتى لو كان فيهم نقص، يمكن الأمل بجريان الحياة في هذا الجسد.

فما دامت الجذور في الماء يبقى الأمل في الحصول على الثمر»[1].

وفي ظلّ هذه الظروف يتعيّن على الحوزة أن تؤكّد على إعداد الفقهاء، وعلى الفقهاء والمدرسين والطلاب الأكفّاء أن يضاعفوا من جهودهم بما يتناسب وحجم الأسئلة الفقهية:

«على الحوزات أن تضاعف من جهودها من أجل التفقّه، إذ يتصور البعض أنّ التفقه قد نسخ من الحوزة، في حين أنه ليس هناك ما يملأ فراغ التفقّه في الحوزة.

فقد يتساءل بعض الشباب والناشئين من الذين يجهلون الدور الذي لعبه الفقه والفقهاء في إيجاد هذا التحوّل الثوري العظيم، والأثر الذي يتركونه على استمرار هذا النظام: ما هو الفقه؟ والى متى نكرر قراءة الرسائل والمكاسب

---

(١) كلمة في علماء محافظة زنجان، بتأريخ: ١٣٦٤/٨/٢٩ هـ ش.

والفقه والأصول وبحث الخارج والفقه الاستدلالي؟ وهذا خطأ؛ لأن بناءنا قائم على الفقه»[1].

إنّ الإجابة عن الحاجات السائدة والطويلة الأمد، تستدعي جهداً عاجلاً وقفزة نوعية في الحوزات، فعلى الحوزة مواصلة الدرب الذي أناره الفقهاء، وعليها أن تحافظ على مشعل الفقه وضّاءاً:

«إنّ ثمار الحوزة بالدرجة الأولى هم الفقهاء، فعلى الحوزة أن تمضي قُدُماً في إعداد الفقهاء الكبار؛ ليبرز منهم مراجع التقليد وعلماء المحافظات، ومن يعد منهم الملاذ لعباد الله في كل منطقة، ليستفيدوا من علمهم ومعرفتهم»[2].

تعريف التفقّه

إنّ التفقه يعني التخصّص في معرفة الدين، والاستفادة من الأساليب التي تكاملت على يد الفقهاء ابتداءً من عصر الغيبة والى يومنا هذا.

فالفقيه يسعى للوصول إلى فَهْم الدين بالاستفادة من الأساليب العلمية الخاصة، وتجنّب الاستحسانات وما شاكل ذلك.

وهنا يكمن الفارق بين رؤية التفقّه وبين غيرها من الرؤى، حيث إنّ الرؤية التفقهية تعمل أولاً: على تزويد الإنسان بالمعلومات الكافية عن تلك الأساليب، وثانياً: تقوم على التعبد بها في مرحلة العمل والاستنباط.

ويمكن القول: إنّ التمايز بين هاتين الرؤيتين ضارب في القِدَم، وقد تجلّى هذا التمايز في عصرنا بوجه خاص؛ ولذا فقد أشار سماحة القائد إلى هاتين الرؤيتين وهذين الأسلوبين مراراً وتكراراً، ومنها قوله:

---

(١) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية، بتأريخ ١٣٦٦/٩/١١ هـ ش.

(٢) كلمة في بداية بحث الخارج، بتأريخ ١٣٧٢/٦/٢١ هـ ش.

«يمكن استنباط المعارف والأصول والأخلاق والأحكام الفردية والاجتماعية وغيرها وفهمها من الكتاب والسنة بنحوين من الفهم، الأول: الأُسلوب التفقّهي، والثاني: الأسلوب غير التفقّهي.

والأسلوب غير التفقهي: هو أن يقوم الشخص بفتح القرآن أو ترجمته إذا لم يكن يعرف العربية، فيتعلم منه أحكام الدين والمعارف والعقائد والأخلاق، وإدارة المجتمع والفرد وما إلى ذلك، وهو الأسلوب الذي يروق لبعض أدعياء الدين من الذين لا قناعة لهم بالعلماء.

ودليلهم على ذلك، أنّ القرآن لم ينزل لشريحة خاصة، وإنما هو للجميع، فيستفيد منه المهندس والطبيب والتاجر والطالب الذي لم يدرس والمعمم قليل العلم وأيًّ شخص آخر سيستخلص منه بالتالي ظاهراً وباطناً، فيستنبط من القرآن الفلسفة والتاريخ والحكمة والسياسة والاقتصاد وغير ذلك، وهذا هو الأسلوب العامّي.

وأما الأسلوب التفقهي: فهو الأسلوب العلمي في الاستنباط من الكتاب والسنة»(1).

إنّ الأسلوب غير التفقّهي لا يمكن الاعتماد عليه، فإنه وإن أصاب أحياناً، إلا أنه يَخطأ في أحيانٍ كثيرة، فيُعرّض الفهم الديني للمشاكل، ويؤدّي بالمجتمع إلى النفرة من الدين، في حين أنّ الأسلوب التفقّهي يعالج المعرفة الدينية بأدوات محددة وموثوقة، فيبلغ الاجتهاد والاستنباط، بل وحتى الإبداع أحياناً، وهذا هو الأسلوب المتداول في سائر العلوم الأخرى.

فإن علماء كل علم على معرفة بأدواته التي يتوصّلون من خلالها إلى حل مسائله، فيكتشفون ويخترعون وينتجون ويبدعون:

(1) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتأريخ١٣٦٦/١/٥ هـ ش.

«إنّ الدين الذي نحصل عليه من غير طريق التفقّه قد يكون مصيباً، وقد يكون مخطئاً، وقد شهدنا أشخاصاً حاولوا استنطاق الكتاب والسنة وفقاً لإمكاناتهم الخاصة، إلاّ أنهم أخفقوا في كثيرٍ من الأحيان، وإن توصّلوا إلى النجاح النسبي أحياناً.

إنّ غلطة واحدة تكفي لإنهيار العمل، حيث يدور موت الإنسان وحياته فكرياً حول ذلك، كالطبيب الذي يصف لمريضه عشرة أنواع من الدواء، فإن أصاب في تسعة منها وأخطأ في واحد فإن المريض سيهلك، ولا يمكن للطبيب أن يعتذر بأنه كان مصيباً في تسع حالات.

فلو ارتكب الشخص في معالجة المعارف والأحكام الإسلامية خطأً واحداً وأصاب في عدة موارد، فإن ذلك الخطأ سيترك أثره حتى على الحالات الصحيحة، ويسقطها عن الاعتبار، الأمر الذي يؤدّي إلى الضَلال دون الهداية.

وعليه فإن الأسلوب غير التفقّهي في استنباط الأحكام والمعارف الإسلامية أسلوب غير موثوق، ولا يمكن الاعتماد في المسائل الحيوية على الأساليب غير الموثوقة، وإنّ الأسلوب الموثوق عبارة عن التفقّه، والذي أثبت فاعليته لأكثر من ألف عام»[1].

إنّ التفقه يتمّ عبر ركون الفقهاء إلى النصوص الدينية ورجوعهم إليها، فلا يقيسون أو يستحسنون، بل يستنبطون الأحكام من نصوصها بعد التعرّف على مبادئ الاستنباط من إتقان العلوم العربية وغيرها:

«إنّ الأسلوب المتّبع بين الفقهاء للوصول إلى حكم المسألة هو اعتماد الظواهر والأمارات وعلاج مسائلها بالدرجة الأولى، وبعد يأس الفقيه من العثور على الظواهر والأمارات يلجأ إلى الأصول، ليعثر على مجرى الأصل في

(١) المصدر المتقدم.

المسألة، وإن تعارضت الأصول فيما بينها، وصل الدور إلى علاج التعارض، حتى يتم استنباط الحكم الشرعي»[1].

إذاً اتّضح أنّ التفقّه هو أسلوب فَهم الدين، فيدخل في حيّز الفروع (الأحكام العملية)، والأصول (المعارف والأخلاق ونحو ذلك).

وعليه ينبغي عدم تضييق دائرة الفقه، وحصرها بالفقه الاصطلاحي الذي يعني استنباط الأحكام العملية الشرعية:

«إنّ التفقّه بمعنى أساليب فَهْم الإسلام أعمّ من الأصول والفروع، وإن اصطلح في حوزاتنا إطلاقه على الفروع فقط، وإنّ المراد من قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ﴾[2] أو «ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا الحلال والحرام»[3]، لا يختصّ بفروع الدين، وإنما يشمل الفروع والأصول؛ لأن التعرّف على الأصول يضمن سلامة العلوم الإسلامية، وأنّ التبعية للمذاهب الخاطئة والسطحية إنما مدت جذورها عندما صارت أصول الدين والعلوم الإسلامية في يد غير الفقهاء، حيث أخذوا يشرحون القرآن للناس ويعلّمونهم الفلسفة، ويكتبون في التوحيد والمعاد»[4].

إنّ التعرّف على أساليب التفقّه إنما يتمّ من داخل الحوزة، وليس بإمكان أي نظام تعليمي آخر أن يتكفّل بها، فالحوزة وحدها بما لَها من الماضي العريق والذي يمتدّ لأكثر من ألف سنة من بذل الجهود الفقهية المضنية،

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٦/١/٥ هـ ش.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة ١٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١٣. وردت بلفظ (ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام).

(٤) كلمة في مسؤولي منظمة الإعلام الإسلامي، بتأريخ ١٣٧٢/٢/٦ هـ ش.

والمعرفة بالأساليب التفقّهية، هي القادرة على تعليم خفايا وأبعاد هذا الأسلوب، بعد أن تمزجه بما لَها من الإخلاص والصفاء الروحي:

«لابد من تعلّم أسلوب التفقّه؛ كي يغدو الاستنباط صحيحاً وقويّاً وعميقاً، وهذا مما لاشك فيه. ويمكن تعلّم أسلوب التفقّه في داخل الحوزات ولا غير، وعليه لابد لمن يريد استنباط المفاهيم الفقهية الإسلامية والقرآنية من الكتاب والسنة أن يتعلّم الدروس الحوزوية»[1].

فقه الجواهر

لقد تحوّل التفقّه الشيعي لِما يختزنه من تجربة عمرها ألف سنة إلى بناء قوي ومحكم، وقد عبّر الإمام الراحل قدس سره عن ثمرة هذه التجربة العريقة بـ «فقه الجواهر»، حيث إنّ فقه الجواهر ثمرة جهود فقهاء الشيعة المستمرة والمضنية.

ويعد هذا الفقه دعامة للجهاد والإبداع الفقهي، فعلى الباحثين في أودية الفقه أن يهتمّوا بهذا التراث الخالد، وأن يجعلوا الأصول المدرجة في «فقه الجواهر» نَصْب أعينهم:

المبنى الأول هو الفقه التقليدي والجواهري حسب تعبير إمامنا العظيم[2]**، فإن صاحب الجواهر كان مثال الفقيه الملتزم بالأسس الفقهية والقواعد**

---

(١) كلمة في علماء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتأريخ ١٣٦٧/٦/١٠ هـ ش.

(٢) يقول الإمام الراحل في هذا الصدد (أما بخصوص أسلوب الدراسة والتحقيق في الحوزات فإنني أتبنّى الفقه التقليدي والاجتهاد الجواهري. وأرى حرمة التخلف عن ذلك، إنّ الاجتهاد على ذلك النحو هو الاجتهاد الصحيح، وهذا لا يعني أن فقه الإسلام ليس فقهاً متحركاً..) رسالة للحوزات العلمية بتاريخ ١٥/رجب/١٤٠٩هـ ق.

الأصولية، وعدم تجاوزها، فكان في بحث كل مسألة يستخدم ما بحوزته من الشهرة والإجماع وظواهر الأدلة والأصول وكلّ ما يعد من الأدوات الفقهية»[1].

وبذلك أصبح التعبير بـ «فقه الجواهر» مصطلحاً نموذجياً للاستناد إلى الفقه الشيعي التقليدي، والذي يرجع إليه الباحث الفقيه ليستخرج الفروع من الأصول:

«العنصر الأول: هو الفقه بمعناه الدقيق والممتاز الذي أكّد عليه الإمام رحمه الله، وخاصة في سنيّه الأخيرة، وعبّر عنه بفقه صاحب الجواهر بمعنى الدقة والإتقان في استعمال القواعد الفقهية، واستنتاج الفروع من تلك القواعد المحددة في الفقه والأصول»[2].

إنّ فقه الجواهر يعني: التمسّك بالفقه التقليدي دون غلق الباب بوجه الإبداع والتجديد، ففقه الجواهر يعني بيان الأسلوب الفقهي في التعامل مع المسائل المستحدثة، وعليه فإن فقه الجواهر مبدع وخلّاق ومنتج، وقادر على الإجابة عن «الحوادث الواقعة»[3]:

«هذا هو فقه الجواهر، فليس هناك فقهان أحدهما تقليدي والآخر متجدد، فإن فقهنا التقليدي هو المتجدد، فهو متجدد إذ يعالج مشاكل الإنسان ويجيب

---

(١) كلمة في علماء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتأريخ ١٣٦٨/٤/٢٠هـ ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في قم، بتأريخ ١٣٦٨/٣/٢٢هـ ش.

(٣) في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة عن محمد بن محمد بن عصام عن محمد بن يعقوب عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري (أحَدْ السفراء الأربعة) أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه (.. أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله...).

عن الحوادث الواقعة، وتقليدي أي لـه أسلوب يقوم عليه الاجتهاد، وقد أثبت هذا الأسلوب فاعليته على مدى قرون من الزمن»[1].

إنّ خلاّقية فقه الجواهر وإبداعه رهن بتعاطيه مع الأسئلة المعاصرة، حيث يقطع الفقيه نصف الشوط من خلال فهمه للأسئلة الفقهية المعاصرة وكيفية التعامل معها، ويعدّ نفسه لاستنباط الحكم الشرعي على أساس من الفقه الجواهري، إذ بلا استيعاب صحيح للمعضلات الفقهية المعاصرة، فإن فقه الجواهر يبدو صندوقاً مقفلاً لا يمكن الاستفادة من كنوزه الثمينة:

«إنّ للفقه ركنين، أحدهما: الأصول المستقيمة والقوية والمستوعبة لجميع جوانب الاستنباط، والثاني: تطور الفقه، حيث أكّد الإمامقدس سره مراراً على أنّ المجتهد والفقيه ينبغي أن يتمتع برؤية منفتحة ليتعرّف من خلالها على الأسئلة المعاصرة، إذ إنّ فَهْم السؤال نصف الجواب، ولولا ذلك لما امكن العثور على الجواب الفقهي، وعليه فإن فهم السؤال ضروري جداً»[2].

إنما يمكن لفقه الجواهر أن يثبت فاعليته في ظل البصيرة والرؤية المنفتحة على المسائل الراهنة في المجتمع والنظام والعالم، فالفقه المنعزل لا يضيء إلاّ بعض الجوانب الفردية من الحياة، دون المسائل المعقّدة على الصعيدين الفردي والاجتماعي، ويقلل من الاعتبار النموذجي والتاريخي لفقه الجواهر:

«إنّ الفقه التقليدي هو المتجدد، وهو الذي يتعامل معه فقهاؤنا المعاصرون كما كان شأن أسلافهم منذ ألف سنة، والذي لا يظهر تجدده إلاّ من خلال التبصّر بالحوادث الجارية في المجتمع والعالم بأسره، وأما إذا أدخلنا رأسنا في

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتأريخ ١٣٦٨/٤/٢٠هـ ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في قم، بتأريخ ١٣٦٨/٣/٢٢هـ ش.

التراب واخترنا الإنعزال والاقتصار على المسائل الفردية، فإن هذا الفقه التقليدي سيفقد صفة التجديد»[1].

مبادئ التفقّه

إنّ التفقّه في الدين يتوقف على علوم تُدرّس في الحوزات من قبيل الأدب العربي والبلاغة والأصول والرجال، ولكن هل تكفي هذه العلوم وحدها في التفقّه؟

لقد أشار سماحة القائد ـ ضمن تأكيده المستمر على درك أساليب التفقّه، وضرورة تعلّم مبادئه الحوزوية بعمق ودقّة ـ إلى دور الوعي السياسي والاجتماعي في الحصول على الرؤية الفقهية حيث قال:

«إنّ الذي يقبع في داره، دون أن يتعرّف على مخططات الأعداء، وما هي حاجة المسلمين اليوم، وأي شيء يهدد واقع حياة المسلمين، وما هو تيار الفساد والانحراف، أو السبل التي يسلكها العدو لتحطيم المجتمع الإسلامي، وسبل ردعه ومقاومته، ولا يعلم بالخطر العظيم المتمثل بالاستكبار العالمي، ولا يعرف معنى الصهيونية والرجعية وما هي الحيل التي يتّبعها العدو والإمبريالية والمذاهب الإلحادية والإلتقاطية لا يمكنه التفقّه في الدين لمجرد دراسة الجواهر وبضعة كتب في الحديث ليستنبط الأحكام الشرعية المتعلقة بإدارة حياة المكلّفين»[2].

إنّ البصيرة السياسية الاجتماعية تساعد الفقيه على تنظيم أفكاره في اختيار المواضيع ومعرفة المسائل، وإدراك العلاقات المعقّدة بين الموضوعات.

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٦/١/٥هـ ش.

(٢) كلمة في طلاب مدرسة الكرمانيين العلمية، بتأريخ ١٣٦٥/٢/٦هـ ش.

إنما يتمكن الفقيه من توسيع دائرة رؤيته في ظل البصيرة السياسية والاجتماعية ضمن التعبّد بالنصوص وأساليب التفقّه، وقد برزت أهمية الإمام الراحل قدس سره في مزجه التفقّه بالبصيرة السياسية، حتى صار مجدداً دون أن يعدل عن القواعد ومبادئ التفقّه:

«لقد طرأ تغيّر كبير على الآراء الفقهية للإمام قدس سره من حين عودته إلى إيران إلى يوم وفاته، ويمكن مشاهدة ذلك في مسألة الغناء والمعادن [1] وأمثالهما، فحينما كنا في مجلس الشورى راجعنا الإمام قدس سره حول قضية المعادن، فأجابنا اعتماداً على الظواهر الفقهية، في حين قد تغيّر رأيه مؤخراً بشكل كامل بعد أن طبّق المباني على الحقائق الموجودة، فأعاد النظر فيها، مع أنه كان من أكثر الفقهاء تعبّداً حتى اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة»[2].

مزايا الفقّه الراهن

إنّ الفقه الراهن يحظى بدعامة علمية منيعة، ويستمد من التاريخ الجهادي والإخلاص العلمي لفقهاء الشيعة العظام، ويثبت كفاءته في جميع أبواب الفقه.

---

(١) كانت فتوى الإمام الخميني قدس سره في المعدن كالتالي:
(لو أحيا أرضاً مزرعاً أو ملكاً مثلاً فظهر فيها معدن ملكه تبعاً لها، سواء كان عالماً به حين إحيائها أم لا) تحرير الوسيلة ج٢ ص٢٢٠ الطبعة الثالثة.
إلا أنّ نظر الإمام هذا قد تغيّر كما ورد في رسالته إلى أعضاء مجلس صيانة الدستور بتاريخ ٣٠/صفر ١٤٠٨هـ رداً على السؤال الذي استوضحوا فيه رأي الإمام بشأن النفط وهل أن ملكيته تابعة لملكية الأرض التي يكتشف فيها أم أنه من الأنفال؟
فكان جوابه:... إن النفط والغاز والمعادن والتي تعتبر زائدة عن الحد المتعارف ليست تابعة لملكية الأرض ولو فرضنا أن المعدن والنفط والغاز كانت ضمن الأملاك الشخصية ـ وهو فرض لا واقعية له ـ فبما أنها من الثروات الوطنية وتملكها الأجيال الحالية والقادمة فإنها تخرج عن كونها ملكاً شخصياً وتستطيع الحكومة الإسلامية استخراجها وفي المقابل تدفع قيمة الأرض أو اجرتها للمالك كباقي الأراضي من دون قيمة المعادن. صحيفة الإمام المجلد ٢٠ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٢) كلمة في أعضاء مؤتمر بيان المباني الفقهية للإمام الخميني قدس سره بتأريخ ١٣٧٤/١٢/٧هـ.ش.

ويبدو الفقه الشيعي متميزاً من جوانب متعددة، نشير إلى أهمها:

١ـ الدقّة والعمق الفقهي:

لقد أصبح الفقه الشيعي فقهاً عميقاً وواسعاً من خلال اعتماده ـ أكثر من ألف سنة ـ على التعمّق والدقّة والتحقيق، وقد أدى ذلك إلى ترسيخ فقه الشيعة، وسدٍّ منافذ الخلل فيه، وتزويد الفقهاء المعاصرين بفقه خالص وعميق.

لم يكن الفقه الشيعي نتاجاً لجهود بضعة عقود، ليبدو غرّاً عديم العمق، فقد أدى فتح باب الاجتهاد في عالم التشيّع إلى تكامل الفقه تدريجياً، والابتعاد عن الضعف في الأسلوب والاستدلال:

«إنّ الفقه الذي أسّسناه خلال هذه القرون وإلى يومنا هذا، فقه متين ومحكم ومنيع»[(١)].

يمكن إثبات صدق هذا المدّعى بإجراء مقارنة عابرة ومختصرة بين فقه الشيعة وفقه سائر المذاهب الإسلامية الأخرى، فقد استطاع فقهاء الشيعة بعد جهود متواصلة أن يسيروا بالفقه من السطحية إلى التعمّق، وأن يبدوا وجهات نظر دقيقة ومتينة حول استنباط الأحكام الشرعية.

إنّ جولة قصيرة في الكتب الفقهية المتقدمة والمصنّفات الأخيرة كـ(الجواهر والرياض والمكاسب) وغيرها، تُثبت عمق الاختلاف، حيث تجد في فقه الشيعة المتأخّر والمتكامل قوة الاستدلال والبرهان، ونقد الأدلة المخالفة منطقياً، مما يبيّن عمق الشرخ بينها وبين الكتب الفقهية القديمة:

«أحياناً تدعو تحقيقات هؤلاء من ناحية الدقّة والتعمّق إلى الدهشة والانبهار، خصوصاً عند الشيعة، حيث لا يحتوي فقه الأخوة من أبناء المذاهب الأخرى ذلك العمق الموجود عند علماء الشيعة»[(٢)].

---

(١) كلمة في محافظة زنجان، بتاريخ ١٣٦٤/٨/٢٩هـ ش.

(٢) كلمة في أعضاء مؤسسة باقر العلوم عليه السلام الثقافية، بتأريخ ١٣٦٨/١١/١هـ ش.

٢ـ متانة المنهج:

لقد أدى الاجتهاد المتواصل في الفقه الشيعي إلى إحداث تغييرات ضرورية في أصول الاستنباط وقواعده، وتزويده بنُظم منطقية يستفاد منها في جميع أبواب الفقه كما يستفاد من القوانين الرياضية.

إنّ أصول التفقّه عند الشيعة تحظى بعمق يساعدها على الإجابة عن كل مسألة فقهية، ويخرج الفقيه من الحيرة والتردد العملي، حيث إنّ التمسك بالأمارات والطرق التي تعالج تعارض الأدلة، والرجوع إلى الأصول العملية وغيرها، تصبّ بأجمعها في قوالب محددة، وتساعد الفقيه في مسيرته الفقهية:

«إنّ فقهنا يحتوي على شيئين، أحدهما: الأسلوب الاستدلالي المنطقي القوي، بمعنى ردّ الفروع إلى الأصول، وهو ما نسميه بطريقة الاجتهاد والاستنباط، فإنه من الاستحكام بحيث لا يدانيه أي فقه من سائر المذاهب الأخرى فقد اطلعت على فقه المذاهب الأربعة، ومع أنها فقه واجتهاد واستنباط، إلاّ أنّ القوة والمتانة الموجودة في فقهنا لا تشاهدها هناك»[1].

٣ ـ كثرة التفريع:

لقد أدّت مثابرة الفقهاء العلمية، وجهودهم الفقهية المتواصلة لأكثر من ألف سنة، إلى تطور الفقه الشيعي على المستوى الكمّي، مضافاً إلى غناه الكيفي، حيث يستعرض فروعاً كثيرة في المسائل المهمة، ويحدّد طرق الوصول إلى حلّ أي مسألة فقهية.

ومن هنا فإن الفقيه المعاصر يواجه بالنسبة إلى المسائل التي تطرق لها الفقه الراهن معلومات فقهية لازمة وضرورية، يمكنه من خلالها استنباط الحكم برؤية أوسع ووثوق أكبر للوصول إلى الحكم الواقعي:

(١) كلمة في علماء محافظة زنجان، بتأريخ ١٣٦٤/٨/٢٩هـ ش.

«والثاني: كثرة الفروع في المسائل التي عالجها، حيث ترون الكمّ الهائل من التفريعات في الأبواب والكتب المبحوثة في العبادات ومقدماتها، من قبيل فروع العلم الإجمالي حيث بلغت من عشرة إلى أربعة عشر، إلى عشرين، وخمسة وثلاثين، وتسعين، ومئة»[1].

نواقص الفقه الراهن

إنّ الفقه الشيعي الراهن برغم جميع مزاياه التي تقدمت الإشارة إلى بعضها، فيه نواقص جادّة، لابد من العمل للقضاء عليها، وصولاً إلى تكامل التفقّه.

وفيما يلي نشير إلى بعض تلك النواقص:

١ـ التكامل الفقهي غير المنسجم:

لم يكن تكامل الأبواب الفقهية مدروساً، بل كان يسير طبقاً للأذواق الشخصية، الأمر الذي أدى إلى تكامل في بعض جوانب الفقه إلى حدّ التخمة والتضخّم،بينما بقي أكثرها على ما كان عليه من النُسخ الخطّية، أو إلى عدد من النسخ الحجرية، وتمّ دفنها في المتاحف العلمية.

فبقيت الجوانب الأُخرى من الأبواب الفقهية هزيلة ضعيفة، لا تشبع نَهْم الفقيه المعاصر، فلم تبحث إلاّ في العصور الفقهية الأولى، أو المتوسطة.

فلا بد من التخطيط لمنهج مدوَّن من خلال بذل الجهود الفقهية الواسعة والشاملة لجميع أبواب الفقه، وعدم انحصار قوّة التحقيق بباب خاص:

«في كل موضوع كان يتمّ بحثه في السابق، تجد كمّاً هائلاً من التحقيق فيه، فإن حجم التحقيق الدقيق والعميق في باب الصلاة، بعد الاستدلال المتكرر واكتشاف النكات الجديدة، مما يستدعي دهشة الإنسان، كما أنك تجد

---

(١) المصدر السابق.

الفقهاء يبحثون في اللباس المشكوك مدة تستغرق ستة أشهر، وهكذا في كل مسألة جرى بحثها من قِبَل الفقهاء تجد أنّ القوة هي في عمق الاستدلال، فلماذا لا يكون لنا مثل هذه البحوث في الاقتصاد الإسلامي، ولماذا لا نقدم الى العالم فقهاً متقناً وقوياً في هذا المجال؟»[1].

٢ـ الابتعاد عن المسائل المستحدثة:

لم يكن الفقه قد ألِفَ المسائل المستحدثة سواء في التدريس أو التحقيق أو التأليف، حيث كان المدرّسون والطلاب يتمحورون حول مسائل مضى على التحقيق فيها عدّة قرون:

«إنّ الفقه ـ الذي يدور حوله عملنا الأساسي ـ لم يشمل المسائل المستحدثة إلاّ فيما ندر، فهناك حالياً الكثير من المسائل التي لابد للفقه من تحديد مصيرها، فإن الفقه قادر على ذلك، إلاّ أن المنهج كان بحيث لا يسمح للفاضل المحقق من علاج هذه القضية»[2].

٣ـ عدم الاهتمام بالأولويات وضياع الفرص:

لم تكن هناك أولوية في اختيار الموضوعات والمسائل الفقهية، فكان التأكيد يتمّ في التمرّن على الاستنباط، أكثر منه للوصول إلى حلول عملية للمسائل، ومن هنا فقد تكدّست تحقيقات وبحوث حول مسائل ليس لها أهمية كبيرة، وبذلك كان المؤلف والمدرس أو المحقق في الفقه يدور في حلقة مفرغة، فتجده في حركة دائبة، إلاّ أنه لا يتقدّم إلى الأمام:

«إنّ هذا الاستنباط والاجتهاد القوي كان يبذل فيما لا ترجى منه قيمة عملية، ولست أنسى كيف كان آية الله الميلاني قدس سره يخصص ستة أشهر للبحث في مسألة فقهية كاللباس المشكوك، كما بذل علماؤنا العظام وفقهاؤنا

(١) كلمة في أساتذة وطلابِ المدارس العلمية، بتأريخ ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

(٢) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتأريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

الكبار جهوداً جبارة في فروع العلم الإجمالي وأمثالها، مما يدعو إلى الدهشة، برغم أنّ هذه المسائل لا تمسّ واقع حياة الناس اليومية»[1].

٤ـ الرؤية الفردية في الفقه:

لقد تمّ التأسيس للفقه الراهن بما يخدم الفرد دون المجتمع، مما أدى أولاً: إلى الاهتمام بالشؤون الفردية للإنسان المسلم، وإهمال ما يتعلق بالنظام الاجتماعي للمسلمين.

وثانياً: لم تلحظ العلاقات المتقابلة وتأثير الحياة الفردية على حياة الآخرين بالشكل المطلوب.

ومن هنا فقد انحصر التحقيق الفقهي بالإجابة على ما يعرض للفرد المتديّن من المسائل، دون ما يتعرّض له في علاقاته مع الأفراد الآخرين أو النظام الاجتماعي:

«إنّ النقيصة العامة التي كانت ترافق مسيرتنا الفقهية ولا تزال، والتي لازمتها دون انفكاك، هي أنّ الفقيه حينما يمارس الاستنباط لم يكن يهدف إلى بناء مجتمع أو إدارة شؤون شعب أو تلبية حاجة مجتمع كبير.

وكان السبب في ذلك يعود إلى عدم استنطاق واستفهام الفقه الإسلامي من قِبَل المجتمعات والحكومات والأنظمة آنذاك، حتى يبادر الفقهاء إلى البحث عن أجوبة لها من المبادئ الفقهية، بل كان عملهم منصبّاً على إيجاد أجوبة لإستفهامات فرادى المؤمنين.

وقد قام الفقه على هذا الأساس منذ البداية، التي ترقى إلى ما قبل عصر الشيخ الطوسي وإلى يومنا هذا»[2].

---

(١) كلمة في مدرسة الشهيد مطهري العليا، بتأريخ: ١٣٦٣/٩/٢٠هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

لقد عاش الفقه الشيعي عزلة سياسية تجاه الحكومات باستثناء العهد الصفوي، والعهد القاجاري على مستوىً نسبي، ومن هنا لم يجد الفقهاء أنفسهم ملزمين ببناء مجتمع إسلامي، وإقامة صرح من النظريات الدينية حول قيام الكيان الإسلامي.

وبذلك بقي الفقه الشيعي محصوراً في دائرة النزعة الفردية وغير الحكومية.

«لقد عاش الشيعي سنوات يائساً من إدارة الحكم، أي أنّ الفقيه حينما كان يستنبط لم يكن يفكر في إدارة المجتمع، وإنما كان يصبّ اهتمامه على الفرد والأسرة، أو في الأكثر على الأفراد دون المجتمع»[1].

كما قال سماحته في موضع آخر:

«إنّ فقهنا قوي في المسائل التي تطرق اليها سواء من حيث الاسلوب والمنهج أو من حيث حصيلة هذا الاسلوب وشمولها، الّا أنّ هذا الفقه قد إهتمّ بالفرد المسلم دون المجتمع المسلم»[2].

إنّ النظرة الفردية لدى الفقه كانت بمعنى أنّ التفقّه لم يكن سائراً في اتجاه منظم وواسع، وإنما كان ينظر نظرة تحليلية لعمل الفرد والحكم الشرعي، دون أن يُلحظ تأثير ذلك على الحياة الاجتماعية والرؤى الفقهية:

«في القرون الأخيرة لم نتعلم من الفقه الإسلامي سوى الأحكام ـ دون العقائد ـ بل لم نتعلم منها سوى الأحكام الفردية، فحينما نبحث حول الخمس والزكاة نقول: لو كان عندي هذا المقدار من المال بوصفي مسلماً، فما هو حكمي؟ أي أنّ الموضوع هو الفرد.

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب المدارس العلمية، بتأريخ ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

(٢) كلمة في علماء محافظة زنجان، بتأريخ ١٣٦٤/٨/٢٩هـ ش.

في حين أننا عندما نبحث في المسائل المالية في الإسلام علينا ملاحظة الأمور المالية في المجتمع والنظام الاسلامي المؤلّف من مجموعة من الأفراد»[1].

إنّ سماحة القائد يستعرض الرؤية للخمس والزكاة من باب المثال، فإن بالإمكان النظر إلى هذا التكليف الإلهي بنظرتين:

الأولى: إنه واجب فردي يفرض على المكلف أن يصرف قسماً من أرباحه ومكاسبه في موارد معيّنة، وهذه هي النظرة الفقهية المتعارفة والتقليدية.

وأما النظرة الثانية: فتبحث عن الدور الذي يلعبه الخمس والزكاة في مجموعة النظام المالي في الإسلام، وكيف يتمّ التعامل مع مجموعة هذه الأرباح العامة في المجتمع الإسلامي؟ وما إلى ذلك من الأسئلة والاستفهامات:

«ولو بحثنا الخمس أو الزكاة، فلابد من بحثه من زاوية المقدار الذي يأخذه النظام الإسلامي من كل شخص، والموارد التي ينفق فيها، كما يشير إلى ذلك ظاهر آيات الخمس أو الزكاة، فالمدار إذاً حول حقوق المسلمين والمجتمع الإسلامي، وليس الفرد المسلم بمعزل عن سائر الأفراد.

فالمهم بالدرجة الأولى كيف يتعامل هذا المجتمع الكبير وهؤلاء الملايين من الناس مع الملاك ومع هذه الحكومة ومع مدخولهم المالي، وما هي الموارد المالية للمجتمع المسلم، وعلى ضوء ذلك لابد من التعرّض للخمس، في حين أنّ هذا ما لم يتعرّض له في السابق، مع الالتفات إلى أنّي لا أُريد تخطئة

---

(١) كلمة في طلاب وأساتذة الحوزة العلمية في مشهد، بتأريخ ١٣٦٦/١/٥هـ ش.

المتقدّمين، فقد كانت الظروف السائدة تحتّم عليهم التركيز على الحياة الفردية»[1].

لقد برزت النزعة الفردية في التفقّه خلال فترتين بوجه خاص:

الأولى: هي التي تمتدّ من بداية عزلة الفقه الشيعي إلى العصر الصفوي.

والثانية: هي فترة العقود الأخيرة إلى ما قبل الثورة الإسلامية، حيث انحصر الفقه بعمل الفرد؛ نتيجة لإبعاد الفقه الشيعي عن إدارة المجتمع في تلك البرهتين الزمنيتين:

«إنّ الفقه الذي تمّ تأسيسه في هذه القرون، فقه متين ومحكم، ولكنه قائم على عمل الفرد دون النظام الاجتماعي الإسلامي، وهذه حقيقة نشاهدها خصوصاً في فترات العزلة والإنزواء»[2].

٥ ـ النظرة غير الحكومية إلى الفقه:

لقد تطوّر الفقه الشيعي وتكوّن وسط التشيّع باعتبار الشيعة أقلّية مضطهدة، بل ومغضوب عليها ومنفية؛ مما مهّد الأرضية إلى لنظر الفقيه الشيعي إلى الأفراد والمجتمع في ظل رزوحهم تحت يد الحكومات الظالمة، فيصدع برأيه الفقهي لهؤلاء الأفراد، وأحياناً لمثل هذا المجتمع.

وقد أدّت هذه الظاهرة بعد قيام الجمهورية الإسلامية إلى بروز عشرات بل ومئات المسائل الفقهية، من قبيل الضرائب والمواثيق الدولية وقرارات الحكومات بشأن الملكيات الخاصة وما إلى ذلك، حيث واجهت إشكالات فقهية متعددة، وقد أدّت النظرة غير الحكومية للفقه إلى بحث كل واحدة من هذه المسائل الجادة والابتلائية في البلاد والنظام بميزان «الفقه خارج إطار الحكومة»، وما يصاحب ذلك من الإبهام والحيرة:

(١) كلمة في طلاب وأساتذة الحوزة العلمية في مشهد، بتأريخ ١٣٦٦/١/٥هـ ش.

(٢) كلمة في علماء محافظة زنجان، بتأريخ ١٣٦٤/٨/٢٩ هـ. ش.

«إنّ فقهنا الغني والثر والقيّم، والذي كتب حقّاً بأسلوب استدلالي عميق، يحتوي على عيب يجب عليكم تداركه، وهو أنّ هذا الفقه قد كتب في ظروف عاش فيها الشيعة مستضعفين مظلومين رازحين تحت وطأة حكومات جائرة تحكم خلافاً لما أنزل الله، فكان هذا الفقه دستوراً لأولئك الشيعة المستضعفين المظلومين.

أمّا في الوقت الراهن، فنحن بحاجة إلى دورة فقهية كاملة من الطهارة إلى الديات، يتمّ فيها استنباط الأحكام من أجل الحكومات»[1].

لم يُقس الفقه الشيعي طوال التاريخ على مقاس الحكومات وإدارة المجتمع، وإنما ـ كما تمّت الإشارة ـ قام على تنظيم حياة الأفراد المتديّنين والمضطهدين، ورسم لهم الطريق الذي يجب عليهم سلوكه، دون أن يضع منهجاً للحكومات الدينية:

«إننا على مدى التاريخ لم ننظر إلى الفقه بوصفه قالباً للحكومات، فقد كنا جماعة محكومة، تمسك فيها الحكومة بالمقود وتجرّ وراءها جمهور الناس ونحن في ضمنهم، وكان الفقه يرسم لنا منهجنا الخاص مضافاً إلى كوننا في ضمن المجموعة، وهذا ما كان عليه فقهنا، في هذه القرون الأخيرة على الأقل.

أما حالياً فلابد أن يكون الفقه شكلاً من أشكال الحكومة، ونمطاً من أنماط النظام الاجتماعي، وتكون منه الحكومة التي هي جزءٌ من النظام الاجتماعي وهذا أمر لا يمكن لأحد الادعاء بأنه قد تمّ انجازه»[2].

(١) كلمة في علماء محافظة زنجان، بتأريخ ١٣٦٤/٨/٢٩هـ ش.

(٢) كلمة في علماء، وأساتذة الحوزة العلمية في المدرسة الفيضية بقم، بتأريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

التكامل التاريخي للتفقّه

لقد تعرّض الفقه الشيعي على مرّ الأزمنة والعصور إلى تغييرات ملحوظة، حتى تكامل تدريجياً، فحدثت دراسات واسعة في قواعد الاستنباط ومبادئه، وتطور علم الأُصول من البسيط المتمثل في كتب مثل (الذريعة) للسيد المرتضى، أو (عدة الأُصول) للشيخ الطوسي، إلى الكتب الاستدلالية العميقة للشيخ الأنصاري، والآخوند[1] الخراساني وأجيال العلماء البارزين من بعدهما، حيث تجد من خلال نظرة عابرة، عموم الاختلاف والتطور الذي طرأ على علم الأُصول وبلغ به قمة الجبل، حتى لا يمكن معه وضع الأُصول القديمة في سفحه.

كما أنّ التغيّر والتكامل ملحوظ حتىٰ في كيفية الاستنباط، حيث تجد في الفقه القديم تعبّداً مطلقاً بالروايات، حتى طرأ بعد زمن الشيخ الطوسي تغيّراً إذ ترى تحرراً في العبارات الفقهية عن النصوص الروائية، وإعطاء الاجتهاد ميداناً أوسع، مع بقاء العمليات الاجتهادية على بساطتها في الاستناد إلى النصوص والظواهر الأولية والإجماعات، فلا ترى استدلالاً عميقاً حول متون الروايات والآيات، وكلما اقتربنا من الفترات الأخيرة يتخذ الأُسلوب الاستدلالي بُعداً أعمق.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى الموضوعات الفقهية، حيث نسخت أكثر المسائل والفروع من الكتب الفقهية، وحلّت محلّها فروع فقهية عديدة،

(١) الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني ١٢٥٥ ـ ١٣٢٩ أحد الأوتاد في علم الأُصول، درس في مشهد وسبزوار وطهران إلى أن أستقر به الأمر في النجف الأشرف فتتلمذ على يد الشيخ الأنصاري والمجدد الشيرازي قدّس سرّهما وغيرهما، امتاز بسعة الإطلاع على الآراء الأُصولية ومن ضمنها أُصول المذاهب الأخرى وقد أدى ذلك إلى إعجاب مفتي الأستانة به عندما زار النجف. له إضافة على كفاية الأُصول حواشي على الرسائل والمكاسب والأسفار ومنظومة السبزواري إضافة إلى مجموعة رسائل في فروع فقهية مختلفة.

وأخذت مكانها في الكتب الفقهية في العهود المتوسطة والمتأخرة بوصفها من الأبحاث الفقهية المهمّة.

كما ظهر في التحوّل والتكامل في أبعاد أخرى أيضاً، فهناك المسائل الرجالية، والنظريات الأدبية، والاستفادة من الآيات القرآنية، والتعامل مع الاجماع والشهرة، وعشرات الأمور الأُخرى التي تركت تأثيرها على أُسلوب الكتابة الفقهية منذ الأدوار الأولى إلى الأدوار الراهنة، وبذلك يمكن رسم أدوار مختلفة للمسيرة الفقهية:

«لقد تكامل التفقّه في أدوار متعددة، فحينما نلقي نظرة على التاريخ الفقهي نرى عدة مقاطع ـ والآراء متفاوتة في هذا المجال طبعاً ـ فأرى شخصياً أنّ زمن الشيخ(1) مقطعاً، وزمن العلاّمة(2) مقطعاً آخر، فنذكر العلاّمة ولا نذكر المحقق(3) مع أنهما في فترة واحدة، لأن البحث الاستدلالي عنده أوسع، وبذلك

---

(1) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ولد في طوس ٣٨٥ وهاجر إلى بغداد ٤٠٨هـ ودرس على يد الشريف المرتضى علم الهدى وتصدى لزعامة الطائفة هناك إلى أن حلت الفتن بين الشيعة والسنّة فحرقت دار الشيخ ومكتبته ومنبره فغادرها إلى النجف الأشرف في ٤٤٨ ليؤسس الحوزة العلمية هناك، برع في مختلف الحقول المعرفية فكان فطحلاً في كل حقل ورده، فألف في علم الكلام والرجال والفقه والأُصول والحديث وغيرها من المعارف كما تخرج على يديه مجموعة من أساطين العلم، توفي ﷺ في سنة ٤٦٠هـ.

(2) الشيخ جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي(٦٢٨ـ ٧٢٦) جامع المعقول والمنقول، إختص من بين علماء الشيعة (بالعلاّمة) درس على يد المحقق الحلي والمحقق نصير الدين الطوسي وتتلمذ على يديه المحقق الطوسي في الفقه وابنه فخر المحققين له تبصرة المتعلمين، المختلف، القواعد، تذكرة الفقهاء، شرح تجريد الاعتقاد للمحقق الطوسي، الألفين في إثبات الإمامة...

(3) الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي والمشهور بالمحقق الحلي(٦٠٢ ـ ٦٧٦) له كتاب شرايع الإسلام الذي مازال محور البحث للكثير من الفقهاء وكذلك المعتبر في شرح المختصر والمختصر النافع والمعارج في الأُصول وهو أستاذ العلاّمة الحلي.

يتمكن الإنسان من التعرف على كيفية التعامل مع المسألة بشكل أكبر، في حين لا يمكن التعرف على ذلك بوضوح في فقه المحقق.

ثم يمضي قرنان ونصف تقريباً حتى نصل إلى زمن المحقق الكركي[1] فنرى مقطعاً آخر، حيث ندرك الفارق بين طريقة استنباط المحقق الكركي وطريقة الاستنباط عند العلاّمة، فهو نفس التفقه إلاّ أنه قد تكامل.

ثم نصل إلى مقطع تلامذة الوحيد البهبهاني[2]، حيث انتعاش الفقه الأُصولي في مؤلفات صاحب الرياض، والقوانين والشيخ جعفر والسيد بحر العلوم، وغيرهم.

ثم يأتي زمن الشيخ الأنصاري وصاحب الجواهر، وطبعاً يبدو الاختلاف في هذا المقطع في أُسلوب التفقه عندالشيخ الأنصاري بشكل أوضح منه في أسلوب صاحب الجواهر برغم ما قام به الأخير من التجديد.

وإذا أردنا أن نسمّي مقطعاً جديداً حدث فيه تحوّل في الفقه، فأرى ذلك متمثلاً بآية الله البروجردي رحمه الله حيث فتح باباً جديداً في التفقّه»[3].

---

(١) الشيخ علي بن عبد العلي الميسي، والمعروف بـ (المحقق الكركي) و(المحقق الثاني) «٨٦٨ ـ ٩٤٠هـ» فقيه أصولي درس في مسقط رأسه المذهب الجعفري، ثم سافر إلى مصر لدراسة المذاهب الأربعة، ثم إلى النجف وبعدها، استقدمه الصفويون إلى إيران فأقام درسه في قزوين وأصفهان ثم رجع إلى النجف، من أهم كتبه جامع المقاصد في شرح قواعد العلاّمة الحلي.

(٢) الشيخ محمد باقر البهبهاني (١١١٦ ـ ١٢٠٨) فقيه بارع ومجدد أصولي، سكن كربلاء وكان نداً عنيداً للاتجاه الاخباري في الوسط الشيعي، تربى على يديه علماء فطاحل كالسيد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء) وابن اخته مير السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض والميرزا القمي صاحب القوانين وغيرهم.

(٣) السيد مهدي بن مرتضى الطباطبائي البروجردي (١١٥٤ ـ ١٢١٢هـ) من الفقهاء الكبار والعرفاء البارزين من الذين تشرفوا بلقاء صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه ومن أصحاب الكرامات، تخرج على يديه ثلة من العلماء الكبار كالسيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة والملا أحمد النراقي وغيرهم، له المصابيح والدرّة النجفية.

إنّ الالتفات إلى التكامل التاريخي للتفقّه يحتوي على دروس متعددة للمحقق والدارس للفقه، حيث يوسّع في رؤيته الفقهية، ليقرأ ويفهم آراء كبار الفقهاء برؤية أوسع، ويتعامل مع كل كتابة في ظرفها التاريخي، ملاحظاً دورها في تطور الفقه، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، يدرك أنّ الفقه في تحوّل وتكامل، فلم يكن في أول أمره عميقاً، وقد تقدّم به الفقهاء خطوة خطوة، وقد حصلت قفزات في تاريخ الفقه بظهور شموس فقهية ساطعة، وبذلك كيف يمكن القول بأن الفقه قد بلغ غايته ومنتهاه؟

«إنّ التفقّه يعني أُسلوب الاستنباط، وهو أيضاً يحتاج إلى تطوير، فهو برغم تكامله، إلا إننا لا يمكن أن ندَعي أننا بلغنا قمة التفقه، وليس بالإمكان الحصول على أُسلوب أفضل من هذا الأسلوب. فقد كان الشيخ الطوسي بعظمته متفقّهاً، ولكن أي مجتهد في العصر الحاضر على استعداد لأن يحذو حذوه في طريقته الاستنباطية المبسّطة، إذاً فأي دليل يمنع الفضلاء والمحققين من الإضافة على الأسلوب الراهن وتكميله؟»[1].

المسائل الفقهية المستحدثة

يواجه التفقّه مئات المسائل المستحدثة التي يجب على الفقيه أن يهتمّ بها، ويفرغ جهده وهمّته في استنباط أحكامها الشرعية، وقد أشار سماحة القائد باعتبار إشرافه وحضوره في الميادين التنفيذية والحكومية، إلى موارد كثيرة ومتنوعة من هذه المسائل، وطالب بالبحث والتحقيق في كل واحد منها فقهياً وعلمياً.

وللتعرف على العناوين نشير فيما يلي إلى بعض المواضيع التي أشار إليها سماحته:

---

(١) كلمة في فضلاء، ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

١ـ المسائل الاقتصادية:

هناك في هذا المجال أسئلة كثيرة ويتضاعف حجمها يوماً بعد يوم، ويمكن الإشارة إلى بعض منها.

أ ـ حدود تدخّل الدول في النظام الاقتصادي:

في الاقتصاد المعاصر حيث طرأت فروع متعددة نريد التعرف على سعة الدائرة التي يجاز فيها للدولة، أو تكون مسؤولة في الاشراف على النظام الاقتصادي؟

«هل للدولة دور في النشاط الاقتصادي للمجتمع أم لا؟ هل للدولة حق الإشراف على النشاط الاقتصادي للقطاع الخاص أم لا؟

إن كان لها مثل هذا الحق، فما هي حدوده؟ وإذا كان للدولة حق ممارسة الأنشطة الاقتصادية فما هو الحكم عند وقوع التعارض والتضاد؟ وإذا حصل الناس على أرباح من جهودهم، فهل للدولة حقّ في تلك الأرباح، أم لا؟ هل المصادر العامة الموجودة في المجتمع ملك لذلك المجتمع المعاصر، أم أنّ للأجيال اللاحقة حقاً فيها أيضاً؟

وإذا كان فيها حقّ للأجيال الآتية أيضاً، فكيف تستفيد الدولة منها؟ وكيف تنفقها وتوزعها لتكفي الأجيال بأجمعهم؟»[1].

ب ـ المعاملات والمبادلات الاقتصادية:

لقد أصبح التبادل الاقتصادي حالياً ـ سواء في البضائع أو الجهد الإنساني ـ من التعقيد بحيث لا يمكن التوصّل إلى حكم الموضوعات الجديدة من خلال العناوين والتعبيرات الفقهية القديمة ببساطة، فلابد من بذل جهود واسعة لمعرفة الموضوع وتحديده من جهة، ثم استنباط حكمه الشرعي من جهة اُخرى:

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٥/١/٤هـ ش.

«لقد أصبحت المعاملات معقدة، وهكذا بالنسبة إلى العلاقة بين المؤجر والمستأجر، حيث لا تنتهي المسألة بأن يقال: «آجرتك نفسي»، ويقول الآخر: «قبلت» وينتهي الأمر.

فهناك من المصانع ما تضمّ عدة آلاف من العمال، بخصوصيات مختلفة وشروط متنوعة، وأجور يستحقها هذا العامل بخصوصه تبعاً لمدة عمله هنا، والمال المستثمر في هذا المصنع، والأرباح الطائلة التي يجنيها المستثمر وصاحب المصنع، والضعف الذي يستولي على العامل، فقد اختلف الأمر كلياً عما كان عليه قبل دخول العالم مرحلة الاقتصاد الصناعي»(١).

ج ـ الرفاه والعدالة الاجتماعية:

ما هو مستوى الضمانات الشرعية الفقهية للحكومة تجاه الرفاه والعدالة الاجتماعية؟ هناك أيضاً أسئلة كثيرة في هذا المجال ومنها ما يأتي:

«لوقام البعض باحتكار الثروات العامة، فما هو واجب الدولة في التعامل معهم؟ وما هو واجب الدولة لو رأت باب الإثراء مفتوحاً بوجه جماعة دون حدود أو قيود؟

وعلى صعيد المسائل المالية، ما هو العمل لإنعاش الاقتصاد، فيما لو ابتلى المجتمع الإسلامي بالفقر؟

وإذا كان في المجتمع الإسلامي مصادر عامة، فكيف يستفيد منها المجتمع؟ ومن يتولّى الأمور في مجال الأموال، ومن يتصدّى لها ويباشرها؟»(٢).

د ـ المسائل المتعلقة بالنقود والمصارف:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٦/١/٥هـ ش.

إنّ المصارف بوصفها من الأمور المستحدثة أدّت إلى ظهور عشرات الأسئلة الفقهية، نشاهد جانباً منها فيما يأتي:

«ماذا يعني النقد أساساً؟ وما هو الدرهم والدينار اللذان تردد ذكرهما في مختلف الأبواب الفقهية، مثل: الزكاة والديات والمضاربة؟

لابد من دراسة موضوع الدرهم والدينار وتحديد وضعهما، فمن السهل جداً أن ندرج الأعمال المصرفية ـ غير مسألة النقد ـ والإيداع تحت عنوان القروض الربوية، ونحكم عليها بجرّة قلم! أفلا يجدر بنا التدقيق أكثر، لنعرف ما إذا كان في الحقيقة قرضاً أم لا؟ إننا نضع مالاً في المصرف ونقرضه إياه والمصرف يقترض منا المال. من الذي يقبل هذا الكلام؟ إنك تضع وديعة في المصرف ولست تقرضه.

وهناك الكثير من المسائل المشابهة، فالبحث يدور حول قيمة النقد عند حصول التضخم الهائل ـ لا التضخم الذي يحدث بشكل قهري بفعل الحركة العامة في كل مجتمع ويؤدي إلى النمو ـ بل التضخم بنسبة ٢٠ أو ٣٠ أو ٥٠ في المائة والتضخم ذو ثلاثة أرقام الذي يؤدي إلى التقليل من قيمة النقد، فما هو حكم النقد في مثل هذه الحالات؟

وما هو حكم الديون والقروض التي نأخذها من بعضنا؟ فلو أخذت منك مئة تومان قبل ستة أشهر وأردت إرجاعها إليك الآن، تكون قيمتها قد تغيّرت فلابد من إيضاح هذه المسألة في الفقه»[١].

هـ ـ نظام الضرائب:

إنّ الخمس والزكاة ضرائب شرعية معروفة، وهناك أسئلة حول العلاقة بين الضرائب الحكومية وهذه الضرائب، وكيفية أخذ الخمس والزكاة

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتأريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

ومصرفهما، وعشرات الأمور الأخرى في نظام الضرائب عند تشكيل الحكومة الدينية:

«لابد من تطبيق الخمس والزكاة وسائر الضرائب وفقاً لحاجة العصر»[1].

و ـ مسائل الأثرة والاحتكار:

إنّ النظام الاقتصادي الجديد، يتجه مسرعاً نحو الإثرة الاقتصادية أو الاحتكار، وإنّ بحث الاحتكار وإن كان قديماً في الفقه، إلاّ أنّ أبعاده الراهنة من التعقيد بحيث تتضح فوارقه ويبدو اختلافه عن الاحتكار التقليدي بيسر، فإن مباحث الانحصار من السعة في النظام الاقتصادي والصناعي والتجاري، بحيث تتفرع من كل جوانبها عشرات المسائل المستحدثة، وتطالب الفقهاء ببيان حكمها الفقهي المخصوص:

«لم تكن مسألة الاستئثار والاحتكار على ما هي حالياً، فالاحتكار آنذاك كان يؤدّي في الأكثر إلى إجاعة آلاف الأُسر، وهي مصيبة كبيرة في حين بلغت من الخطورة حالياً بحيث إنّ احتكار الأطعمة والخدمات وغيرها مما يحتاجه الناس يؤدي إلى سقوط الدول وإقامة غيرها، فلم يكن للإحتكار قديماً تلك الأهمية العملية، أو لم يكن فقهاؤنا ليدركوا مدى التأثير الاجتماعي المهم الذي يتركه، وبرغم ذلك فقد تمّ بحثه في الكتب الفقهية.

فعلى الفقهاء حالياً أن يبحثوا مسألة الاحتكار مرة ثانية من خلال التعرّف على المسائل العالمية والاجتماعية والاقتصادية، وما يمكن لعملية الاحتكار أن تتركه من آثار سلبية على المجتمع»[2].

٢ـ العلاقات الخارجية:

لقد تعددت الأسئلة حول السياسة الخارجية، حيث إنّ بيان العلاقات الخارجية المبتنية على الأُسس الشرعية بحاجة إلى أبحاث فقهية جادّة، في

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب المدارس العلمية، بتأريخ ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٦/١/٥هـ ش.

حين أننا لم نخط في هذا المجال حتى الخطوات الأُولى، ولا زالت بيننا وبين بلوغ الأهداف مسافة طويلة وبون شاسع:

«هل يحق لنا استعمار البلدان الأخرى من خلال تبادلنا الاقتصادي معها أم لا؟.

ولو عاد علينا استثمارنا في تلك البلدان بالأرباح، فهل تكون تلك الأرباح حلالاً علينا، أم لا؟ ولو أننا لم نستثمر أموالنا هناك، وكان عدم استثمارنا يفتح المجال أمام قوة ظالمة فيؤدي استثمارها إلى تقوية شوكتها، فكيف يكون الحال؟

وهل يجوز لنا أن ننفق أرباح بلدنا في بلد آخر، أم لا؟ وإذا كان جائزاً فما هو مقدار الإنفاق وفي أي بلد؟ فهل يجب أن يكون إسلامياً، أم يجوز حتى في غيره؟

ولو أدى التزامنا بالأحكام الإسلامية وأصولها إلى تدهور علاقاتنا ببلد من البلدان، فهل يتعيّن علينا أن نتقيّد بتلك الأحكام على حساب تلك العلاقات، حتى وإنْ كانت درجة أهميتها أكبر من التقيّد بتلك الأحكام؟»[1].

وقد أشار في كلام آخر إلى فروع فقهية أُخرى في مجال السياسة الخارجية:

«من هي الدول التي يمكن للبلدان الإسلامية إقامة العلاقات معها؟ فهل لابد أن يكون المجتمع فيها مسلماً متعبّداً ملتزماً، أم يكفي مجرد كونه مسلماً، أو لا يشترط إسلامه، بل يجوز حتى لو كان كافراً عدواً للدين.

ولو كانت الدولة متّصفة بهذه الصفات وكان فيها عدد من المسلمين، كيف تكون علاقتنا مع اولئك المسلمين»[2].

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٥/١/٤هـ ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٦/١/٥هـ ش.

٣ـ النظام السياسي:

يُعدُّ النظام السياسي للحكومة الإسلامية في عصرنا الحاضر من المسائل المعقّدة، التي تحتاج إلى دراسات فقهية واسعة، فإن تغيّر النموذج الحكومي من صدر الإسلام، وظهور المؤسسات الجديدة، وكذلك التعقيد الإداري في المجتمعات المعاصرة وعشرات المسائل الأخرى، من المسائل المهمة والأساسية في الفقه السياسي المعاصر، ويمكن الإشارة إلى الفروع الآتي منها:

«كيف ينبغي أن تكون حكومة هذا المجتمع؟ وما هي حدود صلاحيات من يتولّى أمر الحكومة ويمسك بزمام إدارة شؤون البلاد؟ وكيف يستفيد من هذه الصلاحيات؟ وكيف يكون العمل إذا لم يستفد منها؟»[1].

٤ ـ النظام التعليمي ـ الثقافي:

إنّ الأسئلة الفقهية في هذا المجال ليست بالقليلة أيضاً، وإليك نماذج منها:

«نحن ننفق من بيت المال على إدارة هذه الجامعات، فهل يجوز انفاق هذه النقودعلى العلوم التي تحتوي في طيّاتها على شبهات، أو يحتمل أن لا تكون مفيدة، أو قد يستفاد منها في أمور محرمة؟»[2].

٥ ـ النظام الدفاعي ـ الأمني:

إنّ الكلام في هذا المجال واسع، فهناك عشرات الأسئلة الفقهية، وإنّ مجال الاجتهاد والتفقّه فيه مفتوح على مداه:

«لو هددنا العدو، كيف يكون دفاعنا؟ ولو نشط الطابور الخامس والفئات المندسّة وعملاء الأعداء في داخل المجتمع الإسلامي فكيف يكون تعامل النظام معهم؟»[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

أشار سماحة القائد في معرض حديثه عـن أُسـلوب التفقّـه عنـد الإمـام الراحل إلى النقطة الآتية، التي تبيّن كيفية التعامل مع المسائل المستحدثة فـي إطار القواعد الفقهية، وصولاً إلى الرؤى الجديدة:

«أذكر جيداً كيف كنا نراجع الإمام بشأن قصف المدن العراقية، حيث كان العراق يقصف مدننا باستمرار، والإمام يمنعنا عن الرد بالمثل؛ لكونه يؤدي إلى قتل الأبرياء والعزّل.

وذات مرة ذهبت إليه لشأنٍ آخر، فبادرني قائلاً: لقد عثـرت علـى روايـة تجيز ضرب المدن، ثم اتفق في مراجعتي للروايات أن تعرّفت علـى أنّ مـورد الفتوى قضية «حذار»، والتي أفتى بها حتى السيد أحمد الخوانساري برغم شدّة احتياطه، والتي تفيد إمكان الرد على العدو بالمثل فيما لو قال: «حذار»، وعنـد مراجعتي لـ«جامع المدارك» في باب الديات[1]، وجدت سندها جيداً ومعمـولاً به عند الفقهاء، ولذا أمر الإمام بضرب البصرة بعد إنذار أهلها»[2].

٦ـ المسائل القضائية:

كما أنّ هناك الكثير مـن المـسائل المـستحدثة فـي مجـال الحكـم بـين المتنازعين، وأنّ الظروف في هذا المجـال وإن كانـت مؤاتيـة بفعـل تواجـد العلماء في منصب القضاء لحوالي نصف قرنٍ، وتمّ تـأليف الكتـب فـي بـاب القضاء، إلاّ أنها ليست بالمقدار الكافي، وأنّ موضوع الخـصومات لا ينحـصر في تلك المسائل:

---

(١) هذه الرواية في باب الديات هكذا: عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كـان صـبيان في زمان علي عليه السلام يلعبون بأخطار لهم فرمى أحدهم بخطره فدق رباعية صاحبه فرفـع ذلـك إلـى أمير المؤمنين عليه السلام فأقام الرامي البيّنة بأنه قال: حذار، فدرأ عنه القصاص ثم قال قد أعذر من أنذر) جامع المدارك ج٧ ص ٢٥١.

(٢) كلمة في أعضاء مؤتمر تبيين المباني الفقهية للإمام الخميني قدس سره، بتاريخ ١٣٧٤/٢/٧هـ.ش.

«بادروا إلى تنقيح مباحث القضاء والشهادات وأمثالهما، ولحسن الحظ فقد تمرّس علماؤنا لمدة خمسين أو ستين سنة في هذا المجال»[1].

وقال في كلام آخر:

«لازالت مباحث الديات والحدود، ومسائل القضاء الأخرى، لم يعثر لها على حلول في جهازنا القضائي؛ برغم عظمته وسعة حجمه»[2].

إنّ المرور على هذه العناوين المتقدمة مهما كان عابراً، يستدعي بذل جهود واسعة، وهذا يتطلب توفّر المصادر العظيمة للبحث والتحقيق، كما أنها بحاجة إلى عزم راسخ:

«لو سألنا شخص: مع كل هذا التراث الإسلامي العظيم، وهذه التجربة الممتدة لألف سنة، فما هو جواب دقائق مسائل الحياة وجزئياتها؟ لم نُحر نحن وأنتم الجواب على ذلك السؤال، أي أننا لا نمتلك جواباً يتناسب والحاجة.

وغالباً ما تكون عندنا معادن عظيمة غنية من البضائع الفاخرة، ولكن لا توجد لدينا سيولة نقدية للتداول في السوق والتجارة»[3].

لا ينبغي المرور بالمسائل الفقهية المستحدثة مرور الكرام، واعتبار أنّ حلّها بالاكتفاء ببضعة قواعد اصولية كالاطلاق أو العموم، فإن هذه المسائل كفروع العبادات ـ بل وأكثر منها ـ بحاجة إلى تحقيق علمي، فلابد من فتح ملف لجميع المسائل والفروعات المماثلة والتي يكثر فيها الابتلاء، وإدراج جميع الموارد التي يمكنها أن تكون دخيلة في أخذ النتيجة الفقهية في ذلك الملف، ثم العمل على الاجتهاد فيها واستنباط حكمها بدقة وتأنّي؛ للوصول إلى نتائج فقهية مقبولة لدى المؤسسات والشخصيات العلمية، لتبلغ كمالها

(١) كلمة في أساتذة وطلاب المدارس العلمية، بتاريخ ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

(٢) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

(٣) كلمة في اعضاء مؤسسة باقر العلوم عليه السلام الثقافية، بتاريخ ١٣٦٨/١١/١هـ ش.

من خلال نقدها وإيراد الإشكالات عليها، وتحديد مواطن قوّتها، كما تتبيّن مواطن ضعفها؛ بغية القضاء عليها وتلافيها:

«لابد من تأسيس مبنى لمثل هذه الأمور، طبعاً يمكن تسهيل الأمر بالاكتفاء بالإطلاقات والعمومات، إلا أنّ المسائل لا تُحل بهذا الشكل.

انظروا إلى الدقّة التي بذلها فقهاؤنا في باب العبادات كـ«الطهارة والصلاة»، مما يدل على عمق وسعة أفكارهم، وهذا لا يُعد عيباً، إلا أنّ الأولويات قد تغيّرت في عصرنا الحاضر، ولابد من استهلاك الذهن في بحثها على نطاق شامل»[1].

إنّ التساهل في مواجهة هذه المسائل الفقهية المستحدثة لا يساعد على حل المشكلة، بل قد يزيد في حجمها؛ مما يحول دون استعمال الدقّة في هذا المجال، ويخلق ظناً بأنه لا يمكن أن يقال في هذه الأمور سوى الكلمات البسيطة التي تفتقر إلى المبنى والأساس، فيتركونها ويطلقون لأنفسهم العنان في الموضوعات والمسائل التي أخذت بالبحث والتنقيب آلاف المرات لكي يشبعوا نهمهم العلمي:

«اعلموا أنّ الفقه اليوم والذي سيكتب له البقاء، ويكون بَنّاءً وقادراً على إدارة الأمور، هو الذي يتمّ اعداده بأسلوب علمي، ولو وضعنا يداً على يد واكتفينا بالقول: بأن الرواية الفلانية تقول كذا فلن يكون ذلك فقهاً.

فعلى الفقهاء أن لا يغضّوا الطرف عن الدقائق الفقهية والأصولية في عملية الاستنباط، فليستخرجوا آيات الأحكام وليستفيدوا جيداً من الروايات وأسانيدها في الأبواب المختلفة»[2].

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

(٢) كلمة في مسؤولي منظمة الإعلام الإسلامي في طهران، بتاريخ ١٣٦٣/٦/٢هـ ش.

التخطيط لتكامل الفقه

تقدّمت الإشارة إلى أنّ الفقه الراهن ذو بناء رصين ومتين، إلا أنه كأي بناء آخر بحاجة إلى ترميم وتكميل، ولو أنّ حماة الفقه المعاصرين لم يلتفتوا إلى هذه الحقيقة فسوف يؤدّي ذلك إلى زعزعة أركان هذا البناء، واليأس من فاعلية التديّن والتفقّه.

ليس لدينا أمام الحاجات المتزايدة إلى الفقه من جهة، والضعف البنائي في الفقه الراهن والذي تقدّمت الإشارة إليه، من جهة أُخرى، سوى تحشيد الجهود وشحذ الطاقات لتكميل الفقه وفق منهج مدروس ودقيق.

وإليك بعض الملاحظات الضرورية في هذا المجال:

١ـ التخطيط الطويل الأمد:

إنّ تراكم الحاجات والضعف البنائي في الجهاز الفقهي ـ برغم قوّته ـ ليس من الأمور التي يمكن حلّها في عدة أيام أو بضع سنوات، فليس من الصحيح أن نتمسك بآمال واهية تقوم على مخطط سريع وعاجل، يمكّن الفقه من تلبية حاجات المجتمع والنظام، إلا أنّ هذا الكلام لا ينبغي أن يشكّل ذريعة لتعطيل أو تأخير الشروع والعمل بهذه الخطّة، بل لا بد من التشجيع على الإسراع في إتمام وإنجاز هذا المخطط، علّه يقلل من المدة المرصودة للوصول إلى الهدف، مع تجنّب التأخير والمماطلة والتعطيل والتسويف:

«لابد من العمل بحيث لو فتح شخص الرسالة العملية، لعلم سبب جباية الضرائب، وكيفية جبايتها، وماذا سيحدث إذا لم تجب هذه الضرائب، فلابد من استنباط ذلك من الإسلام، وعليكم أن تقوموا بذلك وأمامكم خمسون سنة من الزمن لإنجاز هذه المهمة، وهي مدة كافية جداً، إلا أنكم إذا لم تتقدموا الخطوة الأولى فلن تصلوا الخطوة الخمسين.

إننا حالياً ندير الحكومة والبلاد، إلا أنّ إدارتنا مصحوبة بانعدام الخبرة والتجربة، وعدم معرفة الإسلام في كثير من الموارد، ولكن هذا المقدار القليل قد أحدث ضجّة في العالم، وأرعب القوى العظمى منّا، فكيف يكون الأمر لو أردنا الاستفادة منها بشكل صحيح وكامل.

إنّ المستقبل بيدكم أيها الشباب، وستحدث آراؤكم الفقهية ثورة ونقلة نوعية في المجتمع، فلو لم نكن في هذا اليوم لما كنتم في الغد، فهذه هي الخطوة الأولى التي عليكم أن تبادروا إلى وضعها، كي تضع الأجيال القادمة الخطوات اللاحقة»[١].

٢ـ الجرأة الفقهية:

إنّ القفزة في الفقه تحتاج إلى شجاعة وجرأة من قِبَل الفقهاء والباحثين في مجال الفقه، تؤهّلهم للخروج من طوق الاحتياطات الفردية، برؤية منفتحة في عملية استنباط الأحكام الشرعية، حتى ولو على خلاف المشهور، والتقليد الفقهي الشائع.

إنّ التفقّه الشيعي المعاصر بحاجة إلى الشجاعة أكثر منه إلى أعمال الاحتياطات، وعليه لابد من بثّ روح الجرأة والشجاعة في الفقهاء؛ ليخوضوا غمار المسائل المستحدثة والإبتلائية بقوة قلب واطمئنان أكبر.

إنّ من نتائج روح الشجاعة في الحوزة كسر اسطورة تقديس آراء الفقهاء الكبار، وهذا طبعاً مع الحفاظ على حرمتهم ومكانتهم، فلا ينبغي للفقيه الفاضل أن يقع في أسر آراء وفتاوى المتقدمين من الفقهاء، بحيث يمتنع عن إبداء كل ما يخالف فتاواهم، ويرى نفسه مقيّداً بالابتداء منهم والانتهاء إليهم.

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧١/١/٢١هـ ش.

هذا، وعلى الحوزة أن يتّسع صدرها لمثل هذه الشجاعة، فلا تقلق عند سماعها بالأساليب والآراء الجديدة، ولا تقف حجر عثرة في طرق المجددين، ولا تنال من مكانتهم المعنوية في الحوزة، بل وعليها تمهيد الأرضية لتقبّل الآراء الفقهية الجديدة، وأن تفتح المجال لذوي الآراء الحديثة لبيان آرائهم:

«من الضروري فتح آفاق جديدة فيما يتعلق بالتفقّه، إذ ليس هناك ما يبرر عجز فقهائنا العظام والمحققين عن عمل شيءٍ في هذا المجال، فإن فقهاءنا المعاصرين أو القريبين من عصرنا ليسوا بأقل من أسلافهم بلحاظ القوة العلمية وبُعد النظر، سوى أنهم تعوزهم هذه الإرادة والجرأة والشجاعة التي لابد من ظهورها في الحوزة العلمية.

ولا يعني ذلك أن تقبل الحوزة كل صوت أياً كان مصدره، وفي الوقت نفسه لا ينبغي إنكار الآراء الجديدة إذا كانت ضمن الأطر المحددة والمقبولة»[1].

لقد بادر سماحة القائد إلى التأكيد على إيجاد روح الشجاعة الفقهية، وطالب الفقهاء والفضلاء بإيجاد هذه الروح في أنفسهم، وأن يصدعوا بالأفكار والرؤى الجديدة، لعلّها تسلك سبل الكمال، وتنكشف دعائمها المتينة، وتتغربل أركانها الهشّة؛ مما يعد خطوة نحو تكامل الفقه والآراء الفقهية:

«تكلموا بجرأة؛ لأن كلامكم ليس كتاباً فتوائياً، وعرض الأفكار بهذه الصورة لا يُعدّ رأياً فقهياً للشخص، فلا بأس باستعراض الرؤى في هذا المؤتمر، حتى وإن لم تَحظَ بقبول ذهنية الحوزة بلحاظ الأفكار العامّة

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

والمعاصرة، بل حتى وإن رُفضت في المستقبل، إذ إنّ استعراضها يفتح الباب أمام تلاقح الآراء والأفكار»[1].

٣ـ إبداع الأساليب الجديدة:

يجب أن تصبّ الجهود الفقهية في تجديد النظر في الأساليب الفقهية المتداولة، فإنها برغم إتقانها ورسوخها قابلة للتكامل، فمن خلال دراسة في تاريخ العلوم يتضح أنّ التكامل النوعي الحاصل في العلوم إنما كان في ظلّ تجديد النظر في أساليبها، وعليه فإن التكامل في علم الفقه رهن بتجديد النظر في أساليبه.

فلابد من تحشيد الهمم، والعثور على منافذ جديدة نحو الميادين الفقهية، وإلا ضاعت الفرص في محاولة فتح أبواب مقفلة أكلها الصدأ دون جدوى.

إذاً يجب إعادة النظر في أُسلوب معرفة التفقّه، وتوسيع دائرته والإضافة إليه وتنويعه، وبذل الجهد في استقراره واستحكام أدواته.

وهذا بدوره أيضاً بحاجة إلى الشجاعة والجرأة التي تقدّم ذكرها، ولربما الحاجة إلى الشجاعة هنا بدرجة أكبر؛ لعدم تعلّقه بمسألة فقهية واحدة، وإنما قد يحدث انقلاباً في ظاهر التفقّه.

مضافاً إلى أنّ إبداع الأساليب الجديدة رهن بكفاءات المكتشفين والمخترعين، ولكن لا ينبغي علينا القول: أنّ جوهرة الاكتشاف والإبداع مفقودة في الجيل المعاصر، بل إنّ هذا الجيل الحوزوي لا زال قادراً على إبراز الديمةّ الهَطْلاءُ في سماء التفقّه:

«ما هو السبب الذي يمنع فضلاءنا ومحققينا عن إضافة أساليب جديدة أو تكميل السابق منها؟ فقد تنسخ بعض المسائل أُخرى، وتغيّر كثيراً من النتائج

---

(١) كلمة في أعضاء مؤتمر تبيين المباني الفقهية للإمام الخميني ﷺ بتاريخ ١٣٧٤/١٢/٧هـ.ش.

والأساليب، وإذا تغيرت الأساليب تغيّرت أجوبة المسائل، واتخذ الفقه شكلاً آخر»[1].

٤ ـ السعي في آفاق جديدة:

لا ينبغي أن يكون التكامل الفقهي مختصّاً بجهة دون أُخرى، فيتم التدقيق في جانب بينما يبقى الجانب الآخر متروكاً ضعيفاً.

فلا بد أن يتجه التخطيط لتكامل الفقه نحو آفاق جديدة، وعلى الفقيه أن يبحث في المناطق غير المكشوفة، لينقب فيها فقهياً، ويستخرج اللآلئ والدرر.

إنّ السباحة في السواحل الهادئة وإن كانت أمينة ومضمونة، إلا أنها لا تعدّ منعطفاً في الحياة الفردية والعلمية، إذ لا تعدو أن تكون تكراراً لسابقاتها دون أن تقدّم أو تؤخّر.

إنّ بلوغ هذه الروحية هو من الأمور التي يتعين على المنهج الفقهي في الحوزة أن يهتمّ بها، وأن يقوم بدعم أُولئك الذين يجازفون بأنفسهم في أودية التحقيق والتتبع في تلك المجالات، ويزوّدهم بالأدوات العلمية اللازمة.

هذا وعلى الفقيه أن يدرك أنّ التكامل الفقهي رهن بعمله الحالي، أما العمل في الميادين المطروقة فإنه يرفع من الحجم الكمّي فقط، دون أن يؤدي إلى التكامل الكيفي في الفقه، وأنّ العمل في الميادين الجديدة يمكنه أن يفتح فصلاً جديداً في تاريخ التفقّه، ويبشّر بمستقبل زاهر:

«على المحقق المعاصر أن لا يكتفي بالمواضيع التي أشبعها الشيخ الأنصاري رحمه الله مثلاً بالبحث والتنقيب، بل عليه أن يكتشف آفاقاً جديدة، وهو ما

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

حصل سابقاً، حيث إنّ الشيخ الأنصاري ابتكر «الحكومة»[1] بين الدليلين، ثم جاء المتأخرون وعمّقوها ووسّعوها ودققوا فيها، فلابد من فتح آفاق جديدة في التفقه. فليس هناك مقتضي بأن يتقاعس المحققون والفقهاء الكبار عن البحث في هكذا مطالب»[2].

٥ ـ خلق الأجواء المناسبة للتحقيق واستعراض الآراء الفقهية:

إنّ السعي في الميادين الفقهية الجديدة بحاجة إلى أرضية وأجواء مناسبة، فلابد من تقريب هذه الأُمنية من الواقع من خلال المقترحات البنّاءة.

وقد أبدى سماحة القائد اقتراحات متعدّدة، نشير فيما يأتي إلى الأهم منها:

أ ـ كتابة الأطروحة لإجازة الاجتهاد:

تقدّم أنّ إجازة الاجتهاد كانت حتى عهود قريبة من عصرنا تعد من الوثائق والشهادات العلمية المتداولة في الفقه، وقد نسخت لأسباب مختلفة، وقد اقترح سماحة القائد إحياء هذه السنّة من جديد بقوله:

«من المستحسن جداً أن تُحيى إجازة الاجتهاد في الحوزات؛ وذلك بأن يبادر الطالب الفاضل بعد أن يشعر في نفسه ملكة الاجتهاد والقدرة على الاستنباط إلى مطالبة أُستاذه بتحديد مسألة مهمة من المسائل الجديدة وغير المبحوثة، فيقوم بالبحث حولها وإعداد كرّاسة فيها كهذه الكرّاسات التي يكتب فيها الجامعيون اطُروحاتهم.

---

(١) مصطلح أُصولي معناه أن يكون هناك دليل شرعي ناظراً إلى دليل آخر وشارحاً ومفسراً لمضمونه فيسمى الدليل الناظر حاكماً والآخر محكوماً، ينظر اصطلاحات الأُصول ص ١٢٦.

(٢) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

وقد اقترحنا هذا الشيء على الأخوة الذين يتولّون إدارة الحوزة العلمية في قم، على أن يقوم الطلاب بكتابة أُطروحة في مرحلة من مراحلهم الدراسية، وأقول هنا: لتكن اطروحة لنَيْل الاجتهاد، بأن يُعطى الطالب موضوعاً ليبحث فيه، وقد يجتمع طالبان أو ثلاثة للبحث في مسألة بإشراف أُستاذ، الأمر الذي سيؤدي إلى كتابة آلاف الاطُروحات الفقهية الممتعة وغير المبحوثة في ظرف مدّة قصيرة، وسيؤدي ذلك إلى فتح الأبواب أمامنا»[1].

وحتى يتمكن المخططون في الحوزة من تنفيذ إرشادات سماحة القائد فعليهم الإلتفات إلى ما يلي:

أولاً: استقراء المعضلات الفقهية في النظام والمجتمع، من خلال الارتباط الناشط مع مختلف المؤسسات ذات الخبرة التنفيذية في النظام ليتم إعداد فهرست جامع وكامل بالمسائل الإبتلائية.

ثانياً: دعم المحقق من قِبَل الحوزة بعد اختيار الموضوع، وتزويده بالمعلومات اللازمة.

ثالثاً: انتخاب هيئة استشارية فيما يتعلق بموضوع البحث والتحقيق، وكذلك انتخاب أساتذة موجّهين ومرشدين؛ كي يتم وضع المحقق على الطريق الصحيح والمتقن وصولاً إلى نتائج تحقيقية متقنة.

رابعاً: تقديم خلاصة فقهية لكل تحقيق، ليقف عليها سائر المحققين، والمعنيون بالشؤون الفقهية، لينتفعوا منها، أو يُشكلوا عليها عند الضرورة، فيتم إشباعها بالنقد والجدل.

خامساً: نشر كل واحدة من الدراسات البارزة والقيّمة من هذه التحقيقات الفقهية في كتاب مستقل، ليقع نافعاً في مجال التأمّل الفقهي، ويعد خطوة نحو التكامل.

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

ب ـ المنابر الفقهية الحرّة:

يعد افتتاح مجامع البحث الفقهي الحُر أرضية مساعدة لتطوير التحقيقات الجديدة في أودية الفقه؛ لما فيه من إعطاء المحققين فرصة لتقديم نتائج مطالعاتهم ودراساتهم، للوصول إلى نقاط أوضح من خلال المباحثات وعمليات النقض والإبرام:

«خامساً: إقامة منتديات مفتوحة لتنمية الأفكار، فهذه من الأمور التي ستؤدي إلى إنعاش الحوزة، من قبيل تأسيس مجمع للدراسات الفقهية الحديثة، ويكون مؤلّفاً من مجموعة من الفضلاء، فيكون لهم مركز، ويعقدون الاجتماعات، ويتم طرح المباني الفقهية، ليأتي من يستعرض فكرة جديدة بشأن المسألة الفقهية الكذائية من أي باب فقهي كانت، ابتداءً من الطهارة إلى الديات، ومهما كانت صغيرة أو كبيرة، ثم يتم التداول بشأنها.

فإن وُجدت دعائمها متينة، ومستندة إلى البحث والاستدلال العلمي أُدرجت في الفهرست حتى لو كانت غير صحيحة، وانتظرت دورها ليأتي صاحبها ويشرح تلك المسألة بشكل مباشر أمام هيئة علمائية يتم الإعلان عنها فيما بعد، ويكون هناك من يُشكل عليه.

وقد يكون في ذلك الاجتماع من هو أفضل منه، وفي ذلك بعض المحاسن إذ يساعد على تلاقح الأفكار»[1].

ج ـ الصحف الفقهية:

تعد الصحف والمجلات الفقهية مجالاً مناسباً لنشر الأبحاث الفقهية الجديدة، وطرح انتقادات القراء وإشكالاتهم، مما يساعد على تكامل البحوث

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

وتحسينها. إذ أن نشر البحوث الفقهية للعلماء والمحققين يعد بمثابة درس مكتوب من دروس (البحث الخارج) التي لا تخص فئة معينة؛ بل ينتفع بها جمع كبير من القراء؛ مما يفتح المجال أمامهم للاطلاع على هذه البحوث، ونقدها وطرح الاشكالات عليها:

«نحن بحاجة إلى مجلة فقهية، فإنّ فائدتها ليست بأقل من الدرس في تقدّم الفقه الإسلامي»[1].

٦ ـ تركيب الإبداع مع التقليد بأسلوب التفقّه

على التخطيط الحوزوي للفقه أن يفتح مجالاً للإبداع، ويفتح له أحضانه بسعة صدر علمية:

«لابد من وجود روح التتبع العلمي والفقهي في الحوزات. وقد لا تتهيّأ من المواد بمقدار الفتوى، فلا بأس في ذلك، ولكن لابد من وجود البحث العلمي، إنني أرى أحياناً بعض الأشخاص يأتون بشيء جديد في بحث فقهي، فيتعرضون للهجوم من جميع الجهات، في حين يجب أن تكون الحوزة قادرة على تحمّل الكلمات الجديدة، وإن لم تؤدِّ إلى افتاء الفقيه على طبقها، فلربما أضاف إليها شخص آخر شيئاً وأمكن الافتاء على ضوئها»[2].

لا ينبغي أن تكون حركة الفقه الإبداعية بلا تدبّر، أو دون تعبّد بالأساليب الفقهية والاجتهادية، والخروج عن النصوص والظواهر، واللجوء إلى القياس والاستحسان والتأويل الشخصي، والإفتاء على طبق ذلك، واعتبار المسألة منتهية لدى مواجهة أول سند، معتبراً وصوله إلى الحكم الشرعي، ويصدع به على الملأ.

---

(١) كلمة في أساتذة وعلماء الحوزة العلمية في المدرسة الفيضية بقم، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

(٢) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٣/٦/٢١هـ ش.

فعلى الحركة الفقهية الإبداعية أن تبقى وفيّة للأساليب الفقهية ولا تتعجّل الأحكام، وعليها أن ترى التتبع الكافي والشامل ضرورياً، وأن تعدد مواطن الضعف في الاستدلال وتُعد الأجوبة المنطقية لها، وأن توسّع من أجواء الاستشارة العلمية في وقت التحقيق، وأن تستفيد من علم الفقهاء في مسيرة التحقيق، وأن تقوم على دعم إطار العمل ليغدو مؤثراً.

قال سماحة القائد في بيان منزلة الإمام الراحل رحمه الله الفقهية:

«إنّ الجمود على الظواهر هو مبنانا الفقهي، فلا نلجأ إلى القياس والاستحسان والتصورات الاعتبارية، بل ننظر إلى لسان الروايات، ونحدد رابطتها على أساس الظواهر، وترجيح الظهور، وقد كان سماحته متقيّداً بذلك ولا توجد حالة تَجاوَز فيها ذلك.

فكان سماحته تابعاً لأسلوب التفقّه المعقول، أي التعبّد بالظواهر، وعدم الاستناد إلى تصوراته السابقة، ومبانيه الفكرية في سبيل ما نسمّيه بأسلوب أو منهج التفقّه. إلاّ أنه في الوقت نفسه قد صدع بكل هذه الإبداعات في باب المسائل الفقهية»[1].



(١) كلمة في أعضاء مؤتمر تبيين المباني الفقهية عند الإمام الخميني قدس سره بتاريخ ١٣٧٤/١٢/٧هـ.ش.

المقالة الثانية

المعارف والكلام

- ❖ مواكبة العصر
- ❖ المعارف والكلام في الحوزة
- ❖ الشبهات العقائدية الجديدة
- ❖ إحياء المعارف والكلام في الحوزة

إنّ صيانة الهوية الاعتقادية للمجتمع الإسلامي من أهم أهداف الحوزات الشيعية، وربما أمكن القول: إنّ أُولى براعم الحوزات الشيعية قد انبثقت من المسائل والبحوث الكلامية، حيث كان تلامذة الأئمة عليهم السلام كهشام بن الحكم، ومؤمن الطاق وغيرهما في مقدمة الذين حملوا راية الحوزات الشيعية في علم الكلام.

كما كان فقهاء الشيعة في بداية عصر الغيبة يعرفون بوصفهم حماة العقائد الشيعية، فلم تكن عبقريتهم الكلامية بأقل من عبقريتهم الفقهية، من أمثال: النوبختي، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي وغيرهم.

مواكبة العصر

لم تكتف الحوزات الشيعية بالاضطلاع بمسؤولية العقائد، وإنما كانت تسارع في التعرّف على الشبهات، وتبادر إلى نقدها وتفنيدها.

لم يكن متكلمو الشيعة متخلّفين عن عصرهم، بل كانوا يواكبون الشبهات التي تثار في عهدهم، ويسارعون إلى صدّ الهجمات، وإنّ المؤلّفات الكلامية لأمثال الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي وعبد الجليل الرازي، شاهدة على صدق هذا المدّعى:

«لم تكن الحوزة في السابق متأخرة عن زمانها، بل كانت متقدمة عليه، وهذا ما يثبته حجم التراث العلمي والفقهي والكلامي الذي تركوه لأبناء عصرهم، فقد أنجز أولئك القلائل من العلماء من الأمور العظيمة، بحيث لو عرض سؤال فقهي أو كلامي لبضعة أشخاص من الشيعة في نيشابور أو بلخ أو

هرات أو طوس، كان الشيخ المفيد[1] يبادر إلى الإجابة وهو في بغداد البعيدة جداً عن تلك المناطق، وهذا يعني عدم تأخره عن زمانه.

ولو تلفّظ «محمد بن زكريا الرازي» ببضع كلمات إلحادية، لتصدى له «السيد المرتضى»[2] بالردّ عليه في كتاب.

ولو قام ناصبي بتأليف كتاب يسخر فيه من الحقائق الشيعية، سارع «عبد الجليل الرازي القزويني» إلى الردّ عليه في كتاب «النقض».

فلم يكن علماء الشيعة ليتركوا المعاندين وأصحاب الشبهات الفقهية والعقائدية على الخصوص تأخذ طريقها دون الوقوف أمامها، وردّها بقوة ومتانة علمية»[3].

واستمرت هذه الطريقة على مدى قرون كان فيها علماء الدين حماة العقيدة، وكانت العلوم الدينية سائدة في الحوزات سيادة كاملة، وكانت

(١) أبو عبد الله محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) ويلقب بابن المعلم من كبار فقهاء ومتكلمي الشيعة خاطبه الإمام الحجة ﷺ بـ (الأخ السديد) و(الداعي إلى الحق) تولى الرئاسة العلمية في بغداد من اساتذته الشيخ الصدوق وابن الجنيد الاسكافي ومن تلامذته الشيخ الطوسي والشريفين الرضي والمرتضى لـه ما يقارب من ٢٠٠ مصنف في مختلف العلوم منها المقنعة، أوائل المقالات، الإرشاد، الأمالي.

(٢) وهو الشريف علي بن أبي أحمد الحسين نقيب الطالبيين (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ) ولد في بغداد ودرس فيها على يد ثلة من العلماء من بينهم الشيخ المفيد ـ تصدى للزعامة الدينية بعد وفاة استاذة برع في الكثير من العلوم والفنون كالفقه والأصول والأدب والشعر والكلام واللغة وغيرها. درس على يده مجموعة كبيرة من الفطاحل منهم الشيخ الطوسي وأبو الصلاح الحلبي والقاضي ابن براج وغيرهم كثير. لـه أكثر من مائة وعشرين مصنفاً في مختلف العلوم منها الشافي في الإمامة وهو مناقشة للقاضي عبد الجبار المعتزلي وجمل العلم والعمل، الذخيرة في علم الكلام، الذريعة إلى أُصول الشريعة. توفي في بغداد ثم دفن بكربلاء.

(٣) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

الحساسية حاكمة تجاه الكتب العقائدية، الموافق منها والمخالف، ولـم تكـن مؤلفات المخالفين تترك دونما جواب من قِبَل علماء الشيعة، وكـان الوضـع على هذه الحالة حتى فترة قريبة من عصرنا:

«وقد استمر ذلك حتى الفترة الأخيرة، فقد ظهر في الهند من ألّـف كتـاب «التحفة الإثنا عشرية» في ذم الشيعة ومدح أهل البيت(عليهم السلام)، فقام السـيد حامـد حسين، بتأليف كتاب «العبقات» وهو كتاب عظيم في ردّه، وقد رأيت فهرسـة بكتب علماء الشيعة من الهند، فوجدت عشرة ردود أو أكثر على كتاب «التحفة الإثنا عشرية» وبعضها لعلماء من الطراز الأول.

وعليه لم تكن الحوزات العلمية متخلّفة في عصرها، فكان يظهر من يكتب شيئاً في نسخة خطّية، ثم يتم نسخها، ويقوم آخر بتوزيع النسخ، ليقرأها آخـر، حتى لم يطلع على ذلك سوى أربعة أشخاص طوال الزمن، فكان العالم الشيعي يأخذ المسألة ويجيب عليها بنفس الطريقة، بل وأسـرع منهـا وأفـضل دون أن يتخلف عنها»[1].

المعارف والكلام في الحوزة

تقدّم أنّ الحوزات الشيعية كانت مشهورة بصيانة العقائد الدينية، وقد برز فيها على الدوام شخصيات كبيرة في هذا المجال:

«لقد كانت حوزات أهل البيت العلمية حوزات كلامية بالدرجـة الأولـى، وقد جاء دور الفقه بالدرجة الثانية، وقد كان فقهاؤنا هم المتكلمون»[2].

إلاّ أنّ هذه الطريقة لم يكتب لها الدوام للأسف الشديد، وحيث فقد علم العقائد والكلام دوره المحوري في الحـوزات خـصوصاً فـي القـرن الأخيـر، وصار مثل التفسير والحديث من الدروس الهامشية؛ مما أدى بنتاج الحـوزات

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الدينية والذي يشكّل غالبيته الفقهاء أو طلاب الفقه، الى الابتعاد عن علم العقائد والكلام، مكتفين من ذلك بقراءة أمور في «شرح الباب الحادي عشر» أو «كشف المراد».

وقد كان في انفصال الحوزة والتفقّه عن المسائل العقائدية والكلامية خسارة كبيرة للحوزة والمجتمع، حيث توقف علم الكلام عن التقدم وبقي على ما كان عليه في القرون الماضية، ولم يفتح آفاقاً جديدة، ولم يتعقب الشبهات المستحدثة،هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أدى تنصّل الحوزة عن واجبها في حفظ العقائد الدينية إلى أن يتبنّى هذا الدور أناس يجهلون الأساليب الفاعلة وتعوزهم الخبرة في مجال التفقّه، واستحصال المعارف من النصوص الدينية، فنتج عن ذلك فهم سيّئ واعوجاج فكري وانحراف عقائدي، مما أدى إلى فصل أجيال ـ كان يمكنها أن تكون في خدمة الأهداف الإسلامية ـ عن المجتمع الديني، سالكة طريق الضلالة:

«إنّ بذور الأفكار اللقيطة والتبعية للمدارس الفكرية الخاطئة والسطحية، إنما نمت في مجتمعنا بعد أن أصبحت أصول الدين والمعارف الإسلامية بيد غير الفقهاء، أي أن الفقهاء عندما كانوا في تلك الفترة يدرسون المعارف الإسلامية، سمحوا لغيرهم بالدخول في هذا المجال وطرح هذه الأفكار الغربية؛ لكن الحق والإنصاف أن الفقهاء عندما ظهرت هذه الأفكار والرؤى الفلسفية الجديدة لم يبذلوا الجهد الكافي لمواجهتها وتضعيفها وتقليل تأثيرها بالاستدلال والبحث والنقد وطرح الاشكالات عليها. فلم يبلغ الكلام ما بلغه الفقه من الانتعاش والتقدم، فقام غيرهم بتفسير القرآن والتأليف في التوحيد والمعاد!

وعلى حد تعبير الشهيد المطهري، فإن التوحيد الذي يستند الى استدلال ساذج سطحي، لا يعبر عن التوحيد الإسلامي، ولا يرسخ في القلب؛ بل سيعبر عن المادية التاريخية تحت عنوان معرفة الله»[1].

الشبهات العقائدية الجديدة

إنّ أمواج الشبهات لم تتوقف عن هديرها بركود الفلسفة والكلام في الحوزات الدينية، بل وزادت عما كانت عليه، وألقت بثقلها على المجتمع الديني، وقد جرفت هذه الأمواج كثيراً من المعتقدات، وأودت بكثير من الطاقات سالكة بها إلى أودية الضلال والانحراف.

إنّ شدّة هذه الأمواج تتضاعف مع الأيام، لتضعضع أركان العقيدة، وتترك الأجيال في حيرتها تائهة، وتشيع السفاسف، وتنشر مرض انعدام الثقة وعدم الإيمان، وتصبغ كل شيء بلون السواد والظلمة ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ**﴾[2].

«أعزّتي، هناك حالياً شبهات جديدة وخطيرة، فقد نسخت الشبهات القديمة من أمثال شبهة «ابن كمونة»[3]**، وحلّت محلها شبهات أشد خطراً ابتداءاً من أصل التوحيد وضرورة الدين، إلى إثبات الصانع والنبوة العامة والخاصة، ومسألة الولاية، والمسائل المختلفة والموجودة في الدين الإسلامي»**[4].

---

(١) كلمة في مراسم تعميم جمع من طلاب مدرسة الشهيد مطهري العليا، بتاريخ ١٣٦٤/٩/٩هـ ش.

(٢) سورة النور: الآية ٤٠.

(٣) ابن كمونة: عز الدولة سعد بن منصور كان يهودياً وألف كتاباً اسماه (تنقيح الأبحاث عن الملل الثلاث) أبطل فيه الدين الإسلامي والمسيحي وصحح اليهودية.

وقد اشتهر بشبهته العقائدية حول وحدة واجب الوجود وادّعى إمكان تعدده فاشتهرت تلك الشبهة باسمه وردّ عليه الكثير من المتكلمين. وإن كان صاحب الأسفار قد نسب الشبهة إلى ما قبل ابن كمونة هذا.

(٤) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتأريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

لا يمكن الاكتفاء في مواجهة الشبهات بالأجوبة القديمة واعتبارها فصل الخطاب، بل لابد من دراسة الأفكار الجديدة، ومواجهتها بأسلحة ومعدات جديدة:

«إنّ طريقة نشر الدين بين الناس وجيل الشباب تختلف اختلافاً كلياً عن أُسلوب القرن الماضي، فحالياً لو وضعتم أمام الشاب الأدلة التي كانت تساق آنذاك لما أقنعته؛ وذلك لوجود شبهات وأفكار جديدة، وعلى مَنْ يريد صيانة الإسلام أن يلجأ إلى أفكار جديدة، وأن يتزوّد بالمؤهّلات اللازمة لردّ الشبهات.

كما أنّ هناك الكثير من المسائل التي كنا نتصور أننا قد احتويناها وانتهينا منها، في حين أنها لم تنته بعد»[1].

وفي هذا الخضم يُعدّ جيل الشباب والمجتمع المفكر في بلادنا عرضة للوساوس المعاصرة أكثر من سواه، حيث يتم استهدافه عن طريق الكتب والصور والأفلام وسائر الأدوات المعاصرة والقديمة، وأنّ هؤلاء الشباب طبقاً لمقتضياتهم السنيّة يحاولون إشباع فضولهم، فينتقون من هذا الخوان مختلف ألوان الأطعمة والأشربة؛ كي يطفئوا عطشهم بما يتصورونه ماء الحياة، فلا يزدادون إلاّ عطشاً.

فهل هناك من ملجأ لهذا الجيل التائه والحائر والمضطرب، والذي تجول في ذهنه أسئلة وشبهات كثيرة؟ أفلا يجدر بحماة الدين أن يكونوا هم بارقة الأمل والملاذ، في جميع هذه الشبهات والوساوس؟

«إنّ الحاجة الثالثة لنشاطات الحوزة العلمية تخص المفكرين والشباب، إذ أن المفكرين والمثقفين ـ الذين يمثلون طبقة الشباب والمتعلمين ـ هم أول من

---

(١) كلمة في علماء الدين من السنة والشيعة، في مدينة تايباد وتربت جام وفريمان، بتأريخ ١٣٦٨/١/٤هـ.ش.

يتعرض للشبهات والأفكار الغربية. أما عامة الناس فإنهم لا يتعرضون للشبهات؛ لأنهم يعيشون حياتهم الاعتيادية بإيمانهم وتمسكهم بعقائدهم، في حين يواجه المثقفون العالم بأفكارهم ويتحدثون حول أصول الدين والإسلام ومعارفه وأصوله وفروعه وتاريخ الأديان ويطرحون الشبهات حولها باستمرار، مما يتطلب أفراداً يردون هذه الشبهات ويبطلونها، وإعداد مثل هؤلاء الأفراد يقع على عاتق الحوزات العلمية. وبالطبع يوجد من يقوم بهذه المهمة من خارج الحوزة، لكن الإنصاف أن الحوزات العلمية وعلماء الدين هم الأولى بالتصدي لهذه الشبهات وإبطالها»(1).

إنّ الحوزات الدينية لا تقوم بمسؤوليتها بشكل جادّ تجاه هذا الكم المتراكم من الحاجات العقائدية والكلامية.

فأولاً ـ كما تقدّمت الإشارة ـ: إنّ أصل علم الكلام يبدو ضعيفاً في الحوزات الدينية، حيث لا يمارسه سوى عدد قليل من طلبة الحوزة.

وثانياً: إنّ هذا المقدار من علم الكلام وهذا العدد من الطلاب، لا يزال يجترّ الأقوال القديمة من شبهات البراهمة وأمثال ابن كمونة، فهو عاجز عن استيعاب الشبهات الجديدة، ولا يعرف لغة التعامل معها، ولا يقابلها بأفق واسع، ولا يحاول التعرّف على النظريات والآراء الجديدة في الفلسفة والكلام.

إنّ هذه الأمور برغم مرارتها تعبّر عن واقع حوزتنا المعاصرة، وطبعاً هناك بعض الأفراد الذين ساروا باتجاه معاكس للحوزة وأخذوا يسبحون عكس التيار، وأوجدوا لأنفسهم بطرائف الحيل نافذة للتواصل الفكري، وواجهوا التيار الفكري المعاصر، ووساوسه الإلحادية، إلاّ أنهم من القلّة بحيث لا يمكن عدّهم شيئاً في الوسط الحوزوي، هذا من جهة.

---

(1) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتأريخ ١٣٧٤/٦/١٤هـ ش.

ومن جهة أخرى، فإن هؤلاء القلائل لم يكن للحوزة أثر في ظهورهم، بل إنهم سلكوا هذا الطريق مندفعين من رغبتهم الخاصة، وتحمّلوا الصعاب في ذلك، دون أن يتلقّوا أدنى دعم من النظام الحوزوي:

«لقد أصبح علم الكلام في حوزاتنا منسوخاً، في حين أننا نواجه أكثر الهجمات من الناحية الكلامية، وكما تقدّم أن ذكرت فإننا لم نكن متخلّفين في الماضي بل كان الجواب حاضراً لأي كلمة تصدر، إلاّ أنّ البحوث الكلامية حالياً في العالم من الكثرة بحيث لم تطلع الحوزة عليها، فنحن لا نعلم مقدار البحوث التي تتناول معرفة الدين وفلسفة الدين ومن الذي يكتبها أو يحقق فيها وهذا من العيوب الكبيرة.

وطبعاً هناك أفراد من المنتسبين إلى الحوزة قاموا بأعمال قيّمة، إلاّ أنه لم يتم ذلك وفق المنهج الحوزوي، إنصافاً والحق يقال: إنّ الحوزة لم تقدم عملاً في هذا المجال، وليس من الإنصاف مصادرة الأعمال الفردية لصالح الحوزة»[1].

إحياء المعارف والكلام في الحوزة

إنّ الحوزة مسؤولة تجاه التيار المناهض للدين، وأنّ الاكتفاء بإبداء الأسف لا يجدي في القضاء على المشكلة، كما أنّ التكفير واللعن لا يقضي على المعضلة، وإنما على الحوزة كما في السابق أن ترفع لواء الدعوة إلى الدين، وصيانة الأهداف الدينية، والثبات بوجه من يحارب الدين.

ولايتأتّى ذلك إلاّ بسعة التفكير، وعلوّ الهمة، والتخطيط المتقن والمدروس، وفيما يأتي جانب من الإرشادات اللازمة في هذا المجال:

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتأريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

١ـ عدم جدوى المنع:

إنّ العصر الراهن ليس عصر الحصار الثقافي والفكري؛ إذ لا يمكن حفر الخنادق أو بناء الأسوار، دون تغلغل الأفكار الغربية أو الدخيلة، فقد أخذت الأفكار حالياً تسبح مع الأمواج وتجتاز الحدود، وتملأ الأجواء وتتشبع بها حتى مجاري التنفس وتترسّب في أذهان الناس.

وفي ظل هذه الظروف لا يمكن اتخاذ موقف الآمر الناهي، وحل المشاكل بالطرد أو المنع، أو دفن الرؤوس في التراب، بتصور أنّ ما يحدث في الواقع الخارجي لا يعنينا، فإن أثر سياسة المنع هو الصمت مؤقتاً فقط، ولكن بعد مدة يستبدل الى صريخ عال ينتج منه حالة غير منضبطة من قصر لنظر والانحرافات.

والحل الوحيد هو الاعتماد على طاقاتنا الذاتية، فإن ثقافتنا الإسلامية الشيعية غنية وثرّة، ولا تخشى المواجهة، وقد أثبت علماء الدين وحماة الثقافة طوال التأريخ كفاءاتهم مراراً وتكراراً من خلال ردّ الشبهات بقوة المنطق وثبات الحجة:

«إنّ أفكار الفلاسفة والمفكرين الماديين في الغرب متوفرة في جامعاتنا على هيئة كتب ومؤلفات، إذ لا يمكن إقامة السدود دون دخولها، وليس هناك مصلحة في الحيلولة دون دخولها، وعليه لابد من إيجاد المضادات الحيوية للحيلولة دون تأثير الأفكار السامّة.

ألم يبذل الماركسيون قصارى جهودهم في هذا البلد، حيث لم يألوا جهداً في توزيع المنشورات، وعرض البحوث؟ فوقف علماء الدين بوجههم وأحبطوا مؤامراتهم وأحبطوا تأثير كلماتهم المزخرفة والمضلّلة والمخادعة للبسطاء، ومهما تكن الأفكار الجديدة فإنها لا ترقى إلى جاذبية الأفكار الشيوعية.

فعلينا إعداد المواضيع في ردّ الانحرافات والتحريفات الفكرية التي يتم توزيعها على شبابنا في الكتب والمنشورات، بل إنها تظهر أحياناً عن غير علم في المناهج الجامعية والحوارات التي يتم بثّها في وسائل إعلامنا»[1].

٢ـ معرفة الشبهات:

على الحوزات الدينية أن توفّر السبل المؤثرة والقوية للإطلاع على الشبهات الجديدة، وتتعرّف على مبادئها، وتفكر في نتائجها وآثارها وأضرارها، وفي ظل ذلك يغدو بإمكان الحوزة القيام برفع الشبهات، وأن تقدم أجوبة مناسبة عن الأسئلة الجديدة، وأن تغيّر من نظامها التعليمي والتحقيقي بتغيّر الأسئلة، وأن تعثر على أساليب حديثة للإجابة عن الأسئلة الجديدة، وهذا بحاجة إلى معلومات دقيقة ومتقنة.

فعلى الحوزة أن تفكر في ذلك بجديّة، وأن ترمّم قنواتها التي تزوّدها بالمعلومات:

«وهناك شبهات متنوّعة أخرى، من قبيل الشبهات التي تثار حول إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، والشبهات التي يثيرها الوهابيون حول العقائد الشيعية، والشبهات التي تستهدف ركن نظامنا الأساسي، أي ولاية الفقيه التي هي من الأمور العقائدية والاستدلالية، والشبهات المرتبطة بإثارة الشكوك في كفاءة الإسلام على إدارة الحياة، وهل الإسلام دين سياسة وحياة أم أنه دين ينضم علاقة الإنسان بربه فقط؟ هذه هي الشبهات المطروحة حالياً.

وكان يتم الانسياق وراء هذه الأفكار عن جهل، وأما حالياً فهناك أجهزة ترصد هذه الأفكار وتقوم على نشرها، وعليه لابد من البحث عن هذه الشبهات وتقييمها لمعرفة ما أُعدَّ منها اليوم للطرح على أذهان الشباب، والإجابة عنها

(١) كلمة في اجتماع أئمة الجمعة من كافة أنحاء البلاد، بتأريخ ١٣٧٠/٦/٢٥هـ ش.

واحدة واحدة في إطار البحوث الاعتقادية، وربما تغيّرت هذه الأسئلة والأجوبة من مدة إلى أخرى»[1].

٣ـ اتخاذ المواقف المناسبة:

ينبغي أن يكون اتخاذ المواقف في الدفاع عن رقعة الدين مناسباً وعاجلاً، فإن الحوزة في حصولها على المعلومات المتأخرة والتعامل المنطقي تواجه مشاكل جمّة.

إنّ الشبهات غالباً ما تصل الأجواء الحوزوية بعد مضي عقود بل أكثر، لتصبح حديث الساعة بعد فترة الركود والأفول، وهذا الشرخ الزماني يؤدي بالحوزة إلى الانقطاع عن التبادل الثقافي المتكافئ، ويجعلها متأخرة عن حركة الزمان الفكرية من جهة، ومن جهة أخرى يؤدي بها إلى التفكير في حل المعضلة بعد استفحالها وتأثيرها في أفكار المجتمع على نطاق واسع، وبعد أن تكون قد أودت بكثير من الطاقات والكنوز الفكرية في المجتمع الإسلامي:

«تطرح في زماننا الكثير من النظريات والأفكار والمدارس الفلسفية في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية، وبالإمكان الرد عليها مباشرة دون تأخير. فلا ينبغي الانتظار حتى يبادر شخص الى تأليف كتاب يترجم الى لغات أخرى، ويروجه آخرون، ثم يقرأه البعض فيقوموا بتدريسه وتعليمه، وبعد أن يترجم الى لغتنا يقع بعد فترة طويلة بيد رجل الدين، وعندها يفهم أن أحد العلماء أو المفكرين أو الفلاسفة والمتفلسفين الغربيين قد ألف كتاباً قبل عشر أو عشرين أو أربعين سنة يتعرض فيه لبعض

---

(١) كلمة في أساتذة إعدادية الشهيد مطهري للعلوم والمعارف الإسلامية، بتاريخ ١٣٦٨/١٢/٢٧هـ ش.

العقائد الإسلامية، فيحاول عندها أن يرد على هذا الكتاب فهل هذا يمثل النهج الصحيح لمواجهة هذه الأفكار؟»[1].

٤ ـ النقد المنطقي:

لا ينبغي للحوزة على مستوى الحوار والبحث أن تسلك منهج اللعن والتكفير، وإثارة العامة وهدر الدماء وهتك الأعراض والكرامات، فقد أدت هذه السياسة سواء عند النصارى أو عندنا أحياناً إلى نتائج معكوسة، فلم تؤدّ إلى تقويض دعائم العقائد المنحرفة، بل أعطتها قوة ودفعاً.

إنّ الأسلوب الوحيد في التعامل مع الأفكار هو مواجهتها بالعقل والمنطق، فلابد من طمر الأفكار الخاطئة بركام من الأجوبة والردود الشافية، وتركها مجهولة في مقابر الأوهام.

وإنّ اللعن والتكفير والمواجهة الانفعالية والعاطفية وإن كانت تبدو جذّابة في بعض الأحيان، إلاّ أنها لا تقضي على المشكلة، وعليه لابد من استيعاب الفكرة، ومواجهة الانحراف بلغة الدليل وأسلوب المنطق:

«فمن الذي يتكفّل الإجابة عن هذه الشبهات؟ أليس علماء الدين هم حماة العقيدة؟ وهل حدود العقيدة تبقى من دون حارس، ومن المسؤول أمام الله عن أيتام آل محمد العزّل أمام الهجمات؟

ونتيجة ذلك أنه إذا قام شخص وتجرّأ ساخراً من مجتمعنا بملء صوته، لا نردّ عليه ببرود وهدوء، بل ترانا نغضب ونزبد ونرعد، في حين لو كانت أفكارنا جاهزة لما كان هناك مبرر للضوضاء.

هناك من ينشر مقالة غير منطقية وغير مستدلة، أو تقوم على دليل خاطئ أو مغالطة، كقضية رسم صورة الأفعى بدلاً من كتابة اسمها، فيبادر عدد من

---

(١) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية بقم، بتاريخ ١٣٧٠/١٢/١هـ ش.

العلماء إلى الرد عليه في الحوزة العلمية بعشر مقالات أو مئة وتنشر في جميع الصحف والمجلات، وينتهي الأمر دون أن يكون هناك داع إلى الغضب.

أليس من دواعي الأسف أن تتهّم الحوزة وهذا الدين القائم على المنطق والاستدلال! بأنه لا يقوم على الدليل، وأنّ العلماء أناس عدائيون، بل ويضاف الى ذلك كذبة إننا من المكفّرين!

فمن الذي كفّرناه؟ وكم هم الكفّار الذين لم نكفرهم؟ في حين أنّ الحوزة اليوم لا تكفّر أحداً»[1].

٥ـ الوقاية من الشبهات:

على الحوزة أن تتكهّن بالشبهات المحتملة وتخطط لمقابلتها، وأن تأخذ الأيام المقبلة بنظر الاعتبار، وإلاّ لم تتمكن الحوزة من اتخاذ المواقف السريعة تجاه الأسئلة، فما أن تقوم بمعالجة شبهة وتطلع عليها إطلاعاً كافياً، تكون قد طرأت شبهات أُخرى جديدة، تحاصرها من كل الجوانب.

فعلى الحوزة أن تقف في القمة من جبل الثقافة العالمي، وأن تطلّ على جميع الطرق الأساسية والفرعية التي تنتهي إلى المستقبل، وأن تتكهّن بالمنافذ التي تنفذ الأسئلة منها إلى المجتمع، وأن تخطط لها بقوة وإتقان، وأن تهيّئ نفسها للأسئلة الجديدة وتبدي موقفها الراسخ:

«على الحوزة أن تكون في صلب الوقائع العلمية في العالم، فعليكم مثلاً أن تتعرفوا على الأفكار والنظريات الجديدة في علم الاجتماع، فتأخذوا ما هو مفيد منها، أما ما هو ضار فاتركوه وأعدوا له الدفاع المناسب لرده وإبطاله حتى تتمكنوا من تحصين أذهان الناس، قبل أن يتأثر بها البعض فيقبلوها ويؤيدوها،

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

وحينها ننتبه الى أن أحد الأشخاص طرح مثل هذه الأفكار وأنها أفكار خاطئة للأسباب والأدلة التالية، ولا يوجد سبيل لعلاجها!!»[1].

٦ـ إشاعة تدريس المعارف والعقائد:

لم يكن تدريس العقائد وتعليمها متعارفاً في الحوزات الدينية، وكان أساتذة هذا العلم معدودين، وطلابه قلّة:

«تعلمون جيداً، أن حوزاتنا العلمية كانت تفتقر الى مدرسين في الجانب العقائدي، إذ لم يكن فيها عدد كبير من الأساتذة الكبار والمتنوعين في هذا المجال، حتى أن حوزة مشهد لم يكن فيها سوى درس واحد»[2] [3].

إنّ اضطلاع الحوزة بمسؤوليتها تجاه العقائد والكلام، هي بإعداد المدرسين وإشاعة تدريس المعارف والعقيدة، فلا يسعنا أن نأمل من الحوزة أن تكون حامية للعقيدة وصائنة للمعتقد، إذا لم تنظر إلى علم الكلام بوصفه من الدروس الأساسية، فهذا إنّما يتمّ في ظل الالتفات إلى النقاط المتقدمة والآتية، وجعل العقائد من الدروس الأصلية والدائمة، التي يتم تدريسها على يد أساتذة كبار قد صقلتهم التجربة وحنكتهم الممارسة.

٧ـ تأسيس فرع الكلام:

إنّ دروس العقائد في الحوزة قد توقّفت على مستوى المطالعات الهامشية في أوقات الفراغ وعلى عدد من الطلاب، ولو استمر الأمر على هذه الحالة فسوف ينعدم الأمل بانتعاش الكلام في الحوزة، فعلى ذوي الطاقات

(١) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية بقم، بتأريخ ١٣٧٠/٢/١هـ ش.

(٢) بالطبع فإن القائد دام ظله يقصد العقود الأخيرة من عمر الحوزة ولذا تجد في ما تقدم من كلماته إشارات واضحة إلى كون علماء الحوزة سابقاً متكلمون قبل أي شيء كالمرتضى والمفيد والطوسي وغيرهم.

(٣) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٦/١/٥هـ ش.

والراغبين أن يعقدوا العزم على السير في هذا المجال بما أُوتوا من قوة الحصول على المعلومات وإبداع الأفكار وردّ الشبهات العقائدية والكلامية:

«سابعاً: تأسيس فرع مستقل لعلم الكلام، فكما أنّ الفقه فرع أساسي في الحوزة العلمية، فكذلك ينبغي أن يكون شأن الكلام، ولا يجدر الاكتفاء ببضع ساعات لتدريس علم الكلام، بل لابد للطالب أن يدرس المقدمات؛ حتى يكون مستعّداً لاختيار الفقه أو الكلام بوصفهما من الفروع الأصلية في الحوزة، ولابد أن يكون لدينا مجتهد في علم الكلام»[1].

على النظام التعليمي أن يسلك سبيلاً يمكنه بعد دورة محدودة من تخريج مئات المتخصصين والمجتهدين في علم الكلام، وأن يزوّدهم بالإمكانات وأن يدعمهم بما يؤهّلهم في اختصاصهم:

«لو ألقيتم نظرة على العقدين السابقين أو العقود الأربعة السابقة، لرأيتم أنّ ألف فقيه بارز يمكنهم تغطية العالم الإسلامي فقهياً، وألف متكلم مجتهد في الكلام يمكنه تلبية مطالب العالم الإسلامي، إنّ العدد ليس قليلاً فهناك راغبون وتائقون.

فعليكم أن تعثروا عليهم، وأن تقيموا لهم دروساً خاصة، وإذا مسّت الحاجة فليذهبوا إلى دورات في الخارج، وليحصلوا على منحة جامعية»[2].

٨ ـ إبداع الفكر:

لا ينبغي الاكتفاء في التخطيط لرفع مستوى البحوث الكلامية في الحوزة بنشر بضعة كتب ورسالات، فإن هذا وإن كان مفيداً إلا أنه ليس تمام الكلام، فلابد من السير نحو هدف أسمى وأُفق أوسع، ولابد للحوزة أن تكون منتجة للأفكار الجديدة وفاتحة للآفاق المتقدمة والآراء المبتكرة.

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

إنّ العقائد والكلام يلتقيان في اللانهاية، وعليه ليس هناك نقطة انتهاء للبحث العلمي والعقلي فيهما، وأنّ أي نقطة يتمّ اكتشافها تكون مقدمة لمئات الآفاق المجهولة، وستبقى هذه السلسلة ممتدّة بامتداد الإنسان على هذه الكرة الأرضية.

ومع هذه الحال كيف يمكن الاكتفاء بهذا المقدار من المعلومات الكلامية المتاحة، واعتبارها فصل الخطاب، فلا يحدث أي تقدّم، سوى التغيير في العبارات من خلال تقطيعها وتلفيقها؟

«إذا تحدّثنا حول علم الكلام فلا ينبغي للذهن أن ينصرف إلى تأليف أربعة كتب كلامية، فلا يقتصر عمل الحوزة على النشر، وإنما هي مصنع لإنتاج الأفكار المتكاملة، وإذا ارتفع مستوى الإنتاج، يصل الدور إلى النشر بالدرجة الثانية.

ولا يذهبنّ التصور بنا إلى أننا سنملأ الفراغ بتأليف عشر مجلدات حول مسألة معيّنة، بل على الحوزة أن تأتي بأفكار جديدة على المستوى الكلامي»[1].

٩ـ عرض الأفكار الكلامية:

إنّ إنتاج الأفكار الكلامية الجديدة في الحوزة، ونقد الشبهات وردّها في الوقت المناسب وانتعاش علم الكلام في الحوزة وما إلى ذلك، رهن بتوفير الأرضية اللازمة لإنتاج الأفكار الكلامية، وانتقال الآراء والأفكار.

إنّ مسالك الإنتاج في الجهود الإبداعية لا تؤدي لوحدها إلى انتعاش ذلك العلم أو تلك الصنعة، بل إنّ جزءاً هاماً في ذلك يعود إلى القنوات الخروجية المساعدة لمنتجات ذلك العلم وتلك الصناعة، فلابد من الالتفات إلى ذلك في بداية عملية التخطيط كما يلتفت إلى المسالك والقنوات الابتدائية.

---

(١) المصدر السابق.

وهذا الكلام ينطبق أيضاً على مسألة انتعاش علم الكلام، فإن مجرد تأسيس فروع دراسية للكلام، وإعداد الأساتذة وإشاعة الدروس الكلامية في الحوزة، وتوفير الفرص التعليمية المناسبة لطلاب علم الكلام، لا يؤدي إلى انتعاشه، وإنما الذي يؤدي إلى تكامل هذا العلم هو الالتفات إلى أرضية عرضه وطرحه.

ولحسن الحظ فإن الأرضية كذلك في عصرنا ليست قليلة، سواء في مواضيع التدريس على مختلف المراحل الدراسية، والنشرات والكتب والإذاعة والتلفاز والسينما وإنتاج الأفلام وغيرها، مما يمكن عدّه قناةً خروجية لهذا الجهد الواسع، سوى أنه ينبغي لعلم الكلام في الحوزة أن لا يسير بشكل يجانب هذه القنوات، وإنما عليه أن يواكبها من خلال الالتفات إلى تلك الحاجات والانتماءات المتنوّعة.

«إذا كان عندنا في السابق علماء يتكلمون ويكتبون ويردّون على الشبهات، فنحن الآن بحاجة إلى أضعاف هذا العدد من العلماء، ونوعيات راقية ونحن بحاجة إلى كتب ونشرات وصحف ووسائل إعلام لتنطلق بهذا الدور، فهناك من يهوى القراءة فلنستفد منه في هذا المجال، وهناك من ينتفع بوسائل الإعلام، فلتستفد منهم وسائل الإعلام أيضاً.

وعلى علماء الدين إعداد المؤلفات المختصّة بالعلوم الإسلامية سواء على شكل كتاب أو نشرة أو مجلة و صحيفة ليقوم الفنانون ـ مثلاً ـ بإنتاج أفلام عنها أو برامج متنوعة»[(١)].

١٠ـ المنبر الكلامي الحر:

إنّ إنتاج الأفكار الجديدة، ونقد الشبهات العقائدية المعاصرة، والاطلاع على أحدث الأفكار والنظريات الفلسفية والكلامية بحاجة إلى تخصيص

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٤/٦/١٤هـ ش.

مجامع ومؤسسات فعلية بهذا الشأن، وإقامة منابر مستقلة لعرض الأفكار الجديدة من قِبَل المحققين وطلاب الفلسفة والكلام:

«خامساً: إقامة الأجواء المفتوحة لتنمية الأفكار، وهذا ما لابد أن يتم في الحوزة، فإنه من الأمور التي تنعشها وتترتب عليها نتائج مفيدة، ولابد من إقامة مجامع للفقه والكلام والعلوم العقلية، وقد يكون في تلك المجامع من هو أكثر فضلاً من ذلك الشخص فلا بأس في ذلك، فإن إثارة المسائل تؤدي إلى تلاقح الأفكار، فيتقدم ذووا الآراء الجديدة وليصدعوا بكلماتهم، وقد يكون أصل الكلام خاطئاً إلا أنّ الجالس هناك يصل من خلاله إلى مطلب جديد، فيتّسع الميدان للأفكار الجديدة»[1].

١١ـ التعرّف العميق على فلسفة وكلام القدماء:

لا ينبغي لتيار علم الكلام والعلوم العقلية في الحوزة أن ينقطع عن ماضيه، وأن يعيش الباحث في علم الكلام والفلسفة مغيباً عن كنوزه، مسترخصا بضاعته فيشتري البضاعة الأجنبية بأسعار باهظة.

وقد أشار سماحة القائد في معرض ثنائه على فلسفة الملا صدرا إلى عدة أُمور، نذكر منها ما يلي:

«إنّ لصدر المتألهين[2] آراء فلسفية ممتعة وسيّالة ولها خصائصها الفذّة، وإنّ خصوصيات فلسفته لا مثيل لها إنصافاً بين الفلاسفة الإلهيين، حيث لا توجد هذه الخصائص مجتمعة في أي فلسفة أُخرى».

---

(١) كلمة في فضلاء ونخب الحوزة العلمية في قم، بتاريخ ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

(٢) صدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي (٩٧٩ ـ ١٠٥٠هـ ـ ق) المعروف بملا صدرا من كبار العلماء والحكماء المسلمين ومؤسس مدرسة (الحكمة المتعالية) صاحب آراء بديعة في الفلسفة يعتبر مذهبه الفلسفي ونظرياته المبتكرة منهجاً للفلاسفة المسلمين الذين جاءوا من بعده حتى يومنا هذا. من مؤلفاته: ١ ـ الأسفار الأربعة ٢ ـ تفسير القرآن الكريم ٣ ـ شرح أصول الكافي ٤ ـ مفاتيح الغيب وغيرها. درس على يد المحقق الداماد والشيخ البهائي ومن تلامذته المولى الفيض الكاشاني.

يقوم التقليد الكلامي والفلسفي في الحوزات الدينية حالياً على آراء العظام من أمثال ابن سينا والخواجه نصير الدين وصدر المتألهين وغيرهم، وأنه برغم ضرورة إعادة النظر في بعض البحوث المنسوخة أو أُسلوب عرضها، إلا أنّ الباحث في الكلام والفلسفة يجب أن لا يرى نفسه في غنى عن هذا التراث الثقافي العظيم، قاصراً النظر على معطيات الآخرين، آملاً الوصول إلى أبواب الحكمة والمعرفة من خلالها.

وعليه فمن الضروري استثمار واغتنام ما يسمّى حالياً بـ «الفلسفة الإسلامية» أو «الكلام الإسلامي» مع قبول حقيقة أنّ ذلك لا يعدّ نهاية الطريق، فإن الأذهان الوقّادة والنقّادة قادرة على أن تضيف إلى كنوزها، فتزيل النواقص والمواضيع القديمة والمنسوخة، وتنتفع بتراث تلك الفلسفة والكلام الغني في الحوارات والبحوث الجديدة:

«لا ينبغي التصور أننا نعد مجموعة من الفقهاء الكبار، متجاهلين بذلك الحكمة والكلام، فإن هذا خطأ كبير، فإن الأذواق تختلف في مجال الحكمة الإلهية، فهناك من يرى أُسلوباً في فَهْم الفلسفة الإسلامية مغايراً للأسلوب الذي يراه الآخر، ونحن لا نريد الدخول في تلك البحوث، ولكن لابد من تقوية الكلام الإسلامي ـ الذي هو على حد تعبير بعض أصحاب الرأي، علم الكلام الإسلامي في العهود الوسطى والمتأخرة فلسفة لَبست ثياب الكلام ـ وهو قول له وجه في الحوزات، وطبعاً ليس من الضروري اللجوء دوماً إلى البحوث التقليدية الموجودة في كتبنا الكلامية»[1].

١٢ـ التعرّف على الفلسفات والمذاهب الغربية الجديدة:

لا ينبغي لتيار الفلسفة والكلام في الحوزة أن يعيش في جزيرة منقطعة عن العالم، مكتفياً بالحوارات الداخلية، مغيباً عن التيارات الفكرية الفلسفية

---

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٢/٦/٢١هـ ش.

والكلامية في العالم. وفي هذا المضمار تتضاعف أهمية التعرّف على المذاهب الفلسفية الجديدة في الغرب، فإن المذاهب والفلسفة الغربية جزء من الحضارة الجديدة التي لابد من الالتفات إليها، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية فإن الفلسفة الغربية تعدّ مهداً لعلوم الغرب وفنونه، وأرضية للثقافة العالمية على أساس من النموذج الثقافي الموحّد، وعليه يجب على الباحث الديني التعرّف على تفاصيل تلك الأفكار؛ فيستفيد من محاسنها ويتعرّف على مواطن الخطر فيها، ويُبدي حساسية تجاه تغلغلها ومحو ما فيها من تأثيرات سلبية:

«يجب علينا مضافاً إلى الأبحاث الأساسية والأصلية أن نخوض في الأبحاث التي أفرزها تطور العلوم والفلسفة، فقد حصل تقدم وتطور في الفلسفة الغربية، حيث سلكت في القرن الأخير سبلاً غير مطروقة في الفكر الغربي، وظهرت أقوال جديدة، فقد كانت الماركسية مقطعاً هامّاً في الفكر والفلسفة الغربية، ثم تلت الماركسية أفكار جديدة بعضها معاكسة للماركسية في الاتجاه نسبياً، وبعضها مخالف لها، وقد أدخلت تلك النظريات إلينا وتم نشرها بين أوساطنا العلمية، فتقبّلتها بشكل كامل ذهنيات شبابنا غير المسلّحة بشكل كامل، فهل يمكن تشييد حكومة مبنية على الفقه وحياة طيبة بالفكر المادي والإلحادي؟!.

إذا أردتم أن تكون لكم حياة إسلامية، يتعيّن عليكم أن تتبنّوا فكراً إلهياً.

وهنا يتعيّن على فلسفتنا أن تنزل إلى الساحة والمعترك، وتقوم بشحن الذهنيات وتهيئتها، وأن تجيب عن الأسئلة، بل وتبادر إلى طرحها.

فعلى المفكرين وعلماء الفلسفة وطلاب الحوزات العلمية، وطلاب فرع الفلسفة والكلام، أن يتعرّفوا على أقوال الفلاسفة الغربيين وما هو الجديد عندهم، ولابد للحوزة من القيام برحلات علمية وما إلى ذلك»[1].

---

(١) المصدر السابق.

المقالة الثالثة

القرآن والحديث

- ❖ ضرورة الأُنس بالقرآن
- ❖ موقع القرآن في المنهج الحوزوي
- ❖ الفقه والقرآن
- ❖ تعليم القرآن في الحوزة
- ❖ تفسير القرآن
- ❖ التدبّر في القرآن
- ❖ علم الحديث

يعد التفسير والحديث من العلوم الأساسية في الحوزة ويصنّفان ضمن العلّة الغائية لتأسيسها، كما أنهما من أقدم العلوم الحوزوية، ومنهما تتفرع سائر العلوم الأُخرى:

«إنما يدار المجتمع بالشريعة الإسلامية، وإنما نحصل على هذه الشريعة من الفقه، والأصول مقدمة للفقه، والفقه بما له من المقدمات الأُصولية والأدبية واجب، وكذلك الحديث أيضاً واجب. فيجب علينا أن نستنبط الحكم الإلهي من القرآن والسنّة»[1].

ضرورة الأنس بالقرآن

على الطالب أن يأنس بالقرآن ويطمئن به قلبه، ويركن إليه في مشاكله وبه يداوي علله، ويروي ظمأه:

«أرى أنّ اهتمام الحوزة بالقرآن لا يزال ضعيفاً، طبعاً كان في السابق أضعف والآن ضعيف، فعلى الطلاب أن يأنسوا بالقرآن»[2].

إنّ أُنس عالِم الدين بالقرآن لا يحصل بين عشية وضحاها، بل هو بحاجة إلى مقدمات وتَمهيدات، ليغدو القرآن أنيساً له في العسر واليسر.

وفيما يلي نشير إلى جوانب من مقدمات الأُنس هذه:

١ـ التلاوة:

تعدّ التلاوة بمنزلة الخطوة الأولى نحو الأُنس الروحي بالقرآن، ويمكن بلوغ الأُنس الكامل بالاستمرار والمثابرة على تلاوته، وبه يتمّ جلاء القلوب،

(١) كلمة في بداية بحث خارج الفقه، بتاريخ ١٣٧٢/٦/٢١هـ ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

وإزاحة ما بها من صدأ الأحزان والاضطرابات النفسية، واستمرار العون في الساعات العصيبة، وعدم السقوط في زوابع البلايا والمحن:

«واظبوا على تلاوة القرآن، فلا يمرّن عليكم يوم دون النظر فيه، فلم يكن ختم القرآن من قِبَل الأئمة عليهم السلام في كل ثلاثة أيام أو سبعة أيام في شهر رمضان، وفي كلِ عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً في غيره، عملاً اعتباطياً لا يقوم على حكمة أو سبب.

نحن بحاجة إلى القرآن فلا تقدموا شيئاً على تلاوته، فلو أردتم قراءة حزب من القرآن في كل يوم، ينبغي أن تكون تلاوته مصحوبة بالتأمل حتى وإن استغرق ذلك من وقتكم، ولا تتذرّعوا لترك تلاوته بالدرس والمطالعة، فليس هناك ما هو أوجب من تلاوة القرآن»[1].

٢ ـ ملازمة القرآن:

على الطالب ملازمة القرآن في سفره وحضره ودراسته وعطله، وأن يغتنم اللحظات في الاستفادة القصوى منه، ولا يكتفي منه بالقليل:

«اقرأوا القرآن يومياً، بل واحملوه معكم أينما ذهبتم، وقد أثبتت التجربة لي شخصياً أنّ الذين يحملون القرآن معهم، ويقرؤون فيه حيثما سنحت لهم الفرصة، هم أعلم من غيرهم بالمسائل الإسلامية، وأقوى شكيمة وعزماً في الأعمال الجهادية، وأنّ الذين لم يكن لهم شأن بالقرآن كانوا جفاء، ولم يبارك الله في حياتهم، ولم يبارك علمهم وعملهم»[2].

٣ـ القراءة الصحيحة:

يرجى من الطالب الحوزوي أن يتلوا القرآن تلاوة صحيحة، فإن لم يكن بجميع القراءات المشهورة والشاذّة فبواحدة من القراءات المعتبرة على الأقل، فيأنس بها ويتعلمها بشكل كامل.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وللأسف الشديد لا نرى في منهج الحوزة التعليمي مكانة لقراءة القـرآن، ولا يحظى باهتمام مدراء المدارس والمخططين، وعليه من الممكن أن يطوي الطالب مراحل الدراسة العليا، بل ويحصل على درجة الاجتهاد بدون أن يتقن القراءة الصحيحة، وهذا عيب كبير في الحوزة الشيعية.

فبعد أن قام تأسيس الحوزة على فَهْم القرآن والسنة وتدبّر معانيهما كـان أول ما يرجى من الأمور هو تمكّن الطالب من قراءة القرآن قـراءة صـحيحة، فإذا تلكّأ في هذه الخطوة الأولى أثرّ ذلـك علـى الخطـوات اللاحقـة، فالـذي تحتوي قراءته للقرآن والصلاة على أخطاء فاحـشة، كيـف يرجـو أن يعتمـد الناس على فهمه للدين؟!

وتتضاعف حساسية هذا الأمر خصوصاً في وقتنا الحاضر، حيـث ارتفـع عدد المجالس القرآنية، وازداد عدد عشّاق القرآن من الشبيبة واليافعين الـذين أخذوا يقرؤون القرآن قراءة صحيحة، وبهذا كيف يـصحّ غـضّ الطـرف عـن قراءته من قِبَل عالِم الدين قراءة مغلوطة، وعدّه مجرد نقص في الفضيلة!

«يوجد في حوزاتنا العلمية بعض الطلاب ممن قطعوا شوطاً في دراسـتهم الحوزوية، لكنهم لا زالوا يواجهون مشكلة ولديهم أخطاء فـي تـلاوة القـرآن بالطريقة المتعارفة، فما بالك بمعرفة قراءة أخرى، ويعود السبب في ذلك الـى عدم اهتمام الحوزة العلمية بتدريس قراءة القرآن وتعليمها.

في السابق كان يتم تعليم القرآن في الكتاتيب، فكان الشخص يعرف قراءة القرآن قبل دخوله لميادين العلم، لكن لما انحسر وجود الكتاتيـب، لـم تتبـع المدارس الجديدة الاسلوب السابق في تدريس القرآن، فبقي هـذا الخـلأ فـي دراسة القرآن موجوداً حتى الآن.

ولن يتعلم الشخص القرآن إلا إذا حظي بأبوين يشجعانه على تعليم القرآن ويحثانه عليه ويساعدانه في تعلمه، أما إذا لم يحظ بمثل هذه الفرصـة ودخـل

في الحوزة، فإنها لن تساعده في تعلم القرآن ودراسة نصه وظواهره وعلومه الأولية. فيتعلم الفقه والمعارف الإسلامية، دون أن يكون قادراً على قراءة نص القرآن قراءة صحيحة، رغم كون هذه المعارف مستنبطة أصلاً من فقه القرآن»[1].

٤ ـ علم التجويد:

إن لم يكن علم التجويد داخلاً بأجمعه ضمن الواجبات، فإن شطراً منه داخل فيها وفي آداب التلاوة، ومن هنا كان على طالب العلوم الدينية أن يهتمّ بهذا العلم للأنس بالقرآن، فيتعلم أدب التلاوة، ويستخدمها بالمستوى المتعارف والمتعادل:

«إنّ آداب تجويد القرآن ضرورية، لا تقولوا: أن لا فائدة من ذلك، فإنها وإن لم تكن من علوم القرآن إلا أنها من العلوم ذات الصلة به على نحو من الأنحاء، فاقرؤوا القرآن مع مراعاة القراءة الصحيحة في التجويد والوقف والدقة في بيان مخارج الحروف، والإخفاء والإدغام والإظهار وصفات الحروف»[2].

٥ ـ حفظ القرآن:

إنّ عدم حفظ القرآن من النواقص الأساسية في الحوزات الشيعية، حيث لم تدرج في المناهج الدراسية فيها، فكان الاهتمام ولا يزال بحفظ الألفية ومنظومة السبزواري أكثر من الاهتمام بحفظ القرآن! مما شوّه الوجه الناصع للحوزة الشيعية، الأمر الذي يؤدي إلى الشعور بالخجل في المحاورات الحاصلة بين علماء الشيعة وعلماء سائر المذاهب الأُخرى، بل وحتى الطلاب الصغار منهم، برغم ما لعلماء الشيعة من سعة في المعلومات وعمق الحجج.

---

(١) كلمة في أساتذة إعدادية الشهيد مطهري للعلوم الإسلامية، بتاريخ ١٣٦٨/١٢/٢٧هـ.ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

وبرغم ذلك لم تقم الحوزة باتخاذ الاجراءات اللازمة في الحثّ على حفظ القرآن، كما يتم التأكيد على إرجاع الضمائر ومؤاخذة الطلاب على الخطأ فيها، بل لا يكتفى بعدم الاهتمام بحفظ القرآن، وإنما يحصل بخلٌ حتّى في التشجيع على حفظه، في حين أنه قد تمّ التشجيع على حفظه في مختلف المؤسسات الحكومية والعسكرية والتعليمية وفي السجون وعشرات المراكز الأُخرى، إلاّ في الحوزات التي ينبغي أن تكون هي الأولى والسبّاقة إلى هذا الأمر الخطير والحساس.

وإذا بادر الطالب لحفظ القرآن انطلاقاً من رغبته الشخصية، فإنه لن يحظى باهتمام يذكر، ولن يسجل له ذلك في ملف شخصيته الانسانية ـ العلمية.

«ينبغي في الوقت الحاضر التأكيد كثيراً على تعليم القرآن لعله يحقق لنا نتائج عظيمة، كأن يمنح الأساتذة لمن يحفظ شيئاً من القرآن امتيازاً بإضافة درجة أو ما شابه ذلك؛ لأن اتباع مثل هذا الأسلوب في المدارس، قد يمكننا من إعداد شبابنا اليافع وتربيتهم التربية الصحيحة.

وبالطبع، لا يكون حفظ القرآن بهيئة برنامج مدون، لأنكم مطالبون قبل هذا البرنامج بتدريس المواد الدراسية الأخرى، كما أن إدراج حفظ القرآن كبرنامج مدون، قد يؤدي الى بعض المشاكل.

إنّ عدم اهتمام حوزاتنا العلمية بحفظ القرآن، يعد في الوقت الحاضر نقصاً في برنامجها التعليمي، في حين تشترط بعض المدارس الدينية لأبناء العامة حفظ القرآن على طلابها في مراحلهم الدراسية الأولى، وإن لم تشترطه بعض مدارسهم فإنها تشجع طلابها عليه؛ لذا نجد معظم علماء أهل السنة أكثر أنساً بالقرآن من غيرهم»[1].

---

(١) كلمة في أساتذة إعدادية الشهيد مطهري للعلوم الإسلامية، بتاريخ ١٣٦٨/١٢/٢٧هـ.ش.

إنّ قوة الحفظ عند الإنسان في مراحل الطفولة والشباب قوية جداً حتى قيل: التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر، فتجده ميّالاً بطبعه إلى حفظ الشعر والنثر ونحوهما، فيجدر بالمنهج التعليمي في الحوزة أن يخطط لإشباع هذا النهم الطبيعي بحفظ القرآن، وتوجيه هذه الطاقة القيّمة في أفضل سنوات عمر الإنسان، حتى إذا تجاوز به السن وضعفت ذاكرته بعد استثمارها، لم يشعر بالغبن وفوات الفرصة، ويكون شاكراً لله هذه النعمة التي منّ عليه بها.

إنّ سماحة القائد برغم كونه من القلائل الذين كانوا يأنسون في المجالس القرآنية، وقد اشتهر بهذه الصفة، أشار إلى هذه المسألة في كلمة تزخر بالتواضع، جاء فيها:

«إنّ حفظ القرآن مهم جداً، وإنّ أخوتنا من أبناء العامة برغم افتقارهم للعمق العلمي والفقهي الذي تتمتع به حوزاتنا في أغلب المسائل والأبحاث، إلاّ أنهم متقدّمون علينا في هذه الناحية، حيث يباشر الطالب منذ بداية دراسته تعلّم القرآن وتلاوته، ثم يبادر بعدها إلى حفظه.

إنكم في الغالب من الشباب، وليس في حفظ القرآن مشقّة عليكم. إنّي آسف لأني حفظت كثير من الأبيات الشعرية والنصوص النثرية من الكتب الفارسية والعربية ـ وصرت الآن أنساها شيئاً فشيئاً ـ دون أن أحفظ القرآن، إذ لم يكن هناك من يوجّهنا نحو حفظ القرآن، وحينما أنظر حالياً إلى بعض الحفّاظ من الشباب الذين كثر عددهم بعد الثورة والحمد لله، أو بعض أصحاب العلم من حفظة القرآن أشعر بالغبطة تجاههم، وأتمنّى لو كان بإمكاني أن أدفع لهم شيئاً من قابلياتي على أن أتّصف بما يتّصفون به من حفظ القرآن، ولكن هيهات فقد فات الأوان وليس هذا من الأمور التي تخضع للمساومة، إلا أن الوقت لم يفتكم، فعليكم أن تهتمّوا بحفظ القرآن»[1].

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

إنّ حفظ القرآن يؤدي بشكل طبيعي إلى الأُنس به، ويقوم بربط الذهن بمفاهيمه، حيث يوفّق إلى التأمل والتدبّر في آياته، ويمهّد الأرضية لكشف الآفاق الجديدة منه، وتسهل عليه عملية الاستشهاد بالوحي في مختلف العلوم الدينية، مضافاً إلى تزيين كلامه وبيانه بآيات الوحي الإلهي.

كما أنّ حفظ القرآن يبني الروح ويعمل على صقلها وتنقيتها، ويفتح أُفقاً جديداً للسلوك الروحي نحو سماء الملكوت اللامتناهية، ويمَكّن الإنسان من اجتياز الحجب والسدود المادية في هذه الحياة الدنيا، هذا كله في ظل المثابرة على التلاوة.

إذ إنّ الحفظ بحاجة إلى التكرار والإعادة؛ للحيلولة دون نسيان المحفوظات القرآنية، لينتهي ذلك إلى الأُنس الذهني والروحي، والتحلي بالآيات الإلهية والاستفادة من عرفها وشذاها:

«بما أنّ صيانة الحفظ بحاجة إلى التكرار، فسوف يحصل توفيق طبيعي إلى المثابرة على التلاوة، وعندها كلما يسمع الإنسان الحافظ مسألة من المسائل الإسلامية يجد لها في ذهنه آية من آيات القرآن، فيشعر بالسعادة والانشراح في صدره»(١).

موقع القرآن في المنهج الحوزوي

إنّ فَهْم العلوم الدينية هو الغاية الأولى من تأسيس الحوزات، ولا يتأتّى ذلك إلاّ من خلال الارتباط الوثيق بالقرآن، إلا أنّ المنهج الحوزوي يبدي ضعفاً في هذه الجهة، حيث لا يعد الأرضية إلى الأُنس الفكري والروحي لدى الطالب بالقرآن.

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

فلا يتجه الطالب نحو القرآن إلا بدافع شخصي، الأمر الذي أدى إلى غياب القرآن في النظام الحوزوي إلاّ نزرٍ يسير من الطلاب، فلا يتم التعامل معه ككتاب دراسي ومنهج حياتي، ومرجع لحل المشاكل الفكرية والمعضلات الروحية، ولا يعتنى بتوفير مقدمات الأُنس الذهني والمعنوي به، مما يؤدي إلى خمود ناره ويدعو إلى خجل العارفين بالقرآن:

«قلت مراراً: إنّ الطالب منذ أن يبدأ من كلمة «اعلم أيدك الله» حتى يبلغ الاجتهاد، لا يضطر ولو مرة واحدة ـ من أجل ذلك ـ إلى تكليف نفسه عناء القيام، وأخذ القرآن من على الرف، ليقرأه وينظر ما فيه»[1].

لم يكن للمنهج التعليمي في الحوزة أُلفة بالقرآن، ولا يرى نفسه بحاجة إليه، ولا يسعى إلى الارتباط به، فلا يشعر الطالب أنّ للقرآن موقعاً في النظام الدراسي ابتداءاً من الأدب إلى الدروس العليا، ولا يرى نفسه محتاجاً إليه في رقيّه العلمي، فتراه يقرأ كتب الأدب والمنطق والأصول وغيرها بلهفة، ويعيد قراءتها مراراً ويدقق في الحواشي تلو الحواشي، ولا يقرّ له قرار حتى يتعرف على مرجع الضمير، في حين لا يجد نفسه مضطراً إلى تصفّح القرآن وقراءة صفحة منه بالدقّة التي يبذلها في الدروس المتقدمة، أو أنّه يراه دخيلاً على سيره التعليمي.

ولا يقتصر هذا النقص على الأفراد، بل يتعدّاه إلى نظام التخطيط في الحوزة، حيث لم يخلق أرضية في الرجوع إلى القرآن، ولم يدرجه في المناهج التعليمية، ولم يتابع عملية ربط الدروس في المقدمات إلى الدروس العليا بآيات القرآن، ولم ينظم المواد الدراسية على هذا الأساس:

«لقد ذكرت مراراً: أنّ القرآن مُبَعّد عن مناهجنا التعليمية للأسف الشديد، فليس هناك درس من الدروس الحوزوية يتوقف فهمه على مراجعة القرآن

---

(١) المصدر السابق.

والسنة، وأنّ منهجنا التعليمي قد تمّ التخطيط لـه بحيث يكون غنياً عن القـرآن وبمعزل عنه»[1].

إنّ الطالب وإن كان في حياته اليومية تسنح لـه فرصة تـلاوة القـرآن، أو يقرأه عند تهجّده في الليل، إلا أنّ المهم هو أنه لم يكـن للقـرآن موقـع فـي المنهج التعليمي للدراسة الحوزوية، ولا يستشعر الطالب في دراسته بالحاجـة إلى مراجعة القرآن من الصباح، حيث تبدأ دراسته، وحتى المساء حينما يكون متعباً وبحاجة إلى الإيواء للنوم:

«كنت ذات مرة أُدرّس التفسير في مشهد، فقلـت للطـلاب الـذين كـانوا يحاولون التدرّج في معرفة القرآن: إنّ من مآسينا في الحوزة هي أنّ الطالـب من حين دخوله الحوزة إلى نيل الاجتهاد، لا يجد نفسه مضطراً في بحثـه العلمـي والتحقيقي إلى تكليف نفسه عناء أخذ القرآن وفتحه والرجوع إلى آياته.

وطبعاً كان هناك من يقرأ القرآن ويراجع التفسير، إلا أنّ المجهود العلمـي لم يكن قائماً عليه»[2].

إنّ الاستمرار على هذه الحالة يعرّض الحوزة إلى مـشكلة كبيـرة، فعلـى المخططين لمناهج الحوزة أن يعثـروا علـى سـبل توثيـق الـصلة فـي النظـام التعليمي والتحقيقي بالقرآن، والتخطيط لذلك بشكل أساسي «**كان من العـار علينا أن نرفع راية القرآن، في حين لم تكن صلتنا بـالقرآن فـي دراسـتنا بالمستوى المطلوب»**[3].

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

(٢) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية بقم، بتاريخ ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

(٣) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١١هـ ش.

الفقه والقرآن

حينما تذكر مصادر الاجتهاد والتفقّه يكون القرآن على صدر القائمة، وتليه السنة والعقل والإجماع، وأما على المستوى العملي فلا نرى للقرآن مثلاً هذه الصدارة، إلا بالنسبة لبعض آيات الاستنباط التي تذكر للتبرّك والتيمّن بها دون الاستدلال والاستنباط، وأحياناً لا يذكر من الآية إلا الجزء الذي يراد الاستدلال به، فيقال مثلاً: ﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[1] و﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[2] وأمثالها في الكتب الفقهية وباب المعاملات، دون الالتفات إلى ما قبلها وما بعدها، ولا يتم الرجوع إلى الآية بأكملها حتى ولو مرة واحدة!

وبذلك فقد تمّ حصر التفقّه بعدد محدود من الآيات، دون أن يكلّف الفقيه نفسه عناء توسيع دائرة هذه الآيات والاستفادة من الآيات الأُخرى في عملية استنباط الأحكام، وتوسيع دائرة الفهم القرآني الفقهي.

إنّ هذا العيب الأساسي في المنهج الفقهي يقلل من قوة الفقه. إذ كيف يمكن جعل القرآن دستوراً للحياة، والفقه هادياً عملياً لحياة الإنسان دون أن يكون لـه حضور في الفقه؟! ولا يمكن حل هذا التناقض إلا بأن يستمدّ الفقه زاده من مائدة القرآن ويجعلها دعامة لـه:

«لم يكن الاجتهاد متوقفاً على الرجوع إلى القرآن وفهمه، وإنما هناك بعض الآيات التي يستدل بها في مسائل الأُصول والفقه، فمن البداية إلى النهاية يمكن أن تكون هناك مئات الآيات في الكتب وينتهي الأمر»[3].

وقد تعرّض سماحة القائد لهذه النقيصة في الفقه والاجتهاد قائلاً:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

(٣) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية بقم، بتاريخ ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

«إنّ الطالب والفقيه يحتاج في تحقيق مسألة ما الى الرجوع كثيراً لكتب اللغة، وكتاب الوسائل وموسوعات الحديث، فيسعى إلى مراجعتها، ولكن كم مرّة يحدث أن يضطر الطالب لبلوغ مسألة فقهية أو أصولية ما، أن ينهض ويتناول القرآن ويبحث فيه عن مجموعة من الآيات لمراجعتها؟»[1].

تعليم القرآن في الحوزة

على الحوزة أن تنظر إلى القرآن بوصفه مادة دراسية مستقلة، وأن تدرج مختلف المباحث المتعلقة بالقرآن في منهجها التعليمي، وأن توفر الأرضية المناسبة للأنس بالقرآن في طيّات موادها الدراسية.

ولابد أن يكون تعليم القرآن كمادة دراسية، جامعاً وشاملاً لجميع البحوث القرآنية في كافة المستويات، ولا يقتصر على المعاني والمفاهيم الأولية أو العميقة التي تمثل المواضيع الأساسية للبحوث القرآنية، كما يجب أن تضع الحوزة العلمية البرامج التعليمية المناسبة التي تهتم بهذه المادة الدراسية.

ووصولاً إلى هذه المسألة المهمة لابدّ من وضع مناهج دراسية مختلفة ذات صلة بالقرآن، وأن يتمّ تعليم القراءة الصحيحة منذ البداية حتى يعتادها الطالب، ثم يأتي دور التجويد بالدرجة الثانية كمادة دراسية مستقلة، وكذلك لابد من الاهتمام بحسن التلاوة وتقويتها بالاستفادة من أساتذة هذا الفن:

«إنّ غياب القرآن كان من النواقص الكبيرة في منهجنا التعليمي، ولابد من إزالة هذا النقص في وقتنا الحاضر، ولابد من الشروع في تعلّم القرآن من متنه، فمن الخطأ أن يتصور البعض أنّ القرآن لا يمكن عدّه مادة دراسية، فإنكم إن

---

(١) المصدر السابق.

لم تتعلموا النص القرآني لم تعرفوا معناه، وأنّ التجويد مقدمة لفهم القرآن، وأنّ التلاوة الجيدة من شروط الأُنس بالقرآن وجعل المجتمع مأنوساً به»[1].

تفسير القرآن

إنَّ درس التفسير من الدروس المهملة في الحوزة، حتى أنهم جعلوه في حاشية المنهج التعليمي سواء بالنسبة لعدد الدروس أو عدد الطلاب المشاركين في الدرس؛ ولم تكن الحوزة تعتبره من الدروس الأساسية حتى يجد الطالب نفسه مكلفاً بحضوره وتعيين وقتاً خاصاً به. إذ يعتبره البعض من الدروس الجانبية التي لا أهمية لها، لأن المعيار الوحيد عند الطالب المجد هو الاشتراك في دروس الفقه والأصول ومقدماتهما، دون أن يكون لدرس التفسير قيمة أو درجة بينهما، لذا لا يعد حضوره مفخرة للطالب ولا تركه منقصة له.

وعلى هذا النحو، كان درس التفسير هامشياً في الحوزات العلمية، رغم قيام البعض بتدريسه بدافع شخصي أو رغبة خاصة، لكنه لم يكن محسوباً على منهج الحوزة العام؛ عدا بعض الدروس التي كانت تقام في بعض الليالي وأيام العطل لملأ أوقات الفراغ عند الطلاب، حيث كانت تقام بعض دروس التفسير في أيام العطل يشترك بها بعض الطلاب، لكنها لم تكلف ضمن الدروس الحوزوية، ولم يكن حضورها ضمن البرنامج التعليمي للحوزة:

«كان هناك في الحوزة درس في التفسير وربما لا يزال موجوداً، إلا أنه لم يكن يوماً من الدروس التي يتبنّاها المنهج التعليمي في الحوزة رسمياً، حيث لا يوصف من ترك درس التفسير بالجهل، في حين يعد من لا يحضر درس الفقه جاهلاً.

---

(١) كلمة في طلاب مدرسة الشهيد مطهري العليا، بتاريخ ١٣٦٢/٩/٣٠هـ ش.

وطبعاً يستشعر الطلاب والشباب والفضلاء حالياً الحاجة إلى القرآن، في حين لم يكن هذا الشعور موجوداً في الماضي، إلاّ بالنسبة إلى أُولئك الذين يتمتعون بحسّ ديني أكبر، فكانوا يُقبلون على القرآن فيقرؤونه قراءة عادية أو تلاوة مع التدبّر رجاء الحصول على الثواب، في حين لم يكن سواهم مقيّداً حتى بهذا المقدار»[1].

كان درس التفسير مهجوراً في الحوزات سوى ما كان من شأن العلّامة الطباطبائي، حيث أوجد رونقاً في هذا الدرس على المستوى الكمّي والكيفي، مما سيخلّد شأن هذا المفسّر في تاريخ الحوزة الشيعية، ولكن حتى وجود مثل هذه الشخصية الكبيرة لم يستطع ادخال درس التفسير ضمن الدروس الرسمية في الحوزة، وجَعْله بمستوى الفقه والأصول:

«كان الطالب بحاجة إلى درس التفسير، في حين كان هذا الدرس مهجوراً إلا من بضعة دروس في النجف الأشرف، ودرس واحد في قم وفي أماكن متفرقة في مشهد في الآونة الأخيرة، إلا أنها لم تكن بالمستوى المطلوب»[2].

إنّ إشاعة درس التفسير في الحوزة بحاجة إلى إعادة النظر في المنهج الدراسي من جهة، وإعادة النظر في أوقات دراسة الطالب من جهة أُخرى، وعدم ملء وقت الطالب بالفقه والأصول ومبادئهما، بحيث لا يبقى عنده مجال للتفسير والحضور في البحوث القرآنية:

«إنّ دروسنا تخصصية وفنية وجيدة وقوية، إلا أنها تفتقر إلى التخطيط والمنهجية الكاملة، حيث كان الطالب يراجع القرآن والتفسير من تلقاء نفسه، دون أن يكون ذلك بوحي من دراسته المفروضة عليه»[3].

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

(٣) كلمة في طلاب مدرسة صدر بابُل العلمية، بتاريخ ١٣٦٣/٢/١٩هـ ش.

التدبر في القرآن

إنّ للأُنس بالقرآن مراحل متنوعة أسماها التدبّر والتأمل في آيات الوحي، فعلى طالب العلم قبل غيره، ومضافاً إلى مقدمات ومبادئ الأُنس المتقدم ذكرها، أن يُحلّي ظرفه الوجودي من خلال التدبّر في ألفاظ القرآن، ويشرح بها صدره، وأن يتصل بآفاق وسيعة وبعيدة المنال، وأن يزيح الحجب التي تفصله عن عالم الملكوت:

«على الطالب أن يأنس بالقرآن من خلال التدبّر فيه؛ ليتمكن من فَهْم ما فيه. إنّ التدبّر في القرآن مفيد للجميع، وإنّ كل شخص ينتفع به بمقدار مستواه الفكري»[1].

لابد أن يكون التدبّر في القرآن مصحوباً بالممارسة الدائمة، ليتّسع ظرفه الوجودي من خلال دوام التلاوة، فيدرك بالتدريج أبعاداً جديدة من بحر المعارف القرآنية اللامتناهي:

«أرجو منكم إخوتي الطلاب أن تقرأوا القرآن كل يوم مع التدبّر فيه، وأن لا تتركوا قراءته أبداً»[2].

إنّ آلام الإنسان الفردية والجماعية في تزايد مطّرد، وتضاف إليها عُقَد جديدة، الأمر الذي يؤدي الى صعوبة التوصّل الى طرق وسبل معالجتها، وفي ذلك يبذل الإنسان كل ما بوسعه ليبلغ الراحة المنشودة، ولكن دون جدوى، بل ربما زاد ذلك من ألمه، وأضيف ألم آخر على آلامه.

هذا هو النموذج الحي للإنسان المعاصر، وفي ظل هذه الظروف لابد من التدبّر في قوله تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[3].

---

(١) كلمة في طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية بقم، بتاريخ ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

(٢) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

(٣) سورة الاسراء، الآية: ٨٢.

فلابد من اللجوء إلى القرآن بوصفه شفاء للأرواح، وبذل الهمم في البحث والتنقيب في آياته الملكوتية، والحصول من هذه المائدة الربّانية على شفاء آلاف الآلام.

وهذا مما يضاعف من مسؤولية الحوزات الدينية تجاه الاستفادة القصوى من هذه المائدة الإلهية في الأيام العصيبة، وأوقات الاضطراب الفكري والروحي:

«على الطالب أن يأنس بالقرآن، إذ لولاه لم يكن هناك من شيء ذو فائدة. قرأ علينا الآن أخونا العزيز هذا بصوته الملكوتي الجميل هذه الآية: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾**، وحينما كنت استمع، قلت: إلهي أنت صادق في ما تقول، فهو شفاء واقعاً، فإنني إن لم أتماثل للشفاء، فلابد لي من البحث عن هذا الشفاء إلى حين العثور عليه، لذا يجب علينا أن نبحث جميعاً لكي نعثر عليه، لأننا مصابون بآلام كثيرة فردية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية، فعليكم أن تسعوا، وعلى الحوزة العلمية أن تساعد في ذلك»**[1].

معرفة الحديث

الحديث الشريف أيضاً مهجور وفي غربة حاله كالقرآن، فلا تراجع سوى أحاديث الأحكام الفقهية، إذ لم يكن لدرس الحديث موقعٌ واضحٌ في منهج الحوزة التعليمي، ولا يرى الطالب ضرورة لمراجعة الأحاديث إلا للفقه والأمور الشخصية مثل الخطابة والمنبر وأمثال ذلك، دون أن يتخذ طابعاً رسمياً منتظماً.

برغم أنّ حفظ الحديث كان يُعد من تقاليد الحوزة الأولى، إلا أنّ ذلك أخذ يضمحل بالتدريج، فلم تتجاوز محفوظات الطالب من الحديث سوى بضعة أحاديث شائعة، كحديث الثقلين وحديث السلسلة الذهبية أو حديث

---

(١) كلمة في أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

الغدير، ولا تشاهد بين الطلاب من يحفظ الحديث إلاّ نادراً، ولا يبقى في ذاكرتهم من الكتب الروائية من قبيل نهج البلاغة، والصحيفة السجادية، وتحف العقول، والصحاح الأربعة ، وغيرها، إلا ما يقل عن أصابع اليد.

كما لم تكن الحالة بالنسبة إلى فَهْم المعاني والمفاهيم الروائية أفضل، حيث كان أغلب الأساتذة والمحققين في الحوزة عاجزين عن ترجمة نصوص نهج البلاغة والصحيفة السجادية وغيرها بشكل دقيق؛ وذلك بسبب ابتعاد المنهج التعليمي في الحوزة عن النصوص الروائية، مما جعل الأحاديث عبارة عن ألفاظ غريبة على أذهان الطلاب، فلا يستطيعون سبر أغوارها ولا إدراك كُنهها.

إنّ الاستئناس بالأحاديث والكلمات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام يؤدي ـ شأنه شأن القرآن ـ الى إثراء الذهن وجلاء الروح، فعلى المنهج التعليمي في الحوزة أن يمهّد الطريق إلى الأُنس بالحديث، وأن يدرج ضوابط معرفة الحديث وترجمته وشرحه في منهجه التعليمي ويُربّي الطالب على ذلك:

«كان الحديث غائباً عن سلسلة أعمالنا إلى مدة طويلة، إلاّ أننا حينما كنا نصل إلى مرحلة الفقه الاستدلالي، كنا نواجه بعض الأحاديث المرتبطة بالأحكام الفقهية»(١).



(١) كلمة في طلاب مدرسة صدر بابُل العلمية، بتاريخ ١٣٦٢/٢/١٩هـ ش.



الملحــقات

الملحق الأول

الملحق الثاني

الملحق الأول

بيان الإمام الخميني قدس سره

إلى المراجع والعلماء والحوزات العلمية
وأئمة الجمعة والجماعة الصادر في ١٥ رجب ١٤٠٩هـ.ق

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرات علماء الدين في جميع أنحاء البلاد ومراجع الإسلام العظام، المدرسين الكرام، وطلاب الحوزات العلمية الأعزاء، وأئمة الجمعة والجماعات المحترمين دامت بركاتهم.

صلوات الله ورسوله وسلامه على الأرواح الطيّبة للشهداء، وخصوصاً شهداء الحوزات والعلماء.

تحية لحملة أمانة الوحي والرسالة الحراس الشهداء الذين قامت أركان عظمة وفخر الثورة الإسلامية على عواتقهم الحمراء القانية.

سلامٌ على صانعي الملاحم الخالدة من العلماء الذين كتبوا رسالتهم العلمية والعملية بدم الشهادة وحبر الدم، وصنعوا من شمعة حياتهم جوهرة ليل مضيئة من على منبر الهداية والوعظ والخطابة الأصيلة.

فخراً وطوبى لشهداء الحوزة والعلماء الذين قطعوا سبل تعلّقهم بالدرس والبحث والمدرسة، وخلّصوا حقيقة العلم من عقال الآمال الدنيوية، ونهضوا خفافاً إلى ضيافة اللاهوتيين وأنشدوا شعر عالم الحضور في مجمع الملكوتيين.

السلام على أُولئك الذين نَفَروا حتى بلغوا حقيقة التفقّه وأصبحوا مُنذرين صادقين لقومهم وشعبهم، الذين شهدت قطرات دمائهم وأشلاؤهم الممزّقة على صدق فقرات حديثهم. والحق أنه لم يكن لينتظر غير هذا من علماء الإسلام والتشيّع الواقعيين الذين تقدموا طريق الدعوة للحق والنضال الدامي للشعوب ليكونوا هم أول من قدّم القرابين وختام صحيفة حياتهم الشهادة.

أُولئك الذين أدركوا حلقات ذكر العرفاء وأدعية سحر المناجين في الحوزات وبين العلماء، ولم ينشدوا في حضورهم من أمل سوى الشهادة، أُولئك الذين لم يسألوا الحق تعالى وهم في ضيافة الخلوص والتقرّب إلا الشهادة.

ولم يصل جميع المشتاقين والطالبين إلى نَيْل الشهادة بطبيعة الحال، فمثلي شخص قضى عمره في ظلام الحجب والأغلال، وفي دار الحياة والعمل لم يحظَ إلا بصفحات كتاب الذاتية والأنانية، وآخر طعن صَدرَ تطلعات الهوى السوداء من أول الليل الأطول من عمره، ومع بزوغ فجر سحر العشق أمضى مع الوصال والشهادة عقده، والآن كيف لي أن أصف قافلة سادت الوجود وقادته وأنا الذي غفلت عن بقائي وعدم خروجي من ظلمات محض العدم؟

أنا وأمثالي لا نسمع من هذه القافلة إلا أصوات صدى أجراس ليس إلا، فلأدع وأمضي.

ليس ثمة شك في أنّ الحوزات العلمية والعلماء الملتزمين كانوا على مدى تاريخ الإسلام والتشيّع أهم الحصون الراسخة للإسلام في قبال الهجمات والانحرافات والتحريفات.

الفقهاء مجاهدون في سبيل الله

لولا الفقهاء الأعزاء لَما عُلم أي العلوم كانوا سيحملونها الناس اليوم باسم علوم القرآن والإسلام وأهل البيت عليهم السلام.

لقد سعى علماء الإسلام العظماء طوال حياتهم لترويج الأحكام الإلهية من حلال وحرام دون تحريف وتصريف.

إنّ جمع وحفظ علوم القرآن وآثار وأحاديث النبي الأعظم «وسنّة وسيرة المعصومين عليهم السلام» وتدوينها وتصنيفها وتنقيحها في ظروف شحّة الإمكانيات، وما كان يبذله سلاطين الجور والظلمة من طاقات في سبيل محو آثار الرسالة لم يكن بالعمل الهيّن، ونحن اليوم وبحمد الله نرى نتيجة تلك الجهود في الآثار والكتب المباركة مثل (الكتب الأربعة)[1] وكتب أُخرى للمتقدمين والمتأخرين في «الفقه والفلسفة، والرياضيات والنجوم، والأصول والكلام، والحديث والرجال، والتفسير والأدب، والعرفان واللغة، وشتى مجالات العلوم المتنوعة»، إذا لم نطلق على هذه الجهود والمعاناة جهاد في سبيل الله، فماذا عسانا أن نسمّيها؟!

إنّ الحديث ليطول في البُعد العلمي لخدمات الحوزة العلمية مما لا يسعه هذا المختصر، وبحمد الله فإن الحوزات غنية ومتجددة بلحاظ منابع وطرق البحث العلمي والاجتهاد، ولا أتصور وجود طريقة أنسب للتحقيق المعمّق في جوانب العلوم الإسلامية غير تلك التي كان عليها السلف من العلماء.

ويشهد تاريخ ألف سنة من تحقيق وتتبع العلماء الواقعيين للإسلام على ادّعائنا في نماء بذرة الإسلام المقدسة وغدوّها شجرة مثمرة.

علماء الدين ملاذ المحرومين

منذ مئات السنين كان علماء الدين ملاذاً للمحرومين، وطالما ارتوى المستضعفون من زلال كوثر معرفة الفقهاء العظام. ولو غضضنا النظر عن مجاهداتهم العلمية والثقافية التي تعتبر بحق أفضل من دماء الشهداء من بعض الجهات، فإلى جانب تحمّلهم الأسر والتهجير، والسجون والأذى

---

(١) وهي: كتاب (الكافي) للشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ. ق)، وكتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ. ق)، وكتابي (التهذيب والاستبصار) للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ. ق).

والألم، والتجريح، فقد تحمّلوا في كل عصر من العصور في سبيل الدفاع عن مقدسات دينهم وأوطانهم الأمرّين، وقدّموا إلى ساحة قدس الحق تعالى شهداء غوالي.

ولا ينحصر الشهداء من العلماء بشهداء النضال والحرب في إيران، ويقيناً فإن رقم الشهداء المجهولين من الحوزات العلمية من الذين قضوا في مسيرة نشر المعارف والأحكام الإلهية غرباءً بأيدي العملاء والجبناء رقم كبير. وفي كل حركة وثورة إلهية وشعبية كان السبق لعلماء الإسلام الذين سطّر الدم والشهادة على جباههم ومفرق رأسهم نقشه.

شهداء الحوزة

في أي الثورات الشعبية الإسلامية لم تكن الحوزة والعلماء سابقين إلى الشهادة؟! ولم يرفعوا فيها على المشانق ولم تصمد أجسادهم الطاهرة أمام وعثاء طريق الحوادث الدامي حتى الشهادة؟

في الخامس عشر من خرداد[1] وفي أحداث ما قبل وبعد الانتصار من أي فئة كان أوائل الشهداء؟ أحمد الله على أنّ دماء شهداء الحوزة والعلماء قد صبغت سماء الفقاهة بلونها القاني، فمن جدارن [المدرسة] الفيضية حتى زنزانات نظام الشاه الانفرادية المرعبة، ومن الزقاق والطريق إلى المسجد ومحراب إمام الجمعة والجماعة، ومن مكاتب العمل ومراكز الخدمات حتى خطوط مقدمة الجبهة وميادين الألغام.

ومع النهاية المشرقة للحرب المفروضة نجد أنّ رقم الشهداء والمفقودين من الحوزات بالنسبة إلى الشرائح الأُخرى أكبر، فهناك أكثر من ألفين وخمسمائة فرد من طلاب العلوم الدينية من شتى بقاع إيران استشهدوا في

---

(١) انتفاضة ١٥خرداد: في سنة ١٣٤٢ ش،١٩٦٣م، راجع الجزء الأول ص ٧٠.

الحرب المفروضة، ويبيّن هذا الرقم إلى أي حد كان العلماء على استعداد للدفاع عن الإسلام وإيران الإسلامية.

واليوم وكما في الماضي فإن العلماء الشجعان الجسورين المخالفين للشرق والغرب والمتمسكين بأصول الإسلام المحمدي الأصيل سوف يكونون هدفاً لأيادي الاستعمار الإرهابية في جميع أنحاء العالم من مصر وباكستان وأفغانستان ولبنان والعراق والحجاز وإيران والأراضي المحتلة، ومن الآن فصاعداً سوف يشهد العالم الإسلامي بين فترة وأخرى تصاعد حنق الطغاة على أحد العلماء المتفانين.

العلماء الملتزمون والرأسماليون مصاصو الدماء

إنّ علماء الإسلام الأصيلين لم يتبعوا الرأسماليين وعبدة المال والإقطاعيين أبداً، وبقوا محتفظين بهذا الشرف دائماً، وإنّه لظلم عظيم أن يقول أحد: إنّ يَدْ العلماء الأصيلين أتباع الإسلام المحمدي الأصيل في يَدْ الرأسماليين، وإن الله لا يغفر لهؤلاء الذين ينشرون أو يفكرون في القضية بهذه الكيفية.

إنّ العلماء الملتزمين متعطّشون لدماء الرأسماليين ومصاصي الدماء، ولم يدخلوا معهم في صلح أبداً، لن يفعلوا، لقد نقلوا العلم ونشأوا على الزهد والتقوى ورياضة النفس، ثم بلغوا مقاماتهم العلمية والمعنوية على ذلك النحو من الزهد، وقضوا حياتهم بالفقرِ واليَدْ الخالية مُعْرِضين عن زينة الدنيا، وأَبَوا الذلة ومنّة الآخرين.

إنّ نظرة دقيقة في حياة علماء السلف تحكي لنا كيف كان الفقر وروحية السخاء والمروءة تبعث على كسب المعارف، وكيف كانوا يدرسون على نور

القمر وضياء الشموع، وكيف عاشوا في قناعة وعظمة. لقد كانت أهليتهم وصدقهم وإخلاصهم علةً لانتخاب الناس لهم، ولم يكن الأمر رهن قوة ولا مال.

مخالفة العلماء لمظاهر التمدن

إنّ مخالفة العلماء فيما مضى لبعض مظاهر التمدن لم يكن إلا خوفاً من نفوذ الأجانب؛ فقد ألزمهم خوفهم وإحساسهم بخطر توسّع الثقافة الأجنبية، وبخاصة الثقافة الغربية المبتذلة، بأن يتعاملوا مع الاختراعات والاكتشافات بحذر واحتياط، ولِما لمسوه من كذب وحيلة المستكبرين لم يكونوا ليطمئنوا إلى شيء؛ لذا كانوا يحكمون أحياناً بمنع استعمال أجهزة من قبيل الراديو والتلفاز إذ كانوا يرونها مقدمة لدخول الاستعمار.

ألم تكن أجهزة مثل الراديو والتلفزيون في بلاد مثل إيران وسيلة لنشر الثقافة الغربية وعرضها كتحفة؟ ألم يستعمل النظام السابق الراديو والتلفزيون في تسقيط العقائد الدينية والإعراض عن التقاليد والأعراف الوطنية؟

على أي حال فإن خصوصيات عظيمة كان يتمتع بها العلماء من قبيل القناعة والشجاعة والصبر والزهد وطلب العلم وعدم الارتباط بالسلطات، والأهمّ من كل ذلك الإحساس بالمسؤولية تجاه الأُمة والناس، والتي أحيت وجود العلماء وثبتتهم وحببتهم في المجتمع، وأي عزة أعظم من أن يتمكن العلماء مع شحة إمكانياتهم من أن يجعلوا من الفكر الإسلامي الخالص تياراً في ساحة الفكر والثقافة الإسلامية! وبهذا ازدهرت بذرة الفقاهة المقدسة في روضة الحياة المعنوية لآلاف العلماء المحققين.

وحقاً أليس من السذاجة أن يظنّ أحد أنّ الاستعمار لم ولن يلاحق العلماء مع هذه العظمة والمجد والقدرة التي يتمتعون بها؟

كتاب الآيات الشيطانية

إنّ مسألة كتاب «الآيات الشيطانية»[1] عمل منظم ومخطط لــه؛ ليـضرب أساس الدين والتدين وعلى رأس ذلك الإسلام والعطاء، وبـاليقين أقطـع لـو تمكّن الاستكبار لأحـرق إسـم وأسـاس العلمـاء، ولكـن الله **لا** يـزال حـامي وحافظ هذا المشعل المقدس وسيبقى كـذلك إن شـاء الله، وشـرط ذلـك أن نعرف مكر وخداع المستكبرين.

العلماء الخونة والمتظاهرون بالصلاح

ولا يعني هذا أننا ندافع عن جميع العلماء، فالعلماء الخونة والمتظاهرون بالصلاح والمتنسّكون ليسوا قلّة ولم يكونوا قلّة، وفي الحوزات العلمية هناك من ينشط ضد الثورة وضد الإسلام المحمدي الأصيل.

إنّ معاول الهدم التي يضربها بعـض المتظـاهرين بالـصلاح فـي أسـاس الدين والثورة والنظام تظهر كأن القوم لا عمل لهم في هذه الأيام سوى هـذا. إنّ خطر المتحجّرين فكرياً والمتظـاهرين بالـصلاح الحمقـى فـي الحـوزات العلمية ليس بالهيّن، وعلـى الطـلاب الأعـزاء أن لا يغفلـوا عـن أفكـار هـذه الأفاعي الرقطاء، ليّنة الملمس، إنهم دعاة الإسلام الأمريكي وأعداء رسول الله، ألا ينبغي أن يحفظ الطلبة وحدتهم أمام هذه الأفاعي!

عندما يئس الاستكبار من القضاء التام على العلماء والحوزات عمـد إلـى طريقين يوجّه من خلالهما ضـرباته، الأول: طريـق القـوة والعنـف، والثـاني: طريق الحيلة والخدعـة والنفـوذ. وفـي عـصرنا هـذا عنـدما ضـعفت فعاليـة الإرهاب والعنف سعى إلى تقوية طرق النفوذ بين العلماء وإلى الحوزات.

---

(١) لمؤلفه المرتد: سلمان رشدي.

وكان طرح شعار فصل الدين عن السياسة أول وأهم خطواتهم، ومع الأسف فإن هذه الطعنة التي نفذت في الحوزة والعلماء كانت من القوة بحيث أصبح التدخّل في السياسة أمراً دون شأن الفقيه وكان الدخول في معترك العمل السياسي يصحبه تهمة الارتباط بالأجانب!

والمتيقّن أنّ العلماء المجاهدين تحمّلوا الزخم الأكبر من جراحات هذا النفوذ، ولا يظنّن أحد أنّ تهمة العمالة وفِرْية اللادينية التي كانت تلصق بالعلماء كان من عمل الأغيار! كلا، لقد كانت ولا تزال ضربات العلماء غير الواعين والعامدين العملاء أشد وأكثر سطوة بمراتب عن ضربات الأغيار.

في بداية النضال الإسلامي لم يكن بإمكانك أن تقول عن الشاه خائن، إذ كان الرد المباشر يأتيك بأن الشاه شيعي. لقد كان بعض المتظاهرين بالصلاح وبعض الرجعيين يحرّمون كل شيء، ولم يكن بإمكان أحد أن يقف في وجههم. إنّ المرارة والضغوط والصعاب التي تجرّعها (أبوكم الشيخ) من أمثال هؤلاء المتحجرين لم يتلقّها من غيرهم.

وعندما استحكم شعار فصل الدين عن السياسة وغدا الفقه في منطق الغافلين يعني الغرق في عالم الأحكام الفردية والعبادية، ولم يكن بوسع الفقيه أن يتجاوز هذا الحصار ويخرج عن هذه الدائرة حتى يتدخّل في السياسة والحكومة، عند ذلك أصبحت حماقة عالم الدين في تعامله مع الناس فضيلة. وعلى زعم بعض الأفراد أنّ الاحترام والتكريم كان لائقاً بالعلماء عندما تقطر الحماقة منهم، وإلا فالعالم السياسي والذكي كان يعني أنّ هناك ما يخفيه خلف الستار!

وكان هذا من الأمور الرائجة في الحوزات، بحيث كان كل من يمشي مطأطئ الرأس يعدّ متديناً! تعلّم اللغات الأجنبية كفر، الفلسفة والعرفان كانا يعدّا ذنباً وشركاً، في المدرسة الفيضية تناول ابني الصغير المرحوم مصطفى وعاءً وشرب منه الماء فقام أحدهم وطهر الوعاء؛ لأنني كنت أدرّس الفلسفة!

لو كتب لهذه الطريقة الاستمرار فلا شك أنّ وضع العلماء والحوزات العلمية كان سيصل إلى وضع كنائس القرون الوسطى، ولكن الله تفضّل على المسلمين والعلماء ومنّ عليهم وحفظ كيان الحوزة ومجدها الواقعي.

لقد نشأ العلماء المؤمنون في مثل هذه الحوزات وفصلوا صفوفهم عن الآخرين، ومن هذه البارقة انطلق الإسلاميون في ثورتهم الكبرى.

وبالطبع فإن الحوزات العلمية اعتادت ولا تزال على هاتين المدرستين الفكريتين، وينبغي الحذر من تسرّب فكرة فصل الدين عن السياسة من مطاوي بطانة أهل الجمود إلى الطلاب الشبّان؛ وهذه إحدى القضايا التي ينبغي أن توضّح للطلاب الشبّان، وأنه كيف تصدى البعض لنجاة الإسلام والحوزة والعلماء ونهضوا بالأمر وبذلوا في سبيله أرواحهم وكرامتهم وذلك في عهد تنفّذ المقَدّسين الجهلة والبسطاء غير المتعلمين.

الشعارات المضللة

لم يكن الوضع مثل ما هو عليه اليوم، فمن لم يكن على حدّ الكمال من الرسوخ والثبات في عقيدته الثورية يتراجع وينسحب من الميدان تحت ضغوط المتظاهرين بالصلاح وتهديداتهم.

لقد تمّ ترويج أفكار من قبيل «الشاه ظلّ الله في أرضه» أو «لا يمكن مواجهة الدبابة والمدفع باللحم والعظم» و«نحن لسنا مكلّفين بالجهاد

والنضال» أو «من الذي سيتحمل تبعات دماء القتلى؟» والشعار الأكثر إضلالاً وألماً «الحكومة قبل ظهور إمام الزمان باطلة»، وآلاف الإشكالات الأُخرى والمنهكة التي لا ينفع معها النصح والإرشاد والمقاومة السلبية، فكان الحل منحصراً في النضال والإيثار والدم، وقد هيّأ الله أسبابه.

لقد تلقّى العلماء الملتزمون بصدورهم السهام المسمومة الموجّهة إلى الإسلام العزيز، وتقدّموا الى مذبح العشق.

تأثير الأجانب على ثقافة الحوزات

في عاشوراء الخامس عشر من خرداد سجل أول وأهم فصول النضال الدامي، ولم يكن الأمر في خرداد ١٣٤٢هـ.ش (١٩٦٣م) مواجهة مع رصاص بنادق ورشاشات الشاه، إذ لو كان الأمر مجرد ذلك لهانت المواجهة وسهلت، ولكنها فضلاً عن هذا كانت في الجبهة الداخلية رصاصات المكر والتديّن المتحجّر.

لقد كان ألم رصاصات اللسان الجارح والنفاق والمجاملة يحرق ويمزّق الكبد والروح أكثر من تلك بآلاف المرات.

وفي ذلك الزمن لم يكن ليخلو يوم من حادثة ما، لقد لجأ عملاء الشاه والأمريكان السريّون منهم والعلنيون إلى حرب الشائعات والاتهامات، حتى اتهم المتصدّون لإدارة النضال بترك الصلاة، والشيوعية، والعمالة للانجليز!

حقّاً لقد عاش العلماء الأصيلون في غربة ووحدة! لقد كانوا يبكون دماً، إذ كيف تعمل أمريكا وخادمها بهلوي لاستئصال الدين والإسلام وبعض العلماء المتظاهرين بالصلاح جهلة أو مخدوعين، وبعض العملاء الذين انكشفت وجوههم الحقيقية بعد انتصار الثورة يماشون مسيرة هذه الخيانة العظمى!

إنّ حجم الضربة التي تلقّاها الإسلام من هؤلاء المقدسين المتظاهرين بصورة أهل العلم لم يتلقّها من أي فئة أُخرى؛ والنموذج البارز لهذا الأمر تلك الظلامة والغربة الجليّة في التاريخ التي عاشها أمير المؤمنين عليه السلام.

فلأدع وأمضي، ولا أعكر صفوكم أكثر من هذا، ولكن على الطلبة الشبّان أن يعلموا أنّ صفحة فكر هذا الحزب لم تطو بعد، وأساليب التديّن المتحجّر والاتجار بالدين قد تغيّرت؛ فقد انقلب منهزمو الأمس إلى رجال سياسة اليوم!

وأُلئك الذين لم يسمحوا لأنفسهم بالتدخّل في الأُمور السياسية أصبحوا الدعامة للذين مضوا بالأمر حتى حدود إسقاط النظام والانقلاب العسكري! واضطرابات قم وتبريز بالتنسيق بين اليساريين والملكيين، والانفصاليين في كردستان مجرد نموذج مما يمكن ذكره، ومع أن الفشل كان نصيبهم في تلك الحادثة إلا أنهم لم يتراجعوا وعمدوا إلى الانقلاب العسكري في «نوجه» ولكن الله فضحهم من جديد.

والبعض الآخر من المتظاهرين بالروحانية من الذين كانوا يرون فصل الدين عن السياسة، ويتزلّفون القربى على أعتاب البلاط الملكي انقلبوا فجأة وأصبحوا متدينين وأخذوا يكيلون تُهم الوهابية والأسوأ من الوهابية إلى العلماء الأعزاء والشرفاء، الذين تحمّلوا في سبيل الإسلام كل هذه الصعاب والتشريد والسجن والتهجير!

بالأمس كان المتظاهرون بالصلاح عديمي الشعور يقولون: الدين منفصل عن السياسة والنضال ضد الشاه حرام، واليوم يقولون: إنّ مسؤولي النظام أصبحوا شيوعيين!

حتى الأمس كان بيع الخمور والفسق والفساد والفحشاء وحكومة الظالمين أمور مفيدة في تعجيل ظهور إمام العصر أرواحنا فداه، ويرون فيها الحل!

واليوم وعلى إثر مخالفة للشرع تتمّ في خفاء إحدى الزوايا رغماً عن المسؤولين يعلو نداء وا إسلاماه منهم!

بالأمس كانت جماعة «الحجتية» تحرم النضال، وفي قمة الصراع سعت بكل جهدها في سبيل إفشال الإضراب عن إضاءة المصابيح في النصف من شعبان لصالح الشاه، واليوم أصبحوا أكثر ثورية من الثوريين!

«ولائيو» الأمس الذين أراقوا بتحجّرهم ماء وجه الإسلام والمسلمين وفي مقام العمل قصموا ظهر رسول الله وأهل بيت العصمة والطهارة ولم تكن الولاية تعني لهم شيئاً إلا التكسّب والتعيّش، واليوم يرون أنفسهم ورثة الولاية ويتحسرون على الولاية في عهد الشاه!

حقاً، ممن صدرت تهمة الأمريكية والروسية والالتقاطية؟ وتهمة تحليل المحرمات وتحريم المحللاَت، تهمة قتل النساء الحاملات وتحليل القمار والموسيقى؟ من الأشخاص غير المتدينين، أم من المتظاهرين بالصلاح والمتحجرين عديمي الإحساس؟!

عمل مَن كان نداء تحريم قتال أعداء الله والاستهزاء بثقافة الشهادة والشهداء والطعن والسخرية بمشروعية النظام؟ من العوام أم من الخواص؟! خواص من أي فئة؟ من المعممين بالظاهر أم من غيرهم؟!

لأترك ذلك فإن الكلام ليطول!

صعوبة المشكلة

كل هذه الأُمور هي نتيجة لنفوذ الغرباء في مقر الحوزة وثقافتها، والمواجهة الواقعية لهذا الخطر من أشكل الأُمور وأعقدها؛ فمن جهة نحن موظفون بتبيين الحقائق والواقعيات وإحقاق الحق والعدالة قدر

المستطاع، ومن جهة أُخرى الحذر من وقوع شيء ما يغتنمه العدو، إنه لأمر ليس بالسهل.

ومع أننا في بلدنا لا نفرق في تطبيق العدالة بين العالم الديني وغيره، ولكن عندما نتعامل بشكل شرعي وقانوني وجدّي مع أحد العلماء الذين ارتكبوا مخالفة ما سواء كان حسن أو سيّئ السابقة سرعان ما يعلو صراخ الأجنحة: إنّ الجمهورية الإسلامية تريد أن تهين العلماء! وإذا كان البعض مستحقّاً للعفو ثم يعفى عنه فإنهم يروّجون أنّ النظام يحابي العلماء.

على شعب إيران العزيز أن لا يسمح للأعداء باستغلال قاطعية النظام في تعامله مع المخالفين المتظاهرين بزَيّ العلماء بتشويش الأذهان تجاه العلماء، وعليهم أن يعتبروا هذا الأمر دليل عدالة النظام الذي لا يفضّل أحداً على أحد. ويشهد الله إنني شخصياً لا أرى لنفسي أي صيانة وامتياز، وإذا ما صدرت منّي أي مخالفة فأنا على استعداد للمحاسبة.

ماذا ينبغي أن نعمل؟

والبحث المطروح الآن هو ماذا علينا أن نعمل لمنع تكرار هذه الحوادث المريرة، والاطمئنان إلى قطع نفوذ الأجانب في الحوازات؟ ومع أنّ الأمر صعب ولكن ما العمل؟ علينا أن نجد مخرجاً.

أول الوظائف الشرعية الإلهية هي حفظ وحدة واتحاد الطلاب والعلماء الثوريين، وإلاّ «فإن في الأُفق ليلاً حالكاً وأمواجاً مهولة ودوامات عمياء».

لا يوجد اليوم أي دليل شرعي أو عقلي يجعل اختلاف الأذواق والاستنباطات وحتى ضعف الإدارة مبيحاً لتعكير صفو الأُلفة والوحدة بين الطلاب والعلماء الملتزمين. من الممكن أن يحمل شخص في ذهنه وفكره انتقادات للمسؤولين ولغيرهم حول الأعمال وأساليب الإدارة وأنماطها وحول

أذواق الآخرين، ولكن الصيغة التي يعبّر فيها عن رأيه ينبغي أن لا تنحرف بأفكار المجتمع والأجيال القادمة عن معرفة الأعداء الواقعيين والقوى العظمى التي تنبع منها كل المشاكل والتقصيرات، تنحرف بها إلى مسائل هامشية وفرعية وتحمّل المسؤولين وإداراتهم جميع المشاكل ونقاط الضعف ليفسّر الأمر باستبدادهم. وهذا بعيد كل البعد عن الإنصاف، ويُسقط مسؤولي النظام عن الاعتبار ويخلق أرضية لتسلل السلبيين الى ساحة الثورة.

إنجازات الثورة

إنني أعتقد اليوم أنه لو تصدّى أكثر الأفراد كفاءة واقتدار لكل هذه المؤامرات والحروب التي يصبّها العالم على الثورة الإسلامية لَما تمكّنوا من تحقيق شيء أكثر من الذي حققه من بِيَدهم الأُمور فعلاً.

إنّ نظرة منصفة تحلل أحداث الثورة خصوصاً أحداث السنين العشر التي أعقبت انتصار الثورة، تحكم أنّ الثورة الإسلامية في إيران كانت موفّقة في أكثر الأهداف وعلى مختلف الأصعدة، وبحمد الله لم نهزم في أي مجال ولم نخسر، وحتى في الحرب كان النصر حليفنا ولم يحصل أعداؤنا على شيء مقابل تلك الخسائر الجسيمة التي لحقت بهم.

نعم، لو أنّ جميع العلل والأسباب اكتملت وتمكّنا منها لبلغنا في الحرب أهدافاً أكبر وأكثر كنّا نتطلّع إليها، ولكن لا يعني هذا أنّ العدو هزمنا وأننا لم نحقق هدفنا الأساسي المتمثل في ردّ هجوم العدو وإثبات صلابة الإسلام.

بركات الحرب

في كل يوم من أيام الحرب كانت لدينا بركة نستثمرها في مختلف المجالات.

إنّ ثورتنا قد صدّرت إلى العالم أثناء الحرب.

لقد أثبتنا ظلم العدو وأثبتنا مظلوميتنا في الحرب.

استطعنا من خلال الحرب أن نزيح عن وجه المستكبرين قناع الزيف.

إننا من خلال الحرب عرفنا الأصدقاء من الأعداء.

إننا من خلال الحرب توصّلنا إلى حتمية الاعتماد على النفس.

إننا من خلال الحرب حطّمنا هيبة الشرق والغرب العظمى.

إننا من خلال الحرب عمّقنا أواصر الأخوة وحب الوطن في وجدان أفراد شعبنا.

إننا من خلال الحرب أثبتنا لشعوب العالم وخصوصاً شعوب المنطقة إمكانية محاربة القوى العظمى والصمود في هذه الحرب لسنين متمادية.

إنّ المساعدة في فتح أفغانستان إحدى ثمار حربنا.

حربنا سوف يعقبها فتح فلسطين.

لقد أحسّ جميع قادة الأنظمة الفاسدة بالذلّة مقابل الإسلام؛ نتيجة حربنا.

لقد تسببت حربنا في صحوة الهند وباكستان.

إنها الحرب التي جعلت صناعاتنا العسكرية تنمو بهذا الشكل.

والأهم من كل ذلك استمرار روحية الإسلام الثوري كان في ظِلال الحرب.

كل هذه الإنجازات هي من بركة دماء الشهداء الطاهرة التي أراقتها ثماني سنين من الحرب.

إنها ثمرة جهود الأمهات والآباء وشعب إيران العزيز في عشر سنين من النضال ضد أمريكا والغرب وروسيا والشرق.

حربنا حرب الحق والباطل وهي لا نهائية.

لقد كانت حربنا حرب الغنى والفقر.

لقد كانت حربنا حرب الإيمان والرذيلة، وهـذه الحـرب كانـت منـذ آدم وستبقى حتى خاتمة الحياة.

كم هم قصيرو نظر أُولئك الذين يتصورون أنّ عدم وصولنا لغايتنا النهائية في الحرب يعني أنّ الاستشهاد والإيثار والفتوة والتـضحية والـصمود عديمـة الجدوى! والحـال أنّ نـداء أفريقيـا المطالـب بالإسـلام كـان نتيجـة لحـرب الثماني سنين.

إنّ رغبة شعوب أمريكا وأوربـا وآسـيا وأفريقيـا ـ أي كـل مكـان ـ فـي التعرّف على الإسلام هي رهينة حرب ثماني سنين.

إنني من هذا المكان أعلن وبشكل رسمي اعتذاري لجميع أُمّهات وآبـاء وأخوات وإخوان وزوجات وأبناء الشهداء ومعوقي الحـرب عـن التحلـيلات الخاطئة التي تطـرح هـذه الأيـام، وأسـأل الله أن يقبلنـي فـي صـف شـهداء الحرب المفروضة.

أداء التكليف وليس النتيجة

نحن غير نادمين ولا متأسّفين للحظة واحدة عن أدائنا في الحرب.

أوَ نسينا حقّاً أننا حاربنا من أجل العمل بالتكليف والنتيجة هي فرع عنه؟ إنّ شعبنا بقي إلى اليوم الذي كان يشعر فيه بالقدرة على التكليـف بـالحرب، عاملاً بالوظيفة، وطوبى لأُولئك الذين لم يترددوا حتى اللحظة الأخيـرة، تلـك اللحظة التي اقتضت فيها مصلحة الثورة قبل القرار، فخضعوا للوظيفة الشرعية وعملوا بها. وهل العمل بالتكليف يبعث على القلق؟!

لا ينبغي في إبداء وجهـات النظـر وإظهـار العقائـد أن نتـصرف بطريقـة خاطئة من أجل إرضاء بعض الليبـراليين العمـلاء، بحيـث يـشعر حـزب الله العزيز أنّ الجمهورية الإسلامية أخذت تحيد عن مبادئها.

ماذا ينتج من تحليل الأمر بصورة أنّ الجمهورية الإسلامية لم تَجْنِ شيئاً أو أنها لم توفّق، غير إنهاك النظام والتشكيك في المسؤولين؟! إنّ تأخّر بلوغنا جميع الأهداف لا يعني أننا تخلّينا عن مبادئنا، نحن جميعاً موظفون بأداء التكليف وليس بتحقيق النتيجة.

لو كان جميع الأنبياء والمعصومين عليهم السلام مكلّفين بتحقيق النتائج في عصرهم، لما كان ينبغي لهم أن ينطلقوا إلى أبعاد خارج نطاق قدرتهم العملية أبداً، ولا أن يذكروا ذلك، ولا أن يطرحوا الأهداف الكلية بعيدة المدى التي تتحقق في حياتهم أبداً! والحال أنّ شعبنا تمكّن بلطف الله من تحقيق شعارات الثورة التي نادى بها في أكثر الميادين.

لقد كنّا موفّقين

لقد شهدنا تحقق شعار سقوط الشاه عملياً.

لقد كلّلنا مناداتنا بالحرية والاستقلال وزيّناها بالعمل.

لقد شاهدنا كيف تجسّد شعار الموت لأمريكا في عمل شبابنا المتحمّسين الأبطال المسلمين الذين احتلّوا وكر التجسس الأمريكي.

لقد اختبرنا جميع شعاراتنا في محل العمل.

وبطبيعة الحال نحن نعترف أننا اضطررنا لتغيير الأساليب والتكتيكات على أثر الصعوبات الكثيرة التي اعترضت مسيرة عملنا.

لماذا نستصغر أنفسنا وشعبنا ومسؤولي بلدنا ونرى كل العقل والتدبير في تفكير الآخرين؟!

إنني أحذّر الطلاب الأعزاء ـ إلى جانب وجوب حذرهم دسائس المتظاهرين بالعلم والصلاح ـ أن يعتبروا من التجربة المريرة لتصدّي المتظاهرين بالثورية و«عقلاء القوم» الذين لم ينسجموا مع خط العلماء

وفكرهم قط، حتى لا ننسى خطّهم الفكري وسابق خيانتهم، ولا تصبح الرحمة التي في غير محلّها والسذاجة سبباً لعودتهم إلى المراكز المصيرية والحساسة.

الليبراليون لم يكونوا مع الثورة

اليوم وبعد عشر سنين من انتصار الثورة الإسلامية اعترف كما في السابق أنّ بعض القرارات التي اتخذت في بداية انتصار الثورة بشأن تخويل المناصب وأُمور البلد الهامة لجماعة لم تكن تؤمن بالإسلام المحمدي الأصيل إيماناً واقعياً ومخلصاً، كانت قرارات خاطئة، ولن تزول آثارها المريرة بسهولة، ومع إنني شخصياً لم أكن راغباً في أن يتصدّى أُولئك للأُمور، ولكنني قبلت بتشخيص وتأييد الأصحاب.

وأنني الآن أعتقد وبصلابة أنهم لن يكتفوا بشيء أقل من الانحراف بالثورة عن جميع مبادئها وأُصولها والمضي تجاه أمريكا المستكبرة، وما سوى ذلك لا يجيدون فنّاً إلاّ الثرثرة والتبجّح.

ونحن اليوم لا نشعر بأي أسف على عدم وجودهم في صفّنا، فَهُم لم يكونوا معنا من قبل.

إنّ الثورة ليست مَدينة لأي حزب ونحن لا زلنا نتلقّى صفعات تبعات ثقتنا بالأحزاب والليبراليين. إنّ صدر الثورة والبلاد رحب دائماً لاستقبال كل مَنْ يرغب في الخدمة ويجذبه حنين العودة، ولكن ليس بمعنى محاسبتهم لنا على شعاراتنا وأُصول ثورتنا من قبيل: لماذا قلتم الموت لأمريكا؟ لماذا حاربتم؟ لماذا طبقتم حكم الله على المنافقين وأعداء الثورة؟ لماذا رفعتم شعار لا شرقية لا غربية؟ لماذا احتللتم وكر التجسس؟ ومئات الأسئلة الأُخرى.

ما دمت موجوداً فلن أدع ...

والنقطة الهامة في هذا الموضوع هي أننا ينبغي أن لا تطغي علينا عاطفة الرحمة، ولا أن نعملها في غير محلّها مع أعداء الله والمخالفين والمتخلّفين عن النظام، وأن لا ننشر الأمر بكيفية تستتبع التشكيك في أحكام الله وحدوده.

وأنا لا أخاف بعض هذه الموارد التي ليست في مصلحة البلاد فحسب، بل أرى أنّ العدو يستفيد منها.

إنني أعلنها صريحة لأُولئك الذين تَنْفَذ أيديهم إلى الإذاعة والتلفزيون، وإن كان ما يبثّونه ليس من كلامهم:

ما دمت أنا موجوداً فلن أدع الحكومة تؤول إلى الليبراليين.

ما دمت أنا موجوداً فلن أدع المنافقين ليقضوا على إسلام هذا الشعب المستضعف.

ما دمت أنا موجوداً فلن أحيد عن مبدأ لا شرقية ولا غربية.

ما دمت أنا موجوداً فسوف أقطع أيادي الأمريكان والروس في جميع المجالات.

وأنا على اطمئنان كامل من أنّ جميع الناس يدعمون ويؤيدون النظام والثورة الإسلامية في الأصول كما كانوا فيما مضى، إذ فضلاً عن عشرات ومئات مناسبات إعلان تواجدهم واستعدادهم، فَهُم في الثاني والعشرين من بهمن أظهروا للعالم استعدادهم الكامل، والحق إنهم بهروا أعداء الثورة الذين أذهلهم كم هو معطاء ومضحٍّ هذا الشعب.

إنني في هذا المكان لأخجل وأرى نفسي أقل من أن أصف هؤلاء وأُقدّر جهودهم بلساني العاجز، والجزاء العظيم لكل هذا الإخلاص والرشد في العبودية لله، ولكنني أقول لأُولئك الذين يتّهمون شعبنا الشريف العزيز

بالإعراض عن مبادئ الثورة والعلماء وأنصحهم وأوصيهم أن يدققوا في أحاديثهم ومقالاتهم وكتاباتهم، ولا يحمّلوا الثورة والناس تحليلاتهم وآراءهم الخاطئة.

لمصلحة من ينقسم العلماء الثوريون؟

المسألة الأُخرى هي أنه مَنْ هو المستفيد من انقسام العلماء الثوريين؟ لقد أعدّ الأعداء عدّتهم منذ القديم لبثّ الاختلاف بين العلماء، والغفلة عن ذلك تذهب بكل شيء أدراج الرياح. والأمر في كل الاختلافات سواء كانت على شكل سوء الظن الشديد بـ (كبار) المسؤولين أم تصنيف الفقه إلى تقليدي ومتحرك، وأمثال ذلك.

إذا لم ينسّق طلاب الحوزة مع مدّرسيها فيما بينهم لا يمكن التنبّؤ مَنْ سيكون المستفيد! وعلى فرض المحال إذا غدا فكر العلماء المزيّفين والمتحجّرين هو المهيمن، فماذا عسى العلماء الثوريون أن يجيبوا الله والناس؟!

جامعة المدرسين

أسأل الله أن لا يكون ثمة اختلاف بين «جامعة المدرسين» والطلاب الثوريين، وإذا كان فما هي أسبابه؟ هل الخلاف في الأساسيات أم في الأذواق ووجهات النظر؟ أو هل تراجع «المدرّسون» المحترمون الذين كانوا عمود الثورة في الحوزات العلمية عن الإسلام والثورة، والناس أعرضوا عنهم والعياذ بالله؟!

أولَم يكن هؤلاء هم الذين أصدروا حكم عدم مشروعية السلطة في أوج النضال؟ أولَم يكن هؤلاء هم الذين عرّفوا للناس ذلك العالم الذي كان حسب الظاهر في مقام المرجعية عندما ابتعد عن الإسلام والثورة؟ ألم يدعم

«المدرّسون» الأعزاء الجبهة والمقاتلين؟ إذا سقط هؤلاء ـ لا قدّر الله ـ فمن يا ترى سوف يشغل مكانهم؟

ألن يحكّم عملاء الاستعمار العملاء المزّيفين الذين دعموهم حتى بلوغ المرجعية، أو شخصاً آخر في الحوزات؟

أم هل يمكن لأُولئك الذين قضوا طوفان خمس عشرة سنة من النضال قبل انتصار الثورة وعشر سنين من الحوادث القاصمة للظهر بعد الثورة دون أن يتجرّعوا قهر النضال ولا غمّ الحرب وإدارة الدولة، ولم يفقدوا أعزّة ليتأثروا عليهم، وبمنتهى الهدوء وراحة البال قضوا وقتهم في الدراسة والمباحثة، هل يمكنهم أن يكونوا في المستقبل دعامة الثورة الإسلامية؟!

حقّاً إنّ سقوط أي من الطلبة والعلماء الثوريين و«العلماء والمجاهدين» و«جامعة المدرسين» سوف يحقق النصر لجناح أو خط آخر؟ إنّ من سينتصر بالتأكيد ليس جناح العلماء، وإذا ما اضطر ذلك الجناح إلى اللجوء وإلصاق نفسه بالعلماء فصوب أي جناح وخط من العلماء سينتمون؟

النزاع مهلك في جميع صوره

والخلاصة أنّ الاختلاف بأي شكل كان فهو أمر مهلك، وإذا تصنّف وتكتّل الأفراد المؤمنون بالثورة، ولو تحت عناوين (الفقه التقليدي) و(الفقه المتحرك)، فهذا يعني فتح الأبواب أمام العدو، فيستغل الفرصة للاستفادة منها.

إنّ التكتّل سوف ينتهي إلى المواجهة، إذ سوف يلجأ كل جناح إلى انتخاب كلمة وشعار يُسَقّط بها الجناح الآخر ويُبعده عن الساحة، فيتّهم أحدهما بتأييد الرأسمالية ويتّهم الآخر بالإلتقاطية، ولأجل سبيل حفظ

الاعتدال بينهما أُبدي ملاحظاتي المُرّة والحلوة دائماً؛ لأنني أنظر إليهم جميعاً كأبنائي وأعزائي.

وبطبيعة الحال لم أكن لأُخالف النقاشات العلمية الحادّة بين الطلبة في أُصول وفروع الفقه، ولكني قلق من التعارض والمواجهة بين الأجنحة المؤمنة بالثورة، عسى أن لا تنتهي بتقوية جناح المترفين المرفّهين الخنّاسين!

والنتيجة، أنّ العلماء من أنصار الثورة والإسلام الأصيل إذا لم يسارعوا بالحركة والنهوض فإن القوى الكبرى وخدّامهم سوف ينهون القضية لصالحهم.

على «جامعة المدرسين» أن يروا الطلاب الثوريين الأعزاء الكادحين الذين لاقوا التعذيب وشاركوا في الجبهة منهم وفيهم، ويتحتّم أن يجتمعوا معهم ويستمعوا إلى خططهم وآرائهم ويتقبّلوها، وعلى الطلبة الثوريين أن يحترموا «المدرسين» الأعزاء أنصار الثورة وينظروا إليهم نظرة احترام، وأن يكونوا يداً واحدة مقابل شرذمة الاستغلاليين الساقطين الخنّاسين.

وليعدّوا أنفسهم للمزيد من الشهادة والإيثار في طريق هداية الناس، سواء كان الناس والمجتمع يرغبون في الحق ـ كما هم في زماننا الذي ظهر وسيظهر منهم الوفاء والإخلاص للعلماء أكثر مما كان متوقّعاً ـ أم لم يرغبوا في الحق كما في زمان الأئمة عليهم السلام.

هدف الأعداء هو القضاء على علماء الثورة

على شعب إيران الشريف الانتباه إلى أنّ المقصود من الدعايات الموجّهة ضد العلماء هو القضاء على علماء الثورة.

إنّ الأيادي الشيطانية تستغل المصاعب والضيق الذي يعيشه الناس ليوهموهم أنّ العلماء هم السبب في المشاكل والتقصيرات. وأي العلماء

يقصدون؟ أيقصدون العلماء الذين لا يعانون ولا يشعرون بالمسؤولية؟ كلا! بل يقصدون العلماء الذين تعرّضوا للخطر وتقدّموا الجميع في سائر الحوادث.

إنّ أحداً لا يدّعي أنّ مشاكل عامة الناس والحفاة قد رفعت، وأنّ جميع الإمكانيات وضعت تحت تصرّفهم، فمن الطبيعي أن تظهر تبعات عشر سنين من الثورة والحرب والحصار في كل مكان وتبرز الحاجات والنقائص. ولكنّي أشهد قاطعاً بأنه لو كان المتصدّون لحركة الثورة وقيادتها من غير العلماء لَما جنينا اليوم سوى الذلّة والعار أمام أمريكا والمستكبرين، ولَما خلّفوا لنا شيئاً سوى العدول عن جميع عقائدنا الإسلامية والثورية.

وأرى ضرورة التنبيه على أنّ ذكرى بعض وقائع وأحداث الثورة والعلماء لا يعني أنني أرغب في أن يبادر الطلبة والعلماء الأعزاء فور سماعهم حديثي إلى حركات ثورية وحادة، بل كنت أهدف من ذلك إحاطتهم علماً وتوعيتهم بالأخطار والكمائن والمعابر وبالمسير الذي عليهم أن ينتخبوه، وأن يتحركوا على بصيرة من أمرهم.

الفقه التقليدي واجتهاد الجواهري

أما بخصوص أسلوب الدراسة والتحقيق في الحوزات فإنني أتبنّى «الفقه التقليدي واجتهاد الجواهري» وأرى حرمة التخلّف عن ذلك.

إنّ الاجتهاد على ذلك النحو هو الاجتهاد الصحيح، ولكن هذا لا يعني أنّ فقه الإسلام ليس فقهاً متحركاً. إنّ الزمان والمكان عنصران أساسيان في الاجتهاد؛ إذ بلحاظ العلاقات الحاكمة في السياسة والاجتماع والاقتصاد في أحد الأنظمة لعل حكماً جديداً يطرأ على مسألة ما كان الحكم السابق عليها

فيما مضى يختلف، بمعنى أنّ الإحاطة الدقيقة بالعلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية جعلت نفس ذاك الموضوع ـ بالظاهر ـ موضوعاً جديداً فيستتبعه قهراً حكم جديد.

ينبغي للمجتهد أن يكون محيطاً بأُمور زمانه.

ليس من المقبول للناس والشباب وحتى للعوام أن يقول المرجع والمجتهد: إنني لا أُعطي رأياً في الأُمور السياسية.

من خصائص المجتهد الجامع أن يكون محيطاً بطرق مواجهة حيل وتزويرات الثقافة المهيمنة على العالم، ذا بصيرة ونظرة اقتصادية، عارفاً بكيفية التعامل مع النظام الاقتصادي في العالم، عارفاً بالسياسات والسياسيين والقواعد التي يملونها، مدركاً نقاط ضعف وقوة قطبي الرأسمالية والشيوعية؛ وهو ما يرسم في الواقع إستراتيجية حكم العالم.

ينبغي للمجتهد أن يتحلّى بصفات النباهة والذكاء والفطنة وهو يمارس عملية قيادة المجتمع الإسلامي وحتى غير الإسلامي، وفضلاً عن الإخلاص والتقوى والزهد التي هي من الشؤون الذاتية له، ينبغي للمجتهد أن يكون مديراً ومدبّراً.

الفلسفة العملية للفقه تتجسد في الحكومة

إنّ الحكومة في نظر المجتهد الواقعي هي تجسيد للفلسفة العملية لتمام الفقه في جميع جوانب الحياة. الحكومة هي انعكاس البعد العملي للفقه في تعامله مع جميع المعضلات الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية.

إنّ الفقه نظرية واقعية متكاملة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللحد.

إنّ الهدف الأساسي هو كيف نبغي تطبيق الأُصول الثابتة للفقه في عمل الفرد والمجتمع ونتمكن من الحصول على جواب للمعضلات.

إنّ جلّ خوف الاستكبار يرجع إلى هذه المسألة، وهي أن يمتد للاجتهاد بُعد عيني عملي، وأن يخلق في المسلمين روح التعامل والحركة.

كفريات كتاب آيات الشيطان

حقّاً ما الذي أثار المستكبرين إلى هذا الحد بعد إعلان الحكم الشرعي الإسلامي المجمع عليه بين العلماء بحق عميل أجنبي، وجعل قادة الكفر والسوق المشتركة وأضرابهم مضطربين في سعيهم الفاشل؟! أليس هو الرعب الذي استولى على قادة المستكبرين من مقدرة المسلمين على المواجهة العملية وقدرتهم على كشف ومقاومة مؤامراتهم المشؤومة؟

والمسلمون اليوم يرون أنّ الإسلام مدرسة بطولية متحركة متنامية، من حيث إنّ مجال شيطنتهم تقلّص ولم يعد بإمكان أقلام مرتزقتهم أن تنطلق بالكتابة في اطمئنان كما كانوا في الماضي، فإنهم مضطربون بشدّة.

لقد سبق لي أن قلت: إنّ جميع المؤامرات التي حاكها الاستكبار ضدنا ـ ابتداءً من الحرب المفروضة إلى الحصار الاقتصادي وغيرها ـ كانت في سبيل منعنا عن طرح الإسلام كحل لمشاكل المجتمع، وإنه يجب علينا الرجوع إليهم واستجازتهم في أُمورنا!

لا ينبغي أن نغفل أحقّية أن تكون حركتنا على نحوٍ بحيث نقطع جميع أواصر (جذور) ارتباط بلدنا بمثل هذه العوالم المتوحّشة إن شاء الله.

لربما أنّ الاستكبار الغربي تخيّل أنّ بطرحه اسم السوق المشتركة والحصار الاقتصادي سوف نتراجع عن تطبيق حكم الله العظيم ونراوح في مكاننا!

كم هو لافت للنظر ومبهر موقف هؤلاء المتمدنين والمفكرين بالظاهر، إذ لا يرون في سموم بثّتها ريشة (قلم) كاتب عميل جرحت مشاعر مليار مسلم وإنسان وتسببت في استشهاد البعض، أمراً مهماً، بل يرونه ديمقراطية وتمدّناً! وأما إذا طرح تنفيذ الأحكام الشرعية والعدالة ترتفع منهم مناحة الرأفة والإنسانية!

إنّ حقد الغرب على العالم الإسلامي ودنيا الفقه يثبت لنا من مثل هذه النقاط.

إنّ القضية عندهم ليست الدفاع عن شخص، إنها قضية دعم الخط المحارب للإسلام والقيم والذي أسسته الصهيونية والانجليز وأمريكا ويعمل بإشرافهم، وبحماقتهم وتسرّعهم جعلوا أنفسهم في مواجهة العالم الإسلامي.

علينا أن ننظر كيف تتعامل بعض الدول والحكومات مع هذه الفاجعة العظيمة، فلم تعد المسألة مسألة عرب وعجم ولا فارسية وإيرانية، ولكنها مسألة إهانة مقدسات المسلمين من صدر الإسلام حتى يومنا ومن يومنا حتى نهاية التاريخ، وإذا لم نتدارك الأمر من بدايته وغفلنا عنه فإن نتيجة هذه المسألة هي توغّل الأجانب في ثقافة المدرسة الإسلامية؛ ففي جعبة الاستعمار الكثير من هذه الأفاعي الخطيرة والكتّاب الأُجراء.

لا ضرورة أن نسعى في هذه الظروف إلى تحقيق علاقات موسّعة؛ لأنه من الممكن أن يتصور الأعداء أننا نرغب في الارتباط بهم، بحيث نتجاوز ونغضّ الطرف عن إهانتهم لعقائدنا ومقدساتنا الدينية.

إنّ الذين لا يزالون يصدقون ويحللون الأمر بضرورة مراجعة مبادئنا وسياستنا ودبلوماسيتنا وتجديد النظر فيها، وإننا كنّا سذّج، وأنه لا ينبغي لنا أن نكرر أخطاءنا السابقة!

ويعتقدون أنّ الشعارات الحادّة أو أنّ الحرب هي سبب سوء ظن الشرق والغرب بنا وبالتالي انزواؤنا، وإننا لو عملنا بواقعية فإنهم سوف يقابلوننا بإنسانية وسوف يحترمون الإسلام والمسلمين والشعوب.

فإن هذا مَثَلٌ أراد الله أن يضربه لنا في هذا الزمن بعد انتشار كتاب الكفريات (آيات شيطانية) لينفضح الوجه الحقيقي لعالم التفرعن والاستكبار والبربرية في عداوته الدفينة للإسلام؛ حتى ننكفئ عن بساطتنا التي تلقي جميع التبعات على سوء الإدارة وقلة الخبرة، وندرك بتمام المعنى أنّ المسألة ليست خطأنا، ولكنها عمدية الاستكبار وقصده في القضاء على الإسلام والمسلمين؛ وإلاّ فمسألة شخص (سلمان رشدي) ليست بهذه الأهمية لهم بحيث يقف كل الصهاينة والاستكبار لدعمه.

على العلماء وجماهير حزب الله الأعزاء وأُسر الشهداء المحترمين أن يكونوا يقظين حتى لا تذهب دماء أعزائهم بمثل هذه التحليلات والأفكار الخاطئة أدراج الرياح.

إنني أخشى أن محللي اليوم يْعتَلون دكّة القضاء بعد عشر سنوات ويقولون: ينبغي أن ننظر إلى أي حد كانت فتوى الإسلام وحكم إعدام سلمان رشدي تنطبق مع الأصول والقواعد الدبلوماسية؟ ويخرجوا بنتيجة مفادها: إنه من حيث أنّ إعلان حكم الله استتبع آثاراً جعلت السوق الأوربية المشتركة تتخذ ضدنا موقفاً، إذاً يجب أن لا نكون سذّجاً، وكان ينبغي أن نغضّ الطرف عن الذين أهانوا المقام المقدس لرسول الله والإسلام والعقيدة!!

الفقه العملي للإسلام

خلاصة القول: ينبغي لنا السعي إلى تحقق الفقه العملي للإسلام وإهمال الدبلوماسية الحاكمة على العالم، وصرف النظر عن الغرب المحتال والشرق

المعتدي، وإلا فما دام الفقه مخفيّاً في الكتب وفي صدور العلماء فلا ضرر يتوجه منه إلى الاستكبار.

وإذا لم يلج العلماء في جميع المسائل والمشكلات بصورة فعّالة فلا يمكنهم أن يدركوا أنّ الاجتهاد المصطلح لا يكفي لإدارة المجتمع.

على الحوزات والعلماء أن يقفوا دائماً على مستوى فكر المجتمع وحاجاته المستقبلية، وأن يكونوا دائماً مستبقين الحوادث بمرحلة؛ حتى يتمكّنوا من الردّ المناسب، فلربما تغيّرت أساليب الإدارة الرائجة في السنوات القادمة واحتاجت المجتمعات البشرية في حلّ مشكلاتها إلى المسائل المستحدثة للإسلام.

على علماء الإسلام العظام أن يفكروا في هذا الموضوع من الآن.

القضاء والأُمور التنفيذية

النقطة الأُخرى التي يلزم الالتفات إليها هي: على العلماء والطلاب أن يروا في الإشتغال بالأعمال القضائية والإجرائية أمراً مقدساً وذا قيمة إلهية، ويعتبروا عدم بقائهم في الحوزة مفخرة وامتيازاً إذ تركوا في سبيل تطبيق أحكام الله راحة البقاء في الحوزات وانعطفوا على أعمال الحكومة الإسلامية.

إذا رأى أحد الطلبة منصب إمامة جمعة وإرشاد أو قضاء في أُمور المسلمين خالياً وكانت له قدرة وإمكانية إدارته، وبعذر الدراسة لم يقبل المسؤولية وانشدّ قلبه صوب الاجتهاد ودرسه فقط، فإنه مسؤول ومؤاخذ أمام الله العظيم، ولن يقبل منه عذر.

إذا لم نخدم النظام اليوم وننتهز إقبال وتجاوب الناس الذي ليس له سابقة، فلن نحصل على أفضل من هذه الفرصة والظرف.

أرجو أن لا تكونوا قد انزعجتم من النصائح والتنبيهات العطوفة لأبيكم الشيخ وخادمكم الصغير، كما أرجو أن تذكروني في مظانّ الدعاء وأن تدعوا لي بأنفاسكم القدسية وقلوبكم المنوّرة بالمغفرة، وأنا بدوري سوف أذكركم وأدعو بالخير للعلماء الأصيلين ولن أنسى الحوزات العلمية.

اللّهم زد في قدرة العلماء لخدمة الدين.

اللّهم ثبت الحوزات العلمية ـ خنادق الدفاع عن الفقاهة والإسلام ـ للأبد.

اللّهم أنعم على شهداء الحوزات من نِعَمك اللامتناهية، وارزقهم حضور عالم قدسك.

اللّهم شافِ معوقي الحرب وألهم أُسر الشهداء الصبر والأجر.

اللّهم أرجع الأسرى والمفقودين إلى أوطانهم.

اللّهم أبق قيمة العمل وخدمة دينك وخدمة الناس في قلوبنا وأنظارنا حية دائمة إنك ولي النعم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١٥ رجب ١٤٠٩ هـ.ق)

٣ اسفند ١٣٦٧هـ.ش

روح الله الموسوي الخميني



الملحق الثاني

الحوزة

وضرورة نهضة علمية جديدة

الحضور: طلبة البحث الخارج

المناسبة: بدء العام الدراسي في الحوزات العلمية

الزمان والمكان: ٨ جمادى الثانية ١٤٢٠ هـ.ق ـ طهران

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

نبدأ أولاً كما جرت العادة بذكر حديث شريف تبركاً بمعارف أهل البيت عليهم السلام إن شاء الله.

جاء في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «يا علي، إنّ من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ولا تحمد أحداً بما آتاك الله، ولا تذمّ أحداً على ما لم يؤتك الله، فإنّ الرزق لا يجرّه حرص حريص، ولا تصرفه كراهة كاره، إنّ الله بحكمه وفضله جعل الرَوح والفرح في اليقين والرضاء، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط»[1].

والسخط هنا بمعنى الغضب من جميع الحوادث، فإذا أعطاه الله، غَضِبَ لأن الله لم يعطه أكثر من ذلك، وإذا أصابه أذى، غَضِبَ وسَخَطَ للذي أصابه. فإذا أراد المرء بلوغ الرَوْح والفرح عليه أن يبحث عن الرضا واليقين، فإذا كان في هذه الدنيا خير ومنفعة فهو من نصيب الزاهد القانع.

بمناسبة بدء الموسم الدراسي الجديد لدينا وفي الحوزة العلمية بقم وسائر الحوزات العلمية، رأينا ضرورة الإشارة ـ قبل الشروع ببحثنا الفقهي ـ الى بعض الشؤون المتعلّقة بالحوزة وبنا نحن طلبة العلوم الدينية.

---

(١) تحف العقول: ص ٦.

كلمّا ازدادت أهمية الدين ازدادت أهمية الحوزات

يبدو لنا أنّه كلما ازدادت أهمية الدين في الحياة، ازدادت الى جانب ذلك أهمية الحوزات العلمية. فالدين يمثّل اليوم محور اهتمام عالمي، ويحظى الإسلام العزيز والأحكام الإسلامية المقدسة بأهمية بالغة من قِبَل الساسة والمفكرين والمتخصصين بالقضايا والعلوم الاجتماعية والكثير من الجماهير ـ وخاصة الشباب منهم ـ في الكثير من بقاع العالم، وفي البلدان الإسلامية على وجه الخصوص.

ومن المؤكد أنّ القسم الأعظم من الحادثة التي بدأت منذ عقدين من الزمن خلافاً للتوقّعات وللتيار السائد في العالم، ترتبط بانتصار الدين في هذا البلد وإقامة نظام إسلامي. ولهذا فإنّ الدراسات الجارية على الدين اليوم في كل أنحاء العالم، ليست في معزل عن جانبه السياسي، ولا تنظر إليه مجرداً عن تأثيره السياسي؛ وتتخذ المواقف إزاءه وفقاً لهذا الأساس، مثلما أنّ القلوب التي تهفو إلى الدين، وأقصد شباب العالم الإسلامي والأجيال الصاعدة فيه وفي بعض المناطق الأُخرى من العالم، لا تُقبل عليه مجرداً عن حضوره السياسي والاجتماعي.

نحن نعيش اليوم في مركز هذا الاهتمام العالمي، أو بعبارة أُخرى إنّ الإسلام وخاصة الجمهورية الإسلامية تقع في بؤرة هذا الاهتمام. ولعلّكم تسمعون أو تعلمون بعقد ندوات تخصصية وعلمية عالمية ذات توجّهات مختلفة في بقاع متعددة من العالم وخاصة في بعض الدول التي ليست لها مواقف ودّية من الإسلام ومن الجمهورية الإسلامية، من أجل دراسة هذه الظاهرة، وهذا ما يعكس مدى أهمية هذه القضية.

على الحوزات العلمية التخطيط لحركة ونهضة جديدة

ونحن اليوم بصفتنا أُناس ننتمي الى الحوزات العلمية، يجب علينا أن نخطط لفكر وحركة ونهضة جديدة في منهجنا العلمي وفي مباحثنا الإسلامية، في ضوء هذه الظاهرة العالمية؛ فحينما نشاهد العلم الذي انطلقت هذه الحركة السياسية على أساسه؛ أي العلوم الإسلامية والمعارف والكلام والفقه، يحظى اليوم بكل هذا الاهتمام من قِبَل الأوساط العلمية والسياسية العالمية، يجب علينا بذل المزيد من الاهتمام والدقّة وتقييم عملنا من جديد بصفتنا علماء دين وأصحاب رأي في القضايا الدينية.

فاليوم ليس يوماً نستطيع فيه التحدّث باسم الدين بكلام غير رصين، أو أن نرسم لأنفسنا هدفاً يتعذر علينا استخراجه من المعارف الإسلامية، أو أن نقف مكتوفي الأيدي إزاء ما يدخل ضمن الأهداف الدينية والقضايا الفقهية أو الكلامية المهمّة. وليس هناك لزوم يدعونا الى التشبّث بشيء آخر سوى المهمّة العلمية؛ من أجل اقتفاء هذا السبيل الجديد.

فلو كانت لدينا دوافع بقدر ما يحمله أي عالم من اندفاع علمي إزاء ما يهتمّ به علمياً، تجاه المباحث الإسلامية ـ ناهيك عن الاعتقاد والإيمان والواجب والمسؤولية الدينية ـ واعتبرنا هذه المهمّة العلمية والشعور بالتعلّق بما نؤدي له هذا العمل العلمي ونعتقد به علمياً، فإنّ ذلك يكفي لما نفهمه من الإسلام وننشره باسم الإسلام ولأجل الإسلام، ونفتح له حساباً جديداً.

لاشك في أنّ مركز هذه التوجّهات والدراسات العلمية هو الحوزات العلمية. وهذا لا يعني طبعاً أنّ الآخرين من غير منتسبي الحوزات العلمية لا يحقّ لهم التفكير أو البحث في القضايا الإسلامية؛ فالكلام ليس في الحق وعدمه؛ بل لأن مستلزمات هذه الدراسات لا تتوفر إلا في الحوزات العلمية.

إنّ من حق كل إنسان أن يصبح طبيباً، إلا أنّ من يريد أن يصبح طبيباً عليه أن يدخل كلية الطب، إذ لا ينبغي تحصيل العلم في موضع لا يتوفر الأستاذ والعلم والمختبر والمعلم المتمرّس في هذا المجال. والموضع المناسب لفهم الدين والتعمّق في المسائل الدينية الى حدّ التخصص هو الحوزات العلمية.

من الممكن طبعاً أن يكون لدى كل شخص معلومات دينية أدنى من حدّ التخصص، إلا أنّ التخصص في الدين يستلزم دخول الحوزات العلمية والدراسة على يد الأساتذة المتخصصين في العلوم الدينية وأخذ تلك العلوم منهم.

وفي المقابل يجب أن تكون الحوزات العلمية قادرة على تلبية هذه الحاجة. فأهمية الحوزات العلمية اليوم لا تنحصر في القدرة على تبليغ الدين ـ فهذا طبعاً واحد من واجباتها الأساسية والمهمّة ـ إلا أن الواجب الآخر الذي يفوق أهمية التبليغ، أو يساويه في الأهمية على أقل تقدير، هو التعليم والتدريس الفني والعلمي للمباني والمعارف الدينية بما في ذلك الفقه أو الكلام أو الفلسفة، أو بقية العلوم التي يحتاجها بالدرجة الثانية.

وهذا يعني تزايد أهمية الحوزات العلمية وعلماء الدين ومدرّسي العلوم الدينية والعمل الذي يمارسه طالب العلوم الدينية.

المباحث الأساسية في الحوزات العلمية

أمّا ما هي المباحث التي يجب أن تُتخذ كأساس في الحوزات العلمية في هذا المجال؟ فهذا أمر تحدّثنا عنه مرّات عديدة، ونتحدث عنه هنا مرّة أُخرى أيضاً؛ فالفروع الأساسية في الحوزات العلمية هي على الترتيب الآتي: أولاً الفقه، ثانياً الكلام، ثالثاً الفلسفة.

فالفقه هو العمود الفقري للحوزات العلمية، وعلم الكلام من الأركان الأساسية لها، والفلسفة جزء من مستلزماتها المؤكدة، فيجب على المدرّسين الصالحين الكفوئين والطلبة المُجدّين المثابرين دراسة هذه العلوم الثلاثة، ويجب على الحوزات العلمية التحرك في هذا المجال بجدّ ونشاط وحيوية.

وفي الوقت ذاته ينبغي عدم الاكتفاء بهذه الحقول فحسب؛ فهذه هي العلوم الأساسية، ولكن توجد إلى جانبها علوم أُخرى يجب الإلمام بها، من قبيل التفسير، وعلم الأصول الذي تجب دراسته إلى جانب الفقه كمقدمة واجبة له، فضلاً عن علم الحديث والرجال وكل ما يتعلق بمقدمات فَهْم الكتاب والسنّة.

هذا إضافة إلى فنون تبليغ الدين؛ فقضية تبليغ الدين في الوقت الحاضر أصبحت قضية علمية، وعلوم الاتصالات التي تبذل لها إمكانيات هائلة في جامعات العالم تعنى في الحقيقة بأساليب الارتباط في التبليغ. ونحن لدينا أساليبنا في الارتباط بمخاطبينا، وهي بطبيعتها أساليب جيّدة، إلا أنها على كل الأحوال غير كافية.

ولا أُريد هنا الإيعاز إلى الطلبة بدراسة علوم الاتصالات، ولكنني أُريد التأكيد على المدراء وواضعي المناهج في الحوزات العلمية بالتخطيط لعملهم في ضوء معطيات هذه العلوم، ووضع القدر اللازم من هذه العلوم تحت تصرّف من يحتاجون إليه وبدرجات مختلفة حسب ما تتطلبه حاجة الحوزات العلمية، وخاصة لمن يعملون في حقل التخطيط والبرمجة لشؤون التبليغ.

ولا شك في أنّ الاطلاع على التيارات الفكرية السائدة في العالم ضروري للحوزات العلمية، وإلا فلن نكون واثقين من صحة القرارات والممارسات

التي نتّخذها في مجال التبليغ؛ فإذا لم نحدّد مخاطبينا ونكون على معرفة بهم وبالتيارات الفكرية المحيطة بهم، فقد نتحدّث إليهم بأُمور لا وجود لها في أذهانهم ولا هي موضع اهتمامهم ولا تدور في عقولهم أية تساؤلات عنها، أي أنّ العمل الذي أنجزناه كان عبثاً. إذاً تجب معرفة المخاطب وتحديد طبيعته.

ما أكثر الأشخاص القادرين على إقامة جسور الترابط مع مخاطبين، وما أكثر الأشخاص الآخرين القادرين على إقامة جسور الترابط مع مخاطبين غيرهم. فالمخاطب يجب تحديده بدقّة، ويجب على الأجهزة الإدارية في الحوزات العلمية أن يكون لديها نشاط وفعالية وتخطيط في هذا المجال.

يجب معرفة المخاطبين والأسئلة التي تختلج في أذهانهم والتيارات الفكرية التي يتأثرون بها، فهناك في عالم اليوم شبهات ومباحث وآراء جديدة مطروحة على بساط البحث يستند بعضها الى أُسس علمية أو شبه علمية. فالشخص الذي يضطلع بمهمة تبليغ الدين وتبيين رؤاه أو بتعبير آخر الدفاع عنه، يجب أن يكون على علم بالتيارات الفكرية وبالآراء الجديدة المطروحة في عالم اليوم، وهذه المعرفة واجبة بالنسبة لحوزاتنا العلمية.

وعلى الطلبة أن يتعلّموا أيضاً لغات العالم الحيّة، ومعرفة لغة واحدة على الأقل من اللغات الحيّة الموجودة في العالم تعتبر من جملة المستلزمات والأدوات اللازمة لعمل طلبة العلوم الدينية، وهذا ما ينبغي إشاعته في الحوزات العلمية. ومن حسن الحظ فإنّ الطلبة غالباً ما يكونون من الشباب ويتمتعون بمقدرة عالية على تعلّم اللغات.

هدفنا إعلاء كلمة الله

ومن المباحث المهمة الأُخرى أيضاً هو بحث المعنوية والقداسة، فالفارق الأساسي الذي يميّزنا عن بقية أصحاب الادّعاءات في العالم يكمن في وجود هذا الهدف المقدس؛ فنحن نريد السعي في سبيل الله ولأجل دين الله ولنيل رضا الله ولإعلاء كلمة الله.

ويجب أن يكون هذا هو هدفنا منذ أن نشرع بالدراسة إلى حين قيامنا بعملية التبليغ أو التدريس أو التصدي لمسؤولية ما في الحوزة أو خارجها، وعند ممارستنا لأي نشاط سياسي أو اجتماعي أو علمي. وهذا هو ما يفضي بنا إلى النجاح ويجعل لكلامنا تأثيراً وجاذبية، ولهذا يجب اعتباره فرضاً محتّماً علينا.

علينا بشحذ الهمم والعزائم

في الوقت الذي أتحدّث معكم فيه حول هذه الموضوعات، لاشك أنّ هناك أعمالاً كبيرة قد أنجزت في هذه المجالات في الحوزات العلمية وخاصة في حوزة قم المباركة. وقد أصبح البون ملحوظاً اليوم عمّا كان عليه قبل عدّة سنوات؛ فقد أصبحت هناك اليوم دروس في الأخلاق ودروس جيّدة في التفسير وفي الفلسفة، وهناك التبليغ والكلام، وهناك المجلات العلمية المتخصصة، وهذا ما كنا نوصي به ونتمنّاه، وقد أخذ يتحقق تدريجياً.

وهذا يمثل دليلاً على أنّ ما كنا نطرحه كـ(أُمْنيات) لم يكن مجرد أماني فجّة بعيدة المنال، وإنّ كل هذه الأمور قابلة للتحقق بجهود أصحاب الهمم، وببذل بعض الطاقة والإمكانيات، كما حصل في الحوزة العلمية بقم بالدرجة الأولى، وفي بعض الحوزات العلمية الأُخرى.

وكل الأعمال الكبرى التي نرى وجوبها للحوزات قابلة للتطبيق العلمي ولكن بشرط أن نعقد لها أنا وإياكم العزائم والهمم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



فهرس الجزء الثاني

الفصل الخامس: العلوم الأصيلة في الحوزة

الملحقات

